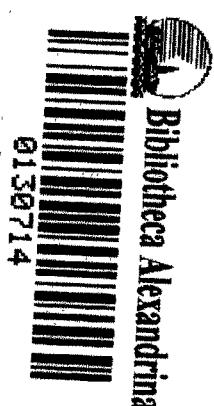


الدكتور على الوردي
أستاذ متفرغ
جامعة بغداد

لتحات اجتماعية
من تاريخ العراق الحديث

الجزء السادس

من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤



لِكُنْ عَلِ الْوَرَقِ
اُسْنَادِ مُتَرَسّش
بجامعة بغداد

لحَات اجتماعيَّة
من
تأريخ العِلَافَة الظَّرِيفَ

الجزء الثالث

من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤

المقدمة

يشمل هذا الجزء أربعة أعوام ما بين ١٩٢٠ و ١٩٢٤ ، وتلك فترة ذات أهمية بالغة في تاريخ العراق الحديث ، لأنها الفترة التي تأسست فيها الحكومة العراقية ، واستقرت قواعد الحكم فيها على نمط معين . وأود أن أعيد هنا ما كتبت قد ذكرته في مقدمة الجزء الاول من هذا الكتاب ، هو أنني لست مؤرخاً وإن قصدى من سرد الحوادث التاريخية ان اكشف من ورائها خصائص المرحلة الاجتماعية التي مر بها العراق . ولهذا قد يلاحظ القارئ في هذا الجزء ، كما لاحظ في الاجزاء السابقة ، كثيراً من التفاصيل الجزئية والطرائف التي لا يهمكم بذكرها المؤرخون عادة ، غير أنها من الناحية الاجتماعية ذات أهمية لا يستبان بها لأنها تكشف عن طبيعة القيم والعادات السائدة في فترة معينة من الزمن ، وعن مستوى التفكير الذي كان عليه الناس حينذاك .

ولابد لي هنا من أن اتحدث باختصار عن المصادر التي اعتمدت عليها دراسة تلك الفترة . فقد اعتمدت في الدرجة الأولى على بحوث المؤرخين ، ولكنني اعتمدت على مصادر أخرى أذكرها كما يلي :

(١) الوثائق البريطانية : وهي تتضمن المراسلات السرية التي كانت تجري بين الحكومة البريطانية ومعتمديها في الخارج كالسفراء والقناصل والمندوبيين والمقسمين وغيرهم . وكانت الحكومة البريطانية لاسمع نشر تلك الوثائق الا بعد انقضاء خمسين سنة عليها ، ثم خफضت المدة مؤخراً الى ثلاثين سنة . وقد وضعتها في دائرة خاصة بها في لندن مقتبساً للباحثين اسمها « دائرة الوثائق العامة » . و كنت قد زرت هذه الدائرة في صيف ١٩٧٣ واطلعت على الكثير من اضافاتها ، كما استحصلت على نسخ من البعض منها . ولا اకنم القارئ ، اني واجدت فيها من الاسرار ماجعلني

أغير رأيي في كثير من القضايا التي كنت واثقاً من صحة رأيي فيها قبل ذلك .

(٢) رسائل المس بيل : فقد كانت هذه الآنسة تتولى منصب السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي في العراق ، واعتقدت ان تسجل ذكرياتها في رسائل تبعها الى أمها أو ايتها او احد أقربائها واصدقائها . وقد نشر قسم من رسائلها في عام ١٩٢٧ - على أثر وفاتها - ثم تبين ان هناك قسماً آخر من رسائلها بقي مكتوماً غير مسموح له بالنشر ، وظل هذا القسم طي الكتمان حتى عام ١٩٦١ ، حيث نشر في جزئين كبارين . الواقع ان هذا القسم المنشور أخيراً يحتوى على اسرار لا تقل اهمية او غرابة عن اسرار الوثائق البريطانية . واني افضل رسائل المس بيل على الوثائق البريطانية من بعض الوجوه واعتبرها أصدق تصويراً للواقع ، فالوثائق تكون عادة ذات أسلوب رسمي جاف ولا تمثل الاحداث الا من جانبها الشكلي . أما رسائل المس بيل فهي حية مليئة بالحرارة وتعطينا كثيراً من الصور النفسية والاجتماعية التي يندر أن نجد لها مثيلاً في الوثائق . وهذا هو السبب الذي جعلني كثير الاعتماد على رسائل المس بيل والاقتباس منها في هذا الجزء .

(٣) الرسائل الجامعية : وهي الاطروحات التي قدمها بعض طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد وغيرها للحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه في التاريخ . واعترف ان هذه الرسائل افادتني في تأليف هذا الجزء فوائد لا تشنن ، وخاصة رسائل قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد .

(٤) مذكرات السياسة العراقيين : وهي كثيرة اذ هم تفوقوا فيهما على زملائهم في الاقطان العربية الأخرى . وهذه المذكرات قد تناقض في ذكر الاحداث ولكن تناقضها يعطينا وجهات نظر مختلفة حول الاحداث ، وقديساعدنا على فهم بعض خفاياها . ويجب ان لانسى ان بعض البريطانيين

الذين شاركوا في احداث تلك الفترة قد سجلوا مذكراتهم ايضا ، واعطونا بذلك وجهات نظر اخرى .

(٥) احاديث المسنين الذين عاصروا تلك الفترة : وهم كثيرون ولكنهم مع الاسف يتناقصون بمرور الايام . وبالواقع ان احاديث هؤلاء لا يستثنى عنها لفهم الاحاديث الماضية والكشف عن بعض الزوايا المهملة منها . وفي رأيي أن احاديث المسنين الاميين قد تكون انفع للباحث من احداث المتعلمين احيانا . فلتتعلم قد يحاول ان يصور الاحاديث بالصورة التي تلائم اتجاهاته الفكرية أو تحزبه السياسي، أما الامي فهو حين يتكلم عن الاحاديث يأتي بها كما شاهدها من غير تزويق ، وان روایته قد تكون سطحية ساذجة انما هي قد تكشف عن بعض النواحي الخفية من الاحاديث – تلك النواحي التي لا يهتم بذكرها المتعلمون عادة .

(٦) الجرائد المحلية القديمة : ولا حاجة بنا الى ذكر اهمية هذه الجرائد في دراسة الاحاديث الماضية ، ولهذا حرصت البلاد الراقية على حفظ مجموعات جميع الجرائد القديمة وتمكين الباحثين من الاطلاع عليها بسهولة ، ومن المؤسف اننا لم نهتم بحفظ الجرائد الا مؤخرا . وقد بذلك بعض مؤسساتنا الثقافية – كمكتبة المتحف والمجمع العلمي والمكتبة المركزية والمركز الوطني للوثائق والمكتبة الوطنية – جهودا كبيرة في شراء مجموعات الجرائد المتيسرة لدى بعض الاشخاص ، ودفعت فيها اثمنانا باهضة ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تستطع الحصول عليها كاملة . وقد يجد الباحث الآن صعوبة في العثور على العريضة التي يطلبها في بعض الاحيان .

الوثائق العراقية : فلدينا الان دائرة للوثائق العامة باسم « المركز الوطني للوثائق » ، ولكن هذه الدائرة جديدة اذ لم يبدأ بتأسيسها الا في عام ١٩٦٣ ، وهي تضم نحو نصف مليون اضيارة جمعت من مختلف دوائر

الدولة ، وأهمها أضابير البلاط الملكي ٠ ولكن هذه الدائرة تعاني مع الاسف نقصاً شديداً في الاختصاصيين والموظفين ، وقد تكونت فيها اضابير في غرف غير مناسبة بحيث يخشى عليها من التلف ، وقد تلف الكثير منها فعلاً ٠ لانكر أنها الآن في وضع أفضل جداً من وضعها القديم ٠ وعلمت مؤخراً أن الحكومة خصصت ثلاثة ملايين دينار لبناء مجمع وثائقى ، ونحن نرجو أن يتم البناء في وقت قريب ٠ فالوثائق ثروة علمية لا تُنسى ٠ وقد أتيح لي أن اطلع على بعض أضابير البلاط الملكي ، ولا سيما تلك الأضابير التي تخص الفترة التي أبحث فيها ، فوجئت فيها من الأمور ما يذهل ٠ ولو أن جميع الوثائق العراقية أصبحت ميسورة للباحثين لانكشف بذلك صفحات مجهولة ذات أهمية كبرى من تاريخ العراق الحديث ٠

حول قواعد النحو :

كنت في مقدمة الجزء الرابع من هذا الكتاب قد انتقدت النحو العربي وطالبت بتقليص قواعده لأنها كثيرة لفائدة فيها ٠ وقد أحدث هذا الانتقاد رد فعل لدى الكثيرين من القراء ٠ ولا بد لي هنا من توضيح موقفي من النحو مرة أخرى ٠

أرجو أن يعلم القارئ، أنني لست الوحيد في المطالبة بتقليل قواعد النحو ، فهي في الواقع ضرورة حضارية ملحة شعر بها الكثيرون ٠ وقد أشارت إلى ذلك جريدة « العلم » المغربية في ٣٠ آذار ١٩٧٤ حيث قالت ما نصه « النحو لازال رغم جهود أكثر من نصف قرن غير ميسر ولا زال حتى الآن موضوع أخذ ورد ، لذلك وجه اتحاد المجامع اللغوية العربية الدعوة إلى كل من مصر وسوريا والعراق لعقد ندوة في القاهرة خلال العام الحالي لمناقشة موضوع تيسير النحو ٠

لست أدرى ماذا حل بهذه الدعوة ، وهل تم عقد الندوة أم لا ٠ وإنني على أي حال أعتقد اعتقاداً جازماً بأنبقاء النحو على حاله مضى كل الضرر

بسيرنا الحضارية ويؤدي الى كثير من التبذير في جهودنا الفكرية دون ان ينفعنا شيئاً . وقد قال لي أحد المختصين بال نحو ان ثلاثة ارباع القواعد النحوية التي تدرس الآن في المدارس يمكن ان تلغى من غير ان يتبع عن ذلك أي ضرر . الواقع اني لا أفهم لماذا هذا التعصب لل نحو عند بعض مثقفينا مع العلم ان معظم القواعد النحوية انما اختلفها النحاة المرتزة في العصر العباسي وما بعده لكي يجعلوها أدلة للتباين الطبيعي ، أي لكي تسكن الطبقة اشرفة من التحذلقي لقها بحيث يصعب على السوقه مجاراً لهم فيها^(١) .

لا انكر ان القواعد النحوية موجودة في جميع لغات العالم ، وليس في العالم لغة من غير نحو ، إنما تفاوت اللغات فيما بينها في مبلغ مافي نحوها من سهولة او صعوبة . واني في زيارتى لبولندا مؤخراً وجدت لقها تميز بقواعد نحوية في غاية الكثرة والتعميد ، ولكن الذى لاحظته ان البولنديين لا يشعرون بصعوبة كبيرة فيها اذ هي قواعد مطبقة في اللغة الدارجة التي يتكلم بها الناس في حياتهم اليومية ، وينشأ عليها الطفل فيتعود عليها وتصبح عنده بمورى الزمن كأنها طبيعية . وهنا منشأ الفرق بينها وبين قواعد نحونا ، فان الطفل عندنا لا ينشأ عليها بل هو يتعلمها في المدرسة فقط ، وهو بعد اداء الامتحان فيها ينساها ، ولهذا لانجد بين المتعلمين من يستطيع الخطابة ارتجاعاً مع المرااعة التامة لقواعد نحو الا نادراً . واذا ظهر مثل هذا الشخص فإنه يشعر بأنه يملك موهبة ثمينة جداً ، وهو قد يسرع الى الصعود الى منصة الخطابة في كل مناسبة ، او بغير مناسبة احياناً ، لكي يظهر « عبريته الفذة » للناس .

اني - كما يعلم القارئ - كنت قد صممت على مخالفه قاعدتين من

(١) بحثت هذا الموضوع باسهاب في كتابي « اسطورة الأدب الرفيع ، المطبوع في عام ١٩٥٧ ، فليراجع .

قواعد النحو التي تدرس في مدارسنا وهم : (١) اعراب اسماء الاعلام
ال الحديثة كفيصل وأبو الحسن ومحمد علي ، (٢) حذف الياء من الاسماء
المتقوصة كسامي وكافي وراضي وساري ، والغريب ان بعض التحويتين
جاوزوني يقولون ان هاتين القاعدتين قد أجاز النحوة القدامى مخالفتهما
وانت لم تأت بشيء جديدا . فكان جوابي لهم : اذا كان ما تقولونه صحيحا
فلماذا اذن تدرس هاتان القاعدتين في المدارس ؟ ولماذا يرسب التلميذ اذا
خالنهما ؟ ان هذا معناه ان النحوة الحديثة أكثر تزمنا وتعصبا من القدامى .
ولست أدرى متى ينفرد الله الامة من هذه المحن ؟

شكرا :

لابد لي في هذه المناسبة من ابداء الشكر للذين اعانوني في تأليف هذا
الجزء ، وقد فاتني أن اشكرهم في الاجزاء السابقة ، وأخص بالذكر منهم
القائمين بشؤون مكتبة كلية الآداب ، والمكتبة المركزية ، ومكتبة المتحف ،
والمركز الوطني للوثائق ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة المجمع العلمي ، ومكتبة
الدراسات العليا في كلية الآداب ، ومكتبة قسم الاجتماع في كلية الآداب .
كما أشكر الشيخ مهدي الخالصي الصغير على اعاراته ايادي جميع الوثائق
والمذكرات المخطوطة التي في حوزته . وأشكر السادة الافضل : سليمان
الصفوانى وسامي خوندة وعبدالرازاق الفضلي واحمد الروى وعبدالحميد
اليسري وصاحب شوكت عبدالهادى الظاهر ، والمرحومين احمد زكي
البياط ومهدى البصیر ، على السماح لي بالاطلاع على مذكراتهما او
التحدث اليه عن بعض الاحداث التي شهدوها . فالى هؤلاء جميعا ، والى
غيرهم من لاتحضرني اسماؤهم في هذه الساعة ، أقدم شكري الجزيل .

الفصل الأول

إنشاء الحكومة العراقية

أشرنا في الجزء الخامس من هذا الكتاب^(١) الى ان السر برسي كوكس قد استدعي الى لندن في ٦ حزيران ١٩٢٠ - وكان يومذاك وزير امفوضاً لبريطانيا في طهران - للتشاور معه حول انشاء ادارة مؤقتة في العراق . وبينما كان كوكس في طريقه الى لندن نشب الثورة في العراق . وحين وصل الى لندن وجد فيها ضجة حول الثورة . يقول كوكس في تقرير له :

« عند وصولي الى لندن بعد بضعة ايام وجدت الرأى العام البريطاني قد اضطرب كثيراً من الوضع الذي وصلت اليه الامور في العراق ، وحصل هياج شديد لدى فريق من الصحف البريطانية اذ هي أخذت تطالب الحكومة بوجوب الجلاء عن العراق وايقاف الخسائر التي تتكبدها هناك . وكانت الحكومة البريطانية نفسها مضطربة جداً من جراء البرقيات المقلقة التي كانت ترد اليها من بغداد ، وكان هناك خلاف كبير في الرأى حول الخطوة المثلثى التي يجب اتباعها وعلى أي حال فقد كان واضحاً ان الثورة يجب ان تقع قبل اتخاذ اية خطوة في العراق . وأصبح السؤال السنى يشغل البال هو ماذا نفعل بعد عودة الاستقرار الى العراق ، هل نوقف خسائرنا وتترك الانتداب ونجلو عن العراق أم ننصب حكومة وطنية - اذا كان في الامكان نجاح مثل هذه الحكومة ؟ ولما سئلت عن رأيي في الموضوع بصفتي الضابط الموجود في الموضع الذي تجري فيه الاحداث ، كان جوابي ان الجلاء عن العراق لا يمكن التفكير به ، اذ ان ذلك لا يؤدي فقط الى التخلّي

(١) تأجل طبع الجزء الخامس لعدم استكمال البحث فيه ، وسوف يصدر قريباً - ان شاء الله .

عن العراق وعن سبعة او ثمانية ملايين باون من رؤوس الاموال المستخدمة من قبلنا في العراق ، انما يعد في الوقت نفسه خرقاً كبيراً لجميع التزادات التي قطعناها على انفسنا للعرب اثناء الحرب العالمية ، كما ان البلاد ستعود الى الفوضى والى الحكم التركى حالما ترك العراق . واخيراً فان جلاءنا عن العراق سوف يثير الكراهية النشطة ضدنا لدى السكان الذين غدرنا بهم ، وسوف تحتاج عندئذٍ الى فرقة عسكرية اخرى لتأمين جلاءنا من البلاد . اما عن السؤال حول احتمال النجاح في نصب حكومة وطنية فكان جوابي ان الامر يستحق المجازفة فيما اذا اعتبرناه الخيار الوحيد بدلاً عن الجلاء ، ولو اني لست واثقاً من ذلك كل الثقة . وبعد مناقشات طويلة سئلت هل انا مستعد لتحمل عبء انشاء الحكومة الوطنية في العراق فيما اذا استقر الرأي على ذلك ، فأجبتهم بالايجاب (٢) .

توديع واستقبال :

وافقت الحكومة البريطانية على اقتراح كوكس و Anatole به مهمة انشاء حكومة وطنية في العراق . وفي ٢٠ آب ١٩٢٠ غادر كوكس بريطانيا بحراً ترافقه زوجته وتلاته رجال لمساعدته في مهمته كان فيليب ادهم . وبينما كان كوكس في طريقه الى العراق كان السر ارنولد ويلسون الذي كان يشغل منصب المحاكم السياسي العام فيه بالوكالة يستعد لمغادرة . وفي ١٩ ايلول اقام السيد طالب التقى ببغداد حفلة توديعية لويلسون ألقى فيها جميل صدقى الزهاوى كلمة اطرب فيها على خدمات ويلسون للعراق ودم الثورة والثوار ، كما ألقى السيد طالب كلمة أخرى بمثل هذا المعنى . وقام ويلسون أخيراً فشكراً صاحب الدعوة والحاضرين وأبدى اسفه على عدم تمكنه من اتمام خدمته للعراق .

(2) Lady Bell (The Letters of Gertrude Bell) - London 1947
- P 426-427.

وفي اليوم التالي أقيمت حفلة أخرى في دائرة السكك الحديدية التي فيها ويلسون كلمة طويلة سجل نصها في مذكراته وفيها نسب سبب التوراة أولاً إلى السياسة البريطانية التي شجعت القومية في العراق دون أن ترسل أوامر محددة لانشاء حكومة محلية في الوقت المناسب ، وثانياً إلى زعماء المعارضة الذين وصفهم بـ «قلة البصر والتغبب والفوضوية»⁽³⁾ .

وفي ٢٤ ايلول غادر ويلسون بغداد بالقطار إلى البصرة ، ثم غادرها بعده السيد طالب من أجل استقبال كوكس . وفي مساء ١ تشرين الأول وصل كوكس وحاشيته إلى البصرة ، وكان في استقبالهم حشد كبير من الناس وفي مقدمتهم ويلسون والسيد طالب . وفي اليوم التالي أقيمت حفلة كبيرة في جدائق البصرة احتفاءً بكوكس حضرها الشيخ خزعل . وفي مساء اليوم نفسه أقام السيد طالب وليمة فخمة في قصره المطل على شط العرب في السيليات . وفي تلك الوليمة أهدي أعيان البصرة سيف شرف لويلسون بمناسبة مغادرته العراق ، كما خطب عبداللطيف المنديل وزارس الباججي في الثناء على الخدمات التي أسدتها ويلسون في العراق . وقد سجل ويلسون في مذكراته جزءاً من خطاب الباججي تنقل فيما يلي نبذة منه :

« ويؤسفني جداً أن تؤدي حمافات الأفراد العرب إلى إزعاج الأمة البريطانية في مهمتها المشرفة . لقد ارتكبت هذه الاعمال بسبب أحشام لا يمكن تحقيقها من جهة ، ولصالح شخصية من جهة أخرى . إن الحركة الحالية - يقصد الثورة - ليست عربية خالصة ، إنما هي حركة يختلط بها عنصر أجنبي كان مع الأسف الشديد ناجحاً في استغلال الشهرة والثروة والدماء العربية لمنفعته الخاصة من أجل اضعاف مركز بريطانيا العظمى في بلاد أخرى . فلا تقرروا بالظواهر التي هي خداع في الغالب

(3) Wilson (Loyalties) - London 1932 - vol. 2, P. 318-320.

ولا سيما في الشرق ٠ ولا تعتبروا الثورة الحالية التي تقوم بها بعض القبائل البدوية ثورة وطنية حقة تتنىد الاستقلال اذ لا يمكن ان تعتبر مثل هذه الحركة ممثلة لشعور المجتمع كله ٠ ان الاسر المستفيدة في بغداد لاتعطف على حركة خربت بلادها ٠ ان هذه هي مشاعر الناس الذين لآرائهم وزنها ، وهم يتلهفون الى نقل ما يفكرون ويشعرون به الى اولئك الذين يطالبون في بريطانيا بالانسحاب من هذه البلاد ٠ فهم لا يستطيعون ان يدركوا ان الانسحاب يعني أقل من اتهاك حرمة القانون وتدمير الشعب وما يعقب ذلك من انتشار الفوضى في اتجاه البلاد الامر الذي قد ينطوى على نشوب حرب آسيوية لا يمكن لبريطانيا ان تقف في معزل عنها»^(٤) ٠

وفي صباح اليوم التالي اصطف حرس الشرف على رصيف الميناء لتوديع ويلسون ٠ يقول فيلبي في مذكراته عن ويلسون : « وقد جرى لي حديث معه قبل الرحيل فوجده مستاء استياء مرا من سير الامور بوجه عام ، ومن نظام الحكم الجديد المقترن على الاختيار ، حيث ان ذلك كان يعني انتهاء احلامه المزوجة عن العراق كدرة لامعة في التاج البريطاني ٠ وفي الاخير كان الاسف يغمرني عندما رأيته يرحل ، حيث ان مزاياه العظيمة التي لامناقشة فيها قد تبدلت من اجل انحرافه الى الرأي ، وان البناء الذي حاول تشييده قد انهار فأصبح انقاضا بالية على مسمع منه ٠ والحقيقة من هذا القبيل لاسيما الى الرحمة فيها»^(٥) ٠

بين فيلبي والسيد طالب :

مكت كوكس في البصرة بضعة ايام ، وذهب بالطائرة الى الناصرية والعبارة والقرنة وقلعة صالح ، حيث تداول مع وجهاء المدن ورؤسائه

(4) Ibid - vol. 2, p. 321.

(5) جون فيلبي (ايام فيلبي في العراق) - ترجمة جعفر خياط - بيروت ٩٥٠ - ص ٣٨-٣٩ ٠

العشائر حول المهمة التي جاء من أجلها . وبعد ان اتم مداولاته غادر البصرة مع حاشيته بباخرة نهرية متوجها الى بغداد ، وكان في صحبته بالباخرة السيد طالب التقى .

جرى في الباخرة اللقاء وحديث خاص بين فيلبي والسيد طالب ، وكان فيلبي قد تعرف على السيد طالب قبل هذا في الاسكندرية بمصر ، وعندما التقى الآن في الباخرة اخذ السيد طالب يبوح له بسره وهو انه يطمع ان يكون ملكا على العراق تحت الرعاية البريطانية . وقد احتفظ فيلبي بهذا السر فلم يبح به لاحد حتى لرئيسه كوكس .

ويخيل لي ان فيلبي كان في ذلك الحين يريد ان يقوم بدور كالدور الذى قام به لورنس في الحجاز اثناء الحرب . ولعل فيلبي كان يبحث عن شخصية عراقية تساعدة في اداء هذا الدور على نحو مافعل فيصل مع لورنس . ومن الممكن القول ان فيلبي وجد خالته في شخصية السيد طالب . ان فيلبي بعبارة اخرى ربما كان يطمع ان ينال شهرة عالمية من طراز الشهرة التى نالها لورنس في مغامراته في البلاد العربية . تبين هذا مما كتبه فيلبي في مذكراته في وصف السيد طالب على اثر اجتماعه به في الباخرة ، فهو يقول في ذلك ما يلى :

« والحقيقة هى اتنى كان لي أمل كبير في مستقبله ، حيث كان من الواضح أنه ابرز شخصية في العراق في الذكاء وقوة الشخصية ، لكنه كان على جانب كبير من الطيش والغرور ولذا كان مرهوب الجانب عند الناس ومكروها من معظمهم . واذا كان في الامكان الاستفادة من مزاياه الحميدة واستخدامها استخداما تماما فاني كنت اتمنى له ان دوره سيكون ادارة مصائر العراق المستقل لعدة سنوات تأتى في ارجح المناصب التي تحتمها الظروف والاحوال - كمنصب رئيس وزارة مثلا أو رئيس جمهورية . ومنذ ذلك الحين أخذت أدربه على الاضطلاع باحد هذين

الدورين ويجب على ان اعرف هنا انه كان تلمساً ذا اصلية وقابلية بشرط ان تكون اليد التي تدربه فيها شني وقليل من الود والصداقة . وربما كما قد تتحقق معه لولا ان تتفق في سهل ذلك بعض المظروف الخاصة .^(٦)

والغريب انه في الوقت الذي كان فيه فيلي قد اكتشف السيد طالب وصم على تدريسه ، كانت المس بيل في بغداد قد بدأت تخوف من السيد طالب وتحاول تهديه ، والملئون ان ساسون حسقيل هو الذي جعلها تخوف من السيد طالب ، فقد كان هذا الرجل يمقت السيد طالب كل المقت ، وكانت المس بيل من جانبه شديدة الاعجاب بساسون حسقيل وتأثر بآرائه .

كانت المس بيل في ١٠ تشرين الاول تقول انها اجتمعت بساسون حسقيل قبل بضعة ايام وجرى بينهما حديث لطيف حول السيد طالب حيث قال لها بصراحة : ان الناس يكرهون السيد طالب ولكنهم يتظاهرون بمحبه خوفاً منه ، ولهذا فهم اذا علموا بان الانكليز يؤيدونه وافقوا على ذلك ظاهراً بغض النظر عما يكتونه في قلوبهم نحوه ، ويروى ساسون لها قصة شاهدها بنفسه عندما كان هو والسيد طالب عائدين الى البصرة باخرة واحدة في اواخر العهد الشمالي فيقول : صدقني ياخاتون ان اهل البصرة خرجوا كلهم الى المحمرة لاستقبال السيد طالب ، وقد كانوا كلهم بلا استثناء يغضونه ويرهبونه ، فكان اشدتهم بغضاً له اكثراً اظهاراً للود له ، فلقد كانوا يومذاك خائفين منه ، وسيكونون كذلك في هذا اليوم .^(٧)

لم تحب المس بيل ان يصل السيد طالب الى بغداد وهو في صحبة كوكس ، ذلك لأن السيد طالب عند وصوله مع كوكس سيذل جهده لكي

(٦) المصدر السابق - ص ٣٩ - ٤٠ .

(٧) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol: 2. P. 170- 171.

يظهر كأنه يتسلقه ويقدمه الى الجمود تحت رعايته . ولهذا ابرقت المسيل الى كوكس تقترح عليه أن يرسل السيد طالب الى بغداد قبله . وقد فعل كوكس ما اقترحه عليه المسيل حيث مكث هو وحاشيته في الكوت يوما واحدا وارسل السيد طالب الى بغداد بالقطار . وكان القطار يومذاك موجودا بين الكوت وبغداد .

وصول كوكس :

وصل كوكس وحاشيته بالقطار في ١١ تشرين الاول ، في الساعة الخامسة والنصف مساءاً، وقد أعد له استقبال فخم في محطة باب الشيخ ، وكان على رأس المستقبلين السيد طالب والجنرال هالدين . فاطلقت المدفع سبعة عشر طلقة وعزف الموسيقى العسكرية مقطوعة « يحمي الله الملك » والمقصود بها الملك جورج الخامس طبعا .

وبعدما تم تقديم المستقبلين الى كوكس تقدم الشاعر جميل صدقي الزهاوى فألقى قصيدة من ثلاثة واربعين بيتا مدح فيها الانكليز وذم الثورة . وهذه ايات نموذجية منها :

عد للعراق واصلح منه ما افسدا
وايش به العدل وامنح أهله الرغدا

ان العراق لسمود برؤيته
أبا له من بلاد العدل قد وردا

ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا
اثارة الشر فيه وهو ما قصدا

ظنوا الهدى في الذي جاؤوه من عمل
وقد يكون ضلالا ما يهدى هدى

قالوا عسى أن تليل الشعب ثورته
سعادة غير أن الشعب ما سعدا

فيالها فتة عباء ثائرة
قد عذبت من بنها الروح والجدا
احزم بناس رأوا في أرضهم فتا
فلم يكونوا من قاموا بها سندآ^(٨)

وبعد أن اتهى الزهاوي من قصيده ألقى كلمة في ذم الثورة ، وكان من جملة ما قاله : « قد زال ايها الاب المشفق بعده الامن الذي وطنه في ربوع العراق وأخذت الفتن والاضطرابات والمخاوف وباللاسف تحل مكانه فتعثت بالراحة الثالثة ... »^(٩) .

ولما اتهى الزهاوي من كلمته تكلم كوكس فقال : « ياجميل أفندي ، ويا ايها المندوبين . ان دولة انكلترا ارسلتني للمساعدة والاتفاق مع اشراف ورؤساء العراق لنجعل على الغاية المطلوبة للطرفين ، وتأليف الحكومة العربية حكومة مستقلة ببنظارة دولة انكلترا ، ولقد جئت لهذا المقصد ، ولكن مازال الاغتساش مستمرا ، طبعا لا يمكن العمل ، وانا حاضر عندما تحصل الفرصة وهذا شيء ييدكم »^(١٠) .

يبدو ان الاستقبال لم يجر على ما يرام ، وقد أشارت المس بيل الى ذلك في احدى رسائلها حيث قالت ان حفلة الاستقبال التي جرت في المحطة أغضبت الكثرين من وجهاء بغداد ورؤساء العشائر الذين كانوا مدعوين اليها ، فقد جاء بعض هؤلاء إليها في دائرة لها في اليوم التالي يشكون إليها من الاهانة التي لحقت بهم هناك اذ لم يسمح لدخول المحطة الا بعد

(٨) ابراهيم الواثلي (ثورة العشرين في الشعر العراقي) - بغداد ١٩٦٨ - ص ١٥٣ - ١٥٨ .

(٩) جريدة (العراق) - في عددها الصادر في ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠ .

(١٠) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) - صيدا ١٩٧٢ - ص ٢٥٢ .

قليل من المدعويين ، أما أكثرهم فقد حسروا خارج السياج في الغبار فلم يتمكنوا من مصافحة السر برسي كوكس . وقد قال لها شيخ محترم من رؤساء العشائر وهو في أشد الغضب : « اتنا جتنا حباً وطاعة ولكننا عندما حاولنا الاقراب من صاحب الفخامة دفعونا بعيداً » . وقد حصل هذا حتى لاخوة النقيب⁽¹¹⁾ . وتعلق المس بيل على ذلك قائلة : « وما زاد في الطين بلة ان الشخص الذي فعل هذا بالمدعويين هو الميجر ديلي أي نفس الرجل الذي اعتبره الجميع المسئول شخصياً عن ثورة الفرات العشائرية »⁽¹²⁾ .

الانكليز الغاضبون :

أصبح كوكس منذ وصوله الى بغداد يلقب بـ « التندوب السامي » وكان قبل ذلك يلقب بـ « الحاكم السياسي العام » . وكانقصد من ذلك الاشارة الى انه لم يعد حاكماً على العراق بل اصبح مندوياً عن بريطانيا لانشاء حكومة وطنية فيه .

عين كوكس المس بيل في وظيفة « السكرتيرية الشرقية » له . وأخذت المس بيل بالتعاون مع فيلبي تعمل على اعداد قائمة تضم اسماء مائة من الوجاهات لمقابلة كوكس ، كما اعدت قائمة اخرى بأسماء بعض الخاصة الذين يجب ان يتداول كوكس معهم تداولاً شخصياً حول نظام الحكم المنوى اقامته في العراق . وقد اشارت جريدة « العراق » الى الاجتماع الذي عقده كوكس مع الخاصة ، وكان قد جرى في صباح ١٣ تشرين الاول ، حيث تكلم فيه كوكس حول تشكيل حكومة مؤقتة ، فقام السيد ابراهيم الراوى فتكلم في وجوب معاونة الحكومة البريطانية ، ثم قام الشيخ كاظم الدجيلي فألقى كلمة مطولة شرح فيها سبب القلاقل الحالية - يقصد احداث الثورة - وقال انها نشأت من جراء عدم التفahم الذي أحدهه

(11) Lady Bell (op. cit.) - P. 455-456.

(12) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 173.

التطرفون من الجهتين ، فلو ان الفريقيين تساهموا وتفاهموا لكان في ذلك سعادة العراق (١٣) .

بينما كان كوكس يقوم بمعاداته كانت هناك فئة كبيرة من الموظفين الانكليز في العراق غير راضية عن هذه المداولات وعن السياسة الجديدة التي شرعت الحكومة البريطانية باتهاجها في العراق . يقول آيرلاند في هذا الصدد : ان كثيرا من الموظفين الاداريين كانوا يرتابون من تشكيل حكومة عربية حتى انهم كانوا لا يخفون مشاعرهم في معارضتها ، فقد كان أكثرهم مؤيدین وموالین لويسن ولرأيه في الدور الذي يجب أن تقوم به بريطانيا في العراق ولم يكن في وسعهم قبول وجهة النظر الجديدة التي جاء بها كوكس (١٤) .

لقد كان هؤلاء الانكليز المعارضون لخطبة كوكس متشبعين بما يسمى برسالة الرجل الايض في تمدين الشعوب ، فقد كان رأيهم ان العراقيين لو اتيح لهم الاستقلال التام في حكم انفسهم لاكل بعضهم بعضا ، ولهذا أصبح من واجب بريطانيا أن تستمر في حكم العراق مدة كافية الى ان يتعود العراقيون على الحياة المدنية الحديثة ويتركوا عاداتهم القبلية القديمة في الفزو والثار وسفك الدماء .

صدر في لندن في عام ١٩٢٣ كتاب يمثل وجهة النظر هذه لمؤلف اسمه توماس ليل كان موظفا في العراق في تلك الايام ، فهذا الرجل لا يكتفي بالقول ان العراقيين غير أكفاء للحكم بل يعمم القول على المسلمين كلهم ، وعلى الشيعة منهم بوجه خاص . فهو يقول في مقدمة كتابه ما نصه : « اني مقتنع اقتناعا قويا نتيجة اطلاع شخصي دقيق ان الدين

(١٣) جريدة « العراق » - في عددها الصادر في ١٧ تشرين الاول ١٩٢٠ .

(١٤) فيليب آيرلاند (العراق - دراسة في تطوره السياسي) - ترجمة جعفر خياط - بيروت ٩٤٩ - ص ٢١٧ .

الاسلامي ليس تقدماً ، وانه ذو اثر مضيق للشخصية ومخرب لكل نزعة في المواطنة او التماسك الاجتماعي او الطموح القومي . وقد دفعني هذا الاقناع الى القول بان الرجل المسلم ، وخاصة الرجل الشيعي ، لابد ان يبقى لسنوات عديدة غير لائق تماماً للحكم الذاتي ، وهو ائمـا يطلب الحكم الذاتي لانه يجد فيه فرصة لكي يتخلص من القانون والنظام ،⁽¹⁵⁾

ويوجه ليل اللوم الى كوكس واعوانه الذين اخذوا يشوهون سمعة ويلسون ويعدون سياسته السبب الاكبر في الثورة . ان ليل يعتبر ويلسون رجلاً عظيماً ، ويعزو سبب الثورة الى ان العشائر هي في ثورة دائمة ضد كل حكومة ، وانها قد وجدت نفسها في عهد ويلسون تخضع للنظام لاول مرة في تاريخها . ويقول ليل ان الثورة كان المفروض ان تحدث قبل الوقت الذي حدثت فيه فعلاً وان سبب تأخيرها يعود كله الى الجهود الدائبة التي بذلها ويلسون . ثم يقول ليل : « ليس هناك رجل يستحق التأييد الصهيوني من ابناء بلاده كالسر ارنولد ويلسون ، ولكنهم مع ذلك تخلوا عنه مرة بعد اخرى . فاقتربى عليه أولئك الذين هم في انكلترا ، وحتى أولئك الذين كانوا يعملون سابقاً تحت رئاسته . ان من سوء الحظ ان تشجع الهيئة الجديدة – يقصد بهم كوكس واعوانه – مشارع الناس ضد ادارة السر ارنولد ويلسون . فكان من اول اعمال هذه الهيئة استدعاء السويدي الملوث . . . واصدار العفو عن الذين عاقبهم ويلسون . أما الذين هربوا خوفاً من العقاب فقد طلب منهم العودة . وخففت الضرائب على الجميع ، فأخذ العرب يلهجون غالباً بمديح الحكومة » . ويقول ليل ان هذه السياسة الجديدة في تخفيف الضرائب ، ولا سيما على الشيوخ الذين قادوا الثورة ، سوف يكون لها اثارها على دافع

(15) Thomas Lyell (The Ins and Outs of Mesopotamia) - London 1923. P. 7.

الضريبة البريطاني دون ان يكون وراءها اي مبرر . ثم أبدى ليل الله
مما قام به احد المتحسينين من اعوان كوكس حين تكلم امام جمع من
البغداديين فاتقد ويلسون بشكل طائش من غير ان يتوقف لحظة ليفكر
في تأثير هذا الكلام على الازهان الشرقيه^(١٦) .

استمر كوكس سائرا في طريقه غير مكترث بمعارضة هؤلاء . فقد
كان يعلم مالا يعلمون . يقول آيرلاند : « لما كان السر برسي كوكس
مقتنعاً بأن الحالة تتطلب إما تأسيس حكومة عربية أو إخاء البريطانيين
للبلاط فقد مشى في طريقه برغم المناقشة التي اثيرت في الدوائر
الرسمية »^(١٧) .

اختيار رئيس الوزارة :

استقر رأي كوكس على ان يعمل في أول الامر على تشكيل وزارة
مؤقتة ، أما موضوع اختيار الامير او الملك للبلاد فقد أجله الى ما بعد
ذلك .

أن المشكلة الاولى التي واجهت كوكس في هذا الشأن هي : من
الذى ينبغي أن يتولى رئاسة الوزارة المؤقتة المنوي تشكيلها ؟ . وقد
اتجه تفكير كوكس في البداية الى ترشيح السيد طالب لرئيسة الوزارة
ولكن المشاورات التي أجرتها مع مستشاريه جعلته يغير رأيه^(١٨) .

كان من رأي كوكس ومستشاريه ان أفضل من يمكن ان يتولى
رئاسة الوزارة هو نقيب اشراف بغداد عبد الرحمن الكيلاني ، ولكن
المشكلة هل يقبل النقيب ان يفعل ذلك ؟

(16) Ibid (op. cit.) - P. 204-210.

(17) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢١٧ .

(18) المصدر السابق - ص ٢١٨ .

كان النقيب يومذاك في الثامنة والسبعين من عمره ومصاباً بداء المفاصل ، وكان فوق ذلك زاهداً بالدنيا ومناصبها ، وقد اعتاد أن يصف نفسه بـ « الدرويش » ، أضف إلى ذلك أنه كان يعتبر قبوله المناصب في ظل الحكم البريطاني مما يحط من مكانة الدينية في نظر اتباعه المتشرين في العالم . وقد ذكرت المس بيل في تقرير لها كتبته في عام ١٩١٩ أنها عرضت عليه أمارة العراق عائداً فرفض ذلك بشدة . فهى تقول في هذا التقرير : أنها زارتة في بيته في ٦ شباط ١٩١٩ وبعد حديث طويل معه وجهت اليه هذا السؤال : « اذا اقتضت الضرورة لاسباب سياسية لا يمكن التكهن بها مقدماً ، أن ينصب على رأس الدولة العراقية أمير من الامراء فهل يسعكم تبول هذه المسؤولية بمعونتنا وتعضيدنا لكي تتجنب انتخاب احد الامراء من الحجاز؟ » فكان جوابه وهو مصحوب بتأكيد شديد : « كيف يمكنك القاء مثل هذا السؤال عليّ؟ أنا درويش فهلا تعصمني عادتى هذه؟ » وأخذ يؤشر بالاشارة المعروفة بتحرير جبهة السوداء ، ثم استمر قائلاً : « ان صيروتى رئيساً سياسياً للدولة هي ضد أشد مبادئ عقيدتي تأصلاً ، ففي أيام جدى عبدالقادر اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين أنت وزملاؤك مشورتى الآن ، لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة . وسوف لا اوفق أنا ولا أي أحد من احفاده على ان تفعل ذلك . هذا جوابي من الوجهة الدينية ، لكنى سأعطيك جواباً يستند على اسباب شخصية . فاني متقدم في السن . وأرغب في أن اقضي الخامس او السادسة سنوات التى بقىت من حياتى في الدرس والتأمل ، حيث انهما مشغوليتى المستديمة » . وبعد سكوت قليل قال رافعاً صوته : « سوف لا أتراجع عما قلته الآن حتى اذا كان فى ذلك انقاد العراق من الدمار التام »^(١٩) .

(١٩) مس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) - ترجمة جعفر الخياط - بيروت ١٩٧١ - ص ٤٨٠-٤٨٠ .

مهما كان الحال فقد قرر كوكس ان يجرب حظه وان يذهب الى
النقيب بنفسه يعرض عليه رئاسة الوزارة . وقد ذهب اليه فعلا في يوم
٢٣ تشرين الاول . تقول المس بيل : إنها بينما كانت جالسة فـى
دائرتها مع فيلبي في ذلك اليوم اذ دخل عليها السر برسي كوكس وهو
يلهث من التهيج وهتف قائلا : « نعم ، لقد قبلها ! » وتعلق المس بيل على
ذلك قائلة : « وهكذا حصل اول نجاح ، ولم يكن هناك غير السر برسي
قادرا على القيام به ، والحق ان اقناع النقيب بـان يشارك في الامور العامة
شيء قريب من المعجزة . ان فرح السر برسي بهذا النجاح كان مساويا
لفرحنا نحن ، فبقينا نصف ساعة تتــاير من الفرح ونــجد النقيب كما نــجد
المندوب السامي » (٢٠) .

يواجهنا هنا سؤال مهم : كيف تمكــن كوكس من اقناع النقيب بــتحمل
مسؤولية رئاسة الوزارة . أو بــعبارة اخــرى ما هو السبب الذى جعل
النقيب يرضى بتــولى رئاسة الوزارة فى عام ١٩٢٠ بينما كان فى العام
الماضى يرفض امارة العراق رفضا بــاتا ؟

انا لــانجد في جميع المصادر التي بين ايدينا ما يكشف لنا عن سر
هذا التحول العجيب في موقف النقيب ، وهو سر جدير بالباحثين أن يدرسوا
ويــسيطوا اللثام عنه .

تشير بعض القراءــن الى ان كوكس انما استطاع اقناع النقيب عنــ طــريق ضربــه على بعض الاوتار الحساســة في قلبــه . فالمعروف عنــ النقيب
انه كان يمقــت الثورة والقائــمين بها مقتــا شديــدا كما كان يمقــت المجــتهدين
الذين ايدــوا الثورة بــفتاوــيهــم . وكان كذلك يشمــتــ من وضع مقالــيد الحكم
في ايدي كل من هــب ودبــ من الناس بل يرى وضعــها في ايدي الاشرافــ

(20) Lady Bell (op. cit.) - P. 460.

من ابناء الاسر وذوي النسب والحسب والملطون ان كوكس عندما ذهب الى التقيب يحادثه في أمر تشكيل الوزارة اخذ يضرب على مثل هذه الاوتار الحساسة ، وربما ذكر له ان قيامه بتولى المسؤولية أمر واجب عليه يفرضه الشرع والعرف وانه اذا لم يفعل كان مقصرا في واجبه نحو بلاده ومعقده الدينى . ويخيل لي ان كوكس قال له محذرا انه اذا لم يقبل تولي المسؤولية فسيضطر هو الى وضعها في أيدي اناس من الفتنة التي يمقتها مقتا شديدا ، وسيكون في ذلك خراب البلاد . يقول آيرلاند : ان كوكس ناشد التقيب بواجبه نحو البلاد وألح له عن المطامع الشخصية لدى الآخرين ومدى الضرر الذى سوف يقع من جرائها اذا لم يتول هو تشكيل الوزارة^(٢١) :

اختيار الوزراء :

بعد أن رضي التقيب بتولى رئاسة الوزارة ظهرت مشكلة أخرى هي اختيار اعضائها ، ولم تكن تلك بالشكلة الهيئة في تلك الظروف . فقد كان بعض الرجال المعروفين لا يقبلون بالاشتراك بالوزارة لاعتقادهم أنها تحظى من سمعتهم في نظر الناس ، كما ان رجالا آخرين كانت لهم أسباب أخرى تمنعهم من دخول الوزارة . وتحددنا المس بيل في رسائلها عن الصعوبة التي جابتها في اقناع بعض الرجال المرشحين . فهي تقول مثلا عن جعفر العسكري الذي رشح لوزارة الدفاع ، وكان قد عاد من سوريا منذ ايام قليلة ، انه جاء اليها يسألها عن رأيها فيما اذا كان اشتراكه في الوزارة سيحطم سمعته الوطنية لأن الوزارة سيعتبرها الناس لعبة انكليزية ، فقادت اليه المس بيل تلوجه بشدة على هذا القول ، وظللت تحاوره حتى اقنعته بالقبول^(٢٢) .

وبعد جعفر العسكري جاء دور السيد طالب فهو قد رشح لوزارة

(21) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢١٩ .

(22) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, P. 175.

الداخلية ، ولكنه كان متعظاً يشعر أن ذلك اهانة له لانه لا يستطيع ان يكون ذا مرتبة ثانوية حتى ولو بالنسبة للنقيب نفسه ، فحاولت المس بيل بالتعاون مع فيلبي اقناعه ، ولم يقتضي الا بعد ان طلب منهم ان يعلنوا انه يأتي بعد النقيب في المرتبة مباشرة ، فاذا تم رضي النقيب او مات حل محله ، وعلى اي حال فهو يريد ان تمنع له ارفع التشريفات ويحاط بحرس شخصي كبير^(٢٣) . ويقول فيلبي في مذكراته : انه كان في ذلك الوقت على اتصال دائم بالسيد طالب حيث اشار عليه بالصبر واوصاه بالاذعان لخطط كوكس من اجل ان يتم تشكيل الحكومة المؤقتة^(٢٤) .

وعندما تم اقناع السيد طالب اعلن ساسون حسقيل الذي كان مرشحاً لوزارة المالية امتناعه عن القبول . فقد كان هذا الرجل لا يحب ان يكون وزيراً مع السيد طالب في وزارة واحدة . وتصف المس بيل الجهد التي بذلتها هي وفيلبي وكلائيون لاقناعه ، فهي تقول في ذلك مانصه : « جاءني الميجر يتس لتناول الشاي عصراً ومه المستر تود وزوجته ، ففاجأنا المستر تود بقوله انه عندما ذهب لتهيئة ساسون افندي بوزارة المالية وجده هو وحمدي باشا يابان (الذي عرض عليه منصب وزارة بلا حقيقة) كليهما في حالة رفض . فترك فنجان الشاي دون ان اشربه واسرع عائداً الى الدائرة لاخبار المستر فيلبي . انه لم يكن هناك ولكنني لمحت نوراً في غرفة المستر برسي ، فذهبت اليه وخبرته . فأمرني بان اذهب حالاً الى ساسون افندي وكلفتني بمحاولة تغيير رأيه . فذهبت الى ساسون وانا اشعر كأنني احمل مستقبل العراق كله على يدي وحين وصلت الى بيت ساسون شعرت بالارياح لاني وجدت المستر فيلبي والكابتن كلائيون هناك . ذلك لأن النقيب عندما تسلم رسالة ساسون بالرفض ارسلهما اليه على وجه السرعة ، وقد وصلت انا في الوقت المناسب ، فانهما قد بذلا كل جهدهما

(23) Ibid - vol. 2. p. 177.

(24) جون فيلبي (المصدر السابق) - ص ٤٦ .

لاقناعه دون جدوى . واعتقد ان قلقى الشديد لابد قد اوحى لي شيئاً
لاقناعه لانه تأثر تأثراً محسوساً بعد ساعة من المجادلة المركزية معه على
الرغم من ان اخاه شاؤول (الذى احترمه واعجب به ايضاً) قد جاء وبذل
جهده ضدنا ٠٠٠ وقد استطعنا اخيراً ان نجعل ساسون افندى يوافق على
مراجعة فكره والاجتماع بالسر برسى غداً . اني كنت على يقين في قلبي
بان اللعبة قد كسبناها ولم انم تلك الليلة كثيراً ، فقد كنت أقلب في عقلي
الادلة التي جادلته بها وتساءلت هل كان في مقدوري الاتيان بأفضل منها .
وفي الصباح التالي ، يوم الخميس ، جاء ساسون افندى في الساعة العاشرة ،
فأخذته فوراً الى السر برسى وتركته معه . وبعد نصف ساعة خرج
واخبرنى بأنه وافق ٠٠٠^(٢٥) .

أعلن تشكيل الوزارة في ٢٥ تشرين الاول وكان اعضاؤها صنفين :
نصف يتتألف من وزراء عاملين وعددهم تسعة ، اما الصنف الآخر فعددهم
اثنا عشر وهم الذين وضفوا بانهم وزراء بلا مناصب وزارية ، او هم
حسب التعير الفرنسي « وزراء بلا حقائب » .

كان الوزراء العاملون هم : السيد طالب للداخلية ، وساسون حسقيل
للمالية ، وجعفر العسكري للدفاع ، وحسن الباجي للعدلية ، وعززت
الكركوكلى للمعارف والصحة ، ومصطفى الآلوسى للأوقاف ، وعبداللطيف
المديلين للتجارة ، ومحمد علي فاضل للنافعة . وقد اعتذر حسن الباجي
عن الاشتراك في الوزارة فحل محله في وزارة العدلية مصطفى الآلوسى ،
وحل محل الآلوسى في وزارة الاوقاف محمد علي فاضل . وبقيت وزارة
النافعة شاغرة حتى ٢٩ كانون الثاني ١٩٢١ – كما سنتهى اليه .

اما الوزراء بلا مناصب وزارية فهم : حمدى يابان ، عبدالجبار
الخياط ، عبدالغنى كبه ، عبدالعزيز الشاوى ، عبدالرحمن الحيدرى ، فخرى
الجميل ، محمد الصيهود ، عجيل السمر مد ، احمد الصانع ، سالم التخيمون ،

(٢٥) Lady Bell (op. cit.) - P. 460.

هادى القزوينى ، داود اليوسفانى . وقد اعتذر حمدى بابان وهادى القزوينى عن الاشتراك في الوزارة فحل محلهما ضارى السعدون ونجم البدراوى .

يقال ان تعيين هؤلاء الوزراء غير العاملين كان من بنات افكار النقيب انه كان يريد ان يجمع في وزارته اكبر عدد ممكن من ابناء الاسر القديمة . ومن طريق مايروى عنه في هذا الصدد انه عندما رشح فخرى الجميل ليكون احد هؤلاء الوزراء تردد كوكس في قبوله فقال له النقيب : « مولاي ، انه ابن فلان ، وجده فلان ، فبأى وجه اقابل اجداده في العالم الآخر اذا لم ادخله الوزارة » (٢٦)

وقد عين لكل وزير عامل مستشار بريطانى يسيره ويوجهه ، وتقرر ان يعرض الوزير جميع الاعمال الرسمية على مجلس الوزراء عن طريق المستشار ، وأن تنقل جميع مقررات المجلس الى الوزير عن طريق المستشار ايضا . وللمستشار الحق في حضور جلسات مجلس الوزراء حين يجرى البحث فيها حول أعمال الدائرة المختصة به ، وان يشارك في المناقشة دون ان يكون له حق التصويت (٢٧) .

كان المستشار في الواقع هو الحاكم الفعلى في كل وزارة تقريبا ، ولم يكن للوزير من أمر ونهى الا في نطاق محدود جدا . وقد أخذ بعض الوزراء يتذمرون من ذلك بينما سكت الآخرون وأطاعوا . وادرك الاهلىحقيقة النظام الجديد فصاروا يفضلون ان يراجعوا في معاملاتهم المستشار بدلا من الوزير ، اذ انهم كانوا واثقين من أن حاجاتهم لا تقتضى الا عن هذا الطريق . يروى ساطع الحصرى عن احد الوزراء وهو عزت الكركوكلي الذى كان في العهد العثمانى قائدا عسكريا انه قال له : « أنا فى كل الوظائف التى توليتها قبل اكتت أمرا مطلقا . ولكن بعد ان صرت وزيرا

(٢٦) خيرى العمرى (حكايات سياسية) - القاهرة ٩٦٩ - ص ٤٣ .

(٢٧) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢٢٢ .

هنا صار امرى لا يتعدى حدود هذا البارافان^(٢٨) .

وقد نظم معرف الرصافى في هذا الموضوع بين من الشعر بعنوان «حمام الوزارة» تناقلتها الأفواه في ذلك الحين هما :

الا بلغوا عنى الوزير مقالة
له بينما لو كان يخجل توبيخ
أراك بحمام الوزارة نورة
وأما جناب المستشار فزنيخ^(٢٩)

وقد اشار الى مثل هذا المعنى باقر الشيبى حيث قال في قصيدة له
نظمها بعدئذ :

المستشار هو الذى شرب الطلا
فعلم بما هذا الوزير تردد

مفاراتق البداية :

ووقع الاختيار على القشلة لكي تكون مقر الوزارات، غير انها كانت في ذلك الحين مشغولة من قبل الجيش الانكليزى ، وقد طلب كوكس من الجنرال هامبرو اخلاقها ولكن الجنرال تلکأ في ذلك وماطل ، ولم يتم اخلاقها الا بعد فترة غير قصيرة ٠

وعندما انتقلت الوزارات الى القشلة استحوذ السيد طالب على افضل الاجنحة فيها ليكون مقر لوزارته ، وهو الجناح الذى يقع فوق الباب الوسطى . وقد خصص السيد طالب غرفة واسعة بجانب غرفته للفيلبي الذى كان قد عين مستشارا له ، كما خصص غرفة واسعة اخرى لتكون ديوانا له يستضيف فيها زواره ويقدم لهم الطعام عندما يحين وقت الغداء . وكان السيد طالب يسكن يومذاك في دار قريبة من القشلة في محلة جديد حسن

(٢٨) ساطع الحصري (مذكراتي في العراق) - بيروت ١٩٦٧ - ج ١ - ص ٥١ ٠

(٢٩) معرف الرصافى (ديوان الرصافى) - بيروت - ص ٥١٤ ٠ - ٢٧ -

باثا ، فكان الطعام الفاخر يجلب من داره كل يوم الى غرفة الديوان لـه ولضيوفه .

والغريب ان أرداً اجنحة القشلة خصص لوزارة الدفاع ، فامتنع من ذلك وزير الدفاع جعفر السكري كل الامتناع . يقول فيلبي في مذكرة : « جاءني جعفر باثا يشكوا ، والدموع في عيونه لأنه كان رجلا حساساً شديد المصيبة ، من حشره هو ومستشاره الكولونيال ايدي في غرفة تشبه الاصطبل ليس فيها الاناث الذي يليق بالمكتب . ألم يكن هو وزير الدفاع مع لاشيء يدافع به ولا شيء يدافع عنه ٠٠٠ »^(٣٠)

خصص لرئيس الوزراء راتب شهري قدره سبعة آلاف روبيه ، كما خصص لكل من الوزراء والمستشارين ثلاثة آلاف روبيه . الواقع ان هذا الراتب كان يعد ضخماً جداً في تلك الايام . ولم يكن من المألوف في العهد العثماني ان ينال احد مثل هذا الراتب الا نادراً . ويروى ان وزير العدلية مصطفى الالوسي حين ذهب الى المصرف العثماني لقبض راتبه الاول وشاهد الرزمة الكثيرة من النقود الورقية التي قدمها المحاسب له ، سأله قائلاً : « أهذه الرزمة كلها لي ؟ » ولما أجابه المحاسب بالإيجاب رفع يده الى السماء بلا شعور وقال : « اللهم انصر الدين والدولة ! »^(٣١) .

وعلى أي حال فان السيد طالب لم يكن عليه ان يكون راتبه مثل راتب بقية الوزراء ، فذلك يخالف الشرط الذي اشترطه على الانكليز عند قبوله الاشتراك في الوزارة . وفي ٢٢ شباط ١٩٢١ أرسل المندوب السامي الى مجلس الوزراء اقتراحاً يجعل راتب وزير الداخلية خمسة آلاف روبيه اسوة براتب وزير الداخلية في استنبول . وفي ٢٧ منه اجتمع مجلس الوزراء للنظر في الاقتراح فقرر بالاجماع قبوله مع اضافة ألف روبيه

(٣٠) جون فيلبي (المصدر السابق) - ص ٤٨-٤٩ .

(٣١) خيري العمري (المصدر السابق) - ص ٤٥ .

اليه ، وبهذا صار راتب السيد طالب ستة آلاف روبيه^(٣٢) - أي ضعف
راتب الوزراء ، ولا يعلوه سوى راتب النقيب ٠

وتروى في هذا الصدد قصة طريفة جدا هي ان الوزراء كانوا قد
اتفقوا فيما بينهم قبل انعقاد المجلس على معارضته الاقتراح عند تقديمه
اليهم ، واخذ يشجع بعضهم بعضا على الصمود تجاه السيد طالب ٠ ولكنهم
عندما انعقد المجلس تخاذلوا تجاه نظرات السيد طالب المرعبة ، وكان اول
المتخاذلين ساسون حسقيل حيث سارع الى القول « موافق » ، ثم أخذ
الوزراء يقتدون به واحدا بعد الآخر حتى وصل الدور الى عبدالمجيد
الشاوى وكان معروفا بحسن النكتة ، فهو بدلا من أن يقول « موافق » قال
« منافق »^(٣٣) . وكان فى ذلك اصدقهم جميعا !

ومن الجدير بالذكر ان مجلس الوزراء كان ينعقد في دار النقيب
الواقعة على شاطئ النهر بجوار بنية المصرف الزراعي الحالية ، وسبب
ذلك ان النقيب لم يكن قادرًا على الخروج من داره لابتلاه بداء المفاصل ٠
وكان المجلس ينعقد مرتين في الاسبوع ، في يومي السبت والاثنين ،
فيتوجه الوزراء اليه بعد صلاة الظهر ، حيث يأتي فريق منهم راكبـا
بالسيارة ، وفريق بالعربة ، وأخرون على ظهور الخيل ، حتى اذا اتظم
عقدمهم وشربوا القهوة اشار النقيب الى سكرتير المجلس السيد حسين
افنان قائلـا له « اقرأ يا ولدى » . فيباشر السيد حسين بتلاوة الكتب الواردة
وبعد ان يتم المجلس مداولاته يدعوهم النقيب لتناول طعام الغداء عنده ،
ولا يقبل معدنة احد منهم ٠ فإذا فرغوا من تناول الطعام وارادوا الخروج
وقف السيد محمود الكيلاني ، وهو ابن النقيب الـاكبر ، عند الباب على
طريقة الولائم التقليدية : فهم يقولون عند الخروج « سفرة دائمة وبيت
عامر » ، وهو يرد عليهم بالعبارات المناسبة^(٣٤) .

(٣٢) عبدالرازق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) - صيدا ١٩٦٥ -
ج ١ ص ٢١-٢٢ ٠

(٣٣) خيري العمري (المصدر السابق) - ص ٤٥-٤٦ ٠

(٣٤) المصدر السابق - ص ٤٣-٤٦ ٠

بحر العلوم الطباطبائي :

كان كوكس راغباً منذ البداية في اسناد وزارة ذات حقيقة الى رجل من الشيعة ، وقد وقفت تجاه رغبته هذه عقبتان : اولاًهما ان النقيب وبعض الوزراء التنفيذيين لم يكونوا يوافقون على ذلك . والثانية هي ان الشيعة أنفسهم كانوا يحتقرن أي رجل منهم يقبل الاشتراك في الوزارة ، فاذا تجرأ أحد منهم ودخل في الوزارة نبذوه اجتماعياً وربما اهانوه . واذا كان هذا الرجل من رجال الدين اطلقوا عليه لقب « عالم الحفizer » ، اي صديق الانكليز او عيلهم .

تمكن كوكس اخيراً من اقناع النقيب والوزراء التنفيذيين بالموافقة على اسناد وزارة ذات حقيقة الى رجل من الشيعة . وفي ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ كتبت المس بيل تقول : المظنون ان الوزارة سوف يعاد توزيع المناصب فيها من اجل ادخال رجل شيعي فيها^(٣٥) . وما يلفت النظر ان هذا الذي ذكرته المس بيل حول اعادة توزيع المناصب الوزارية لم يتحقق الا بعد مرور اكثر من شهرين ، والظاهر ان هذا التأخير نشأ من جراء صعوبة العثور على رجل من الشيعة له مكانة اجتماعية ويرضى بالاشراك في الوزارة .

تم العثور اخيراً على رجل من اهل كربلاء يرضى بذلك اسمه السيد محمد مهدى بحر العلوم الطباطبائي . فأرسل اليه النقيب في ٢٤ كانون الثاني رسالة يذكر فيها اسناد وزارة المعارف والصحة اليه ، وفي ٤ شباط أجابه الطباطبائي برسالة مليئة بالعبارات التقليدية الطنانة ، وهذا نصها :

حضور جناب الأكمل الأفضل حضرة رئيس الوزراء نقيب الأشراف
والعظيم من صفة آل عبد مناف دام ظله وعلاه .

بعد السلام عليكم وعلى من يحظى شرفاً بخدمتكم ورحمة الله

(35) Lady Bell (op. cit.) - P. 464.

وبركاته ٠ لقد تشرفت اناملي اليوم باستلام أمركم الصادر علي المؤرخ
١٤ جمادى الاولى ١٣٣٩ مبتهمجا به حيث أنابني عن توجيه الطافكم على
مخالصكم واني لافتخر بخدمة الوطن والملة التي اصبحت زعيمها وعظميتها
 ولو لم يكن بها من الشرف الا امثال أوامركم لكوني فخرا وها أنسى
 مترب اجراء أمركم السامي سعيا على العين لاسعيا على القدم ٠

٢٥ جمادى الاولى ١٣٣٩ بحر العلوم زادة : محمد مهدي^(٣٦)
 كان عزت الكركوكلي يتولى حينذاك وزارة المعارف والصحة ،
 فجرى نقله الى وزارة النافعة بعد تبديل اسمها الى « وزارة الاشتغال
 والمواصلات » ٠ وفي ٢٢ شباط تم استناد وزارة الصحة والمعارف الى
 الظباطي ٠

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الظباطي كانت له خدمة سابقة
 في وظائف الحكومة في بداية الاحتلال ، حيث ورد اسمه في القوائم التي
 ذكرها ويلسون في ملاحق مذكراته ، فقد عينه الانكليز معاون حاكم
 سياسي في كربلاء في ١ شباط ١٩١٨^(٣٧) ٠ ومعنى هذا ان الظباطي كان
 من « علماء الحفيز » ٠

ازمة وزارية :

في اواخر تشرين الثاني ١٩٢٠ حدثت ازمة في الوزارة تعد اول
 ازمة وزارية في تاريخ العراق الحديث ، وكان مثيرها السيد طالب ٠ وتتمثل
 المس بيل سبب الازمة بان السيد طالب حين يش من مساعدة الانكليز له
 على نيل التاج العراقي أخذ يتظاهر بالوطنية وأعلن استقالته من الوزارة ٠
 تقول المس بيل في رسالة الى والدها مؤرخة في ٢٩ تشرين الثاني
 مانصه :

« نحن الان في أوج أزمة وزارية ٠ فان السيد طالب استقال وطلب

(٣٦) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٩٠

(٣٧) Wilson (op. cit.) vol. 2, p. 388.

أن نسمع له بالذهاب إلى لندن هو وأولاده ، وقدم لاستقالته حججاً واهية جداً . أما دوافعه الحقيقة فهي كما اعتقد انه أدرك اننا لأننو فرضه على الناس ضد رغبهم فأراد أن يجتذب اليه المترافقين وحتى الوطنيين الحقيقيين . ولهذا ألقى في مجلس الوزراء خطبة طويلة طلب فيها إعلان العفو العام . انه كان يتوقع من النقيب ان يرفض هذا الطلب ، وعندئذ سيظهر نفسه للناس بأنه وطني حقيقي وأنه كان على استعداد للعمل مع الانكليز ولكنه وجد ذلك مستحيلاً . وعلى اي حال فإن النقيب وعدة وزراء كانوا قد علموا بالأمر مقدماً ، وإن جعفر وساسون قضيا معظم الصباح في الحديث معي . واتخيل انهم سوف يتبنون منهج السيد طالب مع بعض التعديل ، وبذل يأخذون الريح من أشرعته . وقد اتفقنا في الرأي على ان استقالته تدعو إلى الاسف ، اذ هي تؤدي إلى هز الوزارة التي هي في وضع غير مريح . وفي الوقت نفسه اذا أصر السيد طالب على الاستقالة فإننا يجب ان نواجه ذلك بصلابة . فإننا اذا استطعنا الصدود تجاه هذه الضجة فسيكون تخلصنا من السيد طالب ذا فائدة كبيرة لنا بلا ريب ^(٣٨) .

ولم يكتفى السيد طالب باعلان استقالته بل اتصل بجريدة «الاستقلال» التي كانت في ذلك الوقت تتطق بسان الوطنيين ، وقد نشرت له الجريدة حديثاً قالت انه جرى بينه وبين احد محرريها . فقد سأله المحرر يستوضح منه خبر استقالته ، فأجابه السيد طالب قائلاً بأن الرأي العام ضد الوزراة الحاضرة ، وهو يعتقد ان الحكومة اذا لم يعارضها شعبها فانها لا يمكن ان تنجح في مهمتها . وذكر السيد طالب في حدثه انه قدم مطاليب مشروعة ومتعدلة من أجل نفع الامة والوطن ولكن هذه المطاليب حصل بعض التردد في قبولها ، فاضطر هو الى الاستقالة لكي تبقى صحته بضاءة كما كانت في أول امرها . ولما سأله المحرر عن ماهية تلك المطاليب ، أجاب : ان ذلك

(38) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 185-186.

سر لا يمكن افشاوه ولكن الرأى العام سيطلع عليه في الوقت المناسب ٠ نعم قال ان اكثريه الوزراء يقفون الى جانبه ٠ فسأل المحرر : هل ان استقالتهنهائية ؟ فأجاب : ان استقالته ليست نهائية وهو يمكن ان يرجع عنها حين يتتأكد من قبول مطالبه^(٣٩) ٠

وفي ٤ كانون الاول كتبت المس بيل الى والدها رسالة اخرى ذكرت فيها شيئاً عن استقالة السيد طالب وأثرها في الرأى العام ، وهي تقول :

« ان بهلوانيات السيد طالب تثير معظم اهتمامنا ٠ وقد اخبرتك عن استقالة السيد طالب وسجتها ٠ فان هدفه الوحيد هو التملق للوطنيين ٠ وقد أوضح موقعه بجلاء في حديث له مع محرر جريدة الاستقلال المتطرفة التي ظهرت بعد سحب استقالته ، حيث قال بأنه كان قد راقب الرأى العام بدقة فوجده ضد الوزارة الحالية ، وهو من جانبه قد قدم سلسلة من المطاليب التي يجب أن يعرضها مجلس الوزراء على السر برسي كوكس ، وكان من جملة هذه المطالبات عودة المنفيين واللاجئين ، ومنح حرية أكبر للوزراء في ممارسة اعمالهم الخ ٠٠٠ ولكن هذه المطالبات لم ينظر اليها زملاؤه الوزراء بعين القبول ، ولهذا وجد من واجبه كوطني ان يستقيل وهو يأمل من زملائه أن يقتدوا به في الاستقالة اذا كانوا يحبون وطنهم ، ثم أمسح بضمون الى انه سيعيد النظر في موقفه في حالة موافقة المجلس على مطالبه ٠ وفي الحقيقة ان مناورات السيد طالب قد دعمت موقفه بين الشباب العرب الذين كانوا يمقتوه من قبل » ٠

وأضافت المس بيل الى ذلك قائلة : ان ساسون حسقيل وعبدالمجيد الشاوي كانوا الوحيدين اللذين وقفوا حقاً ضد السيد طالب في المجلس ، أما جعفر العسكري فقد وافقه على لعبته ٠ وهي تدل ذلك بأن العسكري انا فعل ذلك لكي يوجد له طريقاً فيما بعد ولا سيما عند عودة العراقيين من

(٣٩) جريدة « الاستقلال » في عددها الصادر في ١ كانون الاول ١٩٢٠ ٠

سوريا . وتنقل المسيل قولا قاله حسين افنان في وصف لعبه السيد طالب هو : « ان السيد طالب قضى ثلاثة سنّة قبل هذا في مكايضة أدهى الموظفين الاتراك وعرف كل صغيرة وكبيرة من فن اللعبة »^(٤٠) .

وعلى أي حال فان السيد طالب لم يستمر في لعبه طويلا . ففي ١٨ كانون الاول كتبت المسيل قولا : « جاءني السيد طالب اليوم ، وهو يوم الاحد ، ويجب ان اعترف انه احدث انطباعا حسنا لدى » . فانه اخبرني بصرامة بأنه يرغب في ان يكون امير العراق . واخذنا تداول حسول وضعه بتفصيل ، وظنت انه ابدى حكمة وتعلا . وبعد هذا بدأنا تحدث عن الجريدة الوطنية - تقصد جريدة الاستقلال - التي اصبحت الآن بالشفيق تماما ومن المحتمل انها تقضي المساعدات المالية . فانه يفكر اتنا يجب ان ننقلها ، واعتقد ان رأيه هذا صحيح وسوف انقله الى السر برسى غدا .^(٤١) .

جريدة الاستقلال :

ان جريدة « الاستقلال » - كما أشرنا اليه آنفا - كانت تنطق بلسان الوطنيين . والواقع ان هذه الجريدة لم تكن جريدة اعيادية بل كانت شبه منظمة سياسية يجتمع في دارها الوطنيون ويساهمون في كتابتها . انها كانت أول جريدة معارضة للسياسة البريطانية في العراق .

صاحب الجريدة هو عبدالغفور البدرى، وكان في اثناء الحرب ضابطا وانضم اخيرا الى الثورة العربية . وهو لم يستطع الحصول على امتياز الجريدة الا بعد تردد ومقاطلة من المسؤولين . وقد صدر العدد الاول منها في ٢٨ ايلول ١٩٢٠ . وكانت ادارتها على شاطئ النهر في جانب الرصافة قرب المحكمة الشرعية العالية .

لم يكن عبدالغفور البدرى يتقن الكتابة ، او لعله لاقدرة له على

(40) Ibid - vol. 2. p. 188-189.

(41) Ibid - vol. 2. p. 129.

الكتابة كما قيل ، ولكنه كان رجلاً ذا حزم ورأي واستطاع أن يجمع حوله عدداً من الكتاب ليساهموا في تحرير جريده ، وكان من جانبه يتتحمل تبعه ما يكتبون ويحميهم . وكان رئيس تحرير الجريدة في أول امرها قاسم العلوى ، ويساعده في التحرير كثيرون منهم علي محمود الشيخ علي وطالب مشتاق ومهدى البصیر وسامي خونه ورشيد الصوفى وعونى بكر صدقى وحسين الرحال ومصطفى علي وباقر الشبيبي وسلمان الشيخ داود وأحمد جمال الدين وفهمى المدرس وعبداللطيف حبيب وخیرى حماد الفلسطينى وغيرهم . ويقول رفائيل بطى في وصف هذه الجريدة : « كان المرء يحسن وهو في ادارة هذه الجريدة انها مؤسسة شعبية وطنية ونادى سياسى مكتظ بالكافحين ، حركة نشطة يشتراك فيها جماعات من الاهلين من طبقات الشعب ، هذا يتبرع بالمال ، وذاك يكتب ، وآخرون يتبرعون بتسخير ادارة الجريدة ، وذلك يبدى الافكار ويوجهه . وتلف الجميع حماسة جارفة ٠٠٠ حتى ان (لاقته) الجريدة على باب الادارة كتبت بالالوان المربعة (الايض والسود والاخضر والاحمر) وهى ألوان العلم العربى الذى حمل ابان الثورة فى الحجاز ، قبل أن يرفرف فى سماء العراق علم عراقي » . ويضيف رفائيل بطى الى ذلك قائلاً : « وهناك حقيقة يحسن تسجيلها هي ان صدر حكومة الاحتلال الانجليزية كان رجأ ازاء ما تكتبه جريدة الاستقلال ، فأفسحت مجالاً لا يأس به من حرية الصحافة مما لم نجده بعد ذلك مراعى دائمًا في عهد الاستقلال »^(٤٢) .

وقد أعطتنا المس بيل في احدى رسائلها وصفاً عجياً للجماعة التي كانت تتلف حول جريدة « الاستقلال » حيث قالت : « ان القوميين التقديمين هنا ، وهم الذين لا يريدون الاتراك ولكنهم غير راضين عن وضعهم الحاضر ، يستعملون اسطورة البعد التركي على أمل ان يأتي الاتراك لآخر ارجنا من البلاد ثم يأتون هم بدورهم ليخرجوا الاتراك منها

(٤٢) رفائيل بطى (الصحافة في العراق) - القاهرة ٩٥٥ - ص ٦٠

ان الذين يفكرون بمثل هذا التفكير هم جماعة صغيرة ولكنها ذات صخب ، وعندهم جريدة تنطق بلسانهم تسمى « الاستقلال » وان معظم كتابها وأتباعهم أشخاص لا تستطيع أية حكومة استخدامهم ، ولو أنها خرجنا من البلاد لصاروا ضد الذين يأتونه بعدها ،^(٤٣)

كانت جريدة « الاستقلال » تكثر من تردید اسم الامير فيصل على صفحاتها ، وتطلب في مدحه وتبدي تأثيرها لما جرى على سوريا عقب اخراجه منها . وكانت فوق ذلك تشير بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى ان فيصل هو المرشح اللائق لمرشح العراق . وقد نشرت في ١١ آب ١٩٢٠ برقة مصدرها لندن فحواها ان فيصل في طريقه الى سويسرا لمقابلة رئيس الوزارة البريطانية الموجودة هناك للسادولة في شأن اجلاسه على عرش العراق . ولا حاجة هنا الى القول بأن هذا الالحاح من الجريدة على ذكر فيصل كان يستفز السيد طالب وينقضيه .
يروي طالب مشتاق في مذكراته : ان السيد طالب عرض على عبدالغفور البدرى اثنى عشر ألف روبيه لقاء الامتناع عن ذكر فيصل ، فرفض البدرى ذلك^(٤٤) .

ويروي سلمان الشيخ داود الذى كان من محرري الجريدة كما أسلفنا : ان السيد طالب عندما قدم استقالته استدعاه وعرض عليه اوراقا تتضمن استقالته وشكواه من تدخل المستشارين وقال له ان فيليبي والمس بيل راجعاه واقنعاه لسحب الاستقالة وأنه وعدهم بذلك . ثم طلب السيد طالب من سلمان أن يكتب في الجريدة مقالاً في مدحه وفي الاشادة بوطنيته ، ولكن سلمان لم يفعل ما طلبه منه السيد طالب بل فعل العكس من ذلك^(٤٥) . فقد ظهرت الجريدة في اليوم التالي تحمل مقالاً بعنوان

(43) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 205.

(44) طالب مشتاق (اوراق أيامى) - بيروت ١٩٦٨ ج ١ ص ٩٦ .

(45) خيري العمري (شخصيات عراقية) - بغداد ١٩٥٥ - ج ١ ص ٣٨ .

« أريد حياته ويريد موتي » وكان مقالا يتضمن هجوماً شديداً على السيد طالب من دون ذكر اسمه إنما يشير إليه اشارة تدل عليه بوضوح^(٤٦) .

صار السيد طالب يتحين الفرصة للايقاع بجريدة « الاستقلال » ومحررها . وقد واتته الفرصة أخيراً في ٩ شباط ١٩٢١ ، ففي ذلك اليوم كان بعض المنفيين في جزيرة « هنجام » قد عادوا إلى بغداد بعد اطلاق سراحهم وكان من بينهم أحمد الشبيخ داود وحصري الشبيبي وعارف السويفي ومحمد مصطفى الخليل ونورى فتاح وغيرهم . فأصدرت الجريدة مدةً خاصاً بتلك المناسبة كتبت في صدره عنواناً مثيراً بالخط العريض هذا نصه « نهنى ، الامة العراقية بقدوم بعض منفيانا الكرام ونطلب ارجاع جميع المنفيين بلا استثناء كما انا نواصل الطلب في تنفيذ سائر المواد السبعة » .

ثم ذكرت الجريدة تحت هذا العنوان منهاجاً للكفاح السياسي يتضمن سبع مواد منها اطلاق حرية الصحافة والمجتمعات ، واصدار العفو العام ، والغاء الادارة العرفية . ولم يكدر هذا العدد ينتشر بين الناس حتى صدر الامر من وزارة الداخلية بإغلاق الجريدة وتوقيف صاحبها مع أحد عشر رجلاً من أعوانه .

لم يمكن الموقوفون في الحبس مدة طويلة ، فقد توسيط مستشار العدالة بونهام كارتر في أمرهم ، واستطاع أن يطلق سراح سبعة منهم .

ثم أبعدت الحكومة اثنين آخرين منهم ، أما الثالثة الباقون وهم عبد الغفور البدرى ومهدى البصیر وقاسم العلوی فقد سيقوا الى المحكمة ، وتعتبر محاكمةهم أول محاكمة صحافية في تاريخ العراق الحديث . وقد حكمت المحكمة على البدرى بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة سنة واحدة ، وعلى البصیر لمدة تسعة أشهر ، وعلى العلوی لمدة ستة أشهر . كما نسربت المحكمة تعطيل جريدة « الاستقلال » لمدة سنة كاملة .

^(٤٦) جريدة « الاستقلال » في عددها الصادر في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٠ .

يتحكى ان السيد طالب مر على عبدالغفور البدرى وهو يعمال فى تكسير الاحجار في الشارع مع السجناء العاديين ، فقال له : « أيسجيك هذا ياعبدالغفور ؟ » فاجابه البدرى : « ليس أحب الي من التعذيب في سبيل وطني وشعبي ، امضوا في تعذيبكم ما شاء لكم الهوى ، والويل لكم من الشعب ! »^(٤٧) .

العائدون :

كان في سوريا عدد كبير من الضباط والموظفين العراقيين الذين كانوا في خدمة الحكومة الفيصلية فلما سقطت تلك الحكومة على أثر معركة ميسلون فقدوا وظائفهم وصار الكثير منهم في ضيق معاشى شديد . كان جعفر العسكري أول من عاد منهم إلى العراق ، وقد وصل في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٠ حيث تولى وزارة الدفاع - كما ذكرنا من قبل . وصار العسكري يلح في مجلس الوزراء لكي تبذل الحكومة مساعدتها في تعجيل عودة الباقين بالنظر لحالتهم المعاشرة السيئة من جهة ولجاجة العراق إلى خدماتهم من الجهة الأخرى^(٤٨) .

استحصلت الحكومة من القنصل الفرنسي ببغداد قائمة تحتوي على ٢٤٠ اسماء الضباط العراقيين الموجودين في سوريا . وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ أبرق كوكس إلى لندن يطلب الاذن بتسهيل عودتهم . وفي منتصف شباط ١٩٢١ وصلت إلى بغداد أول جماعة منهم كان في مقدمتهم نوري السعيد الذي عين وكيلًا لوزير الدفاع جعفر العسكري . ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد أن نوري وجعفر كانوا متصاہرين إذ كان كل منهما متزوجاً من أخت الآخر .

كتبت المس بيل في ٢٤ شباط تقول : « شهد الأسبوع الماضي الوصول

(٤٧) فائق بطى (اعلام في صحافة العراق) - بغداد ١٩٧١ - ص ١٧٣ .

(٤٨) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢٢٥ .

الاول لمناصر جديدة هم الضباط العراقيون الذين كانوا في سوريا وبدأوا
يعودون . وكان أول من جاء منهم نوري باشا زوج أخت جعفر ٠٠٠

وفي اليوم التالي لوصوله تلفن لي جعفر يسألني متى يستطيع نوري
لقاء السر برسي . فطلب السر برسي منها المجيء حالاً وتناول طعام
الفداء عنده . فجاءا في الساعة الثانية عشرة وجلسا ساعة معي . وقد
دعوت الكابتن كلايتون الذي كان يعرف نوري ويحبه . وجاء المجرس
موراي ، وجرى بينهما حديث مهم جداً^(٤٩) . وأخذت المس بيل
تقارن في رسالتها بين جعفر العسكري ونوري السعيد ، فقالت : « ان جعفر
وكل طيب تحفظه أرفع المثل ، وتموزه القوة . انه في طبيعته رجل متسامح ،
بدين جداً ، مع ابتسامة مشرقة ، وهو يستجيب فوراً للصداقة والتعاطف ،
ويمنحك في الحال ثقته . ومن العجيب ان رجلاً» بمثل هذه المميزات
البدنية والذهنية يكون متحمساً في اعتقاداته السياسية . ولكنه ليس لديه
ما يجعله معروفاً بذلك لدى الجمهور . فهو لم ينجح في اجتذاب المتطرفين
الشبان في بغداد وفي اقاعهم بتراثنا على نحو ما هو مقتضي بها . أما صهره
نوري فهو يختلف عنه تماماً ، ففي اللحظة التيرأيته فيها ٠٠٠ أدركت
أننا نواجه طاقة قوية ومرنة وان علينا اما ان تتعاون معه او ندخل معه في
صراع شاق - شاق جداً للانتصار عليه^(٥٠) .

أخذ جعفر ونوري يعلمان مما تسهيل عودة العراقيين من سوريا
وإيجاد الوظائف المناسبة لهم . وفي ٦ آذار وصل عن
طريق البحر ١١١ ضابطاً عراقياً مع افراد عائلاتهم .
وفي ١٤ منه وصل عن طريق الصحراء ناجي السويدي مع
خمسة عشر شخصاً . وفي ٣ تشرين الثاني وصل توفيق السويدي . وفي

(49) Lady Bell (op. cit.) p. 476.

(50) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P 209-210.

٢١ منه قرر مجلس الوزراء تخصيص ٧٥ ألف روبية لاعادة بقية الضباط العراقيين الذين ظلوا في سوريا لعدم توفر نفقات السفر لديهم ٠

وفي الوقت نفسه أخذ العراقيون الذين كانوا موجودين في تركيا يعودون الى العراق^(٥١) ، وهم من الموظفين السابقين او الضباط او التجار او الطلاب ٠ وكانت قد وصلت قبلئذ^٠ أول دفعه من الاطباء العراقيين الذين درسوا الطب في اسطنبول ، وهم : هاشم الوترى وفائق شاكر وسامي شوكت وشاكر السويدي واسمعائيل الصفار وصائب شوكت وشوكت الزهاوى وغيرهم^(٥٢) ٠

من الوظائف :

كانت الوظائف الحكومية في بداية الاحتلال البريطاني يشغلها موظفون بريطانيون وهنود في الغالب ٠ وكان قليل منهم عراقيين ٠ وعند تشكيل الوزارة التقى الموقف بذات السياسة تجاه نحو تقليص عدد البريطانيين والهنود ، وتكميل العراقيين ٠ يقول فيليبى في مذكراته : انه عندما تولى منصب مستشار وزارة الداخلية وجد عدد الضباط البريطانيين الاداريين يبلغ ١٣٠ فعمل على تخفيفه الى ٤٠ ٠ وقد منح الذين اخرجوا من وظائفهم اكراميات سخية لكي يتسع لهم تدبير شؤونهم حتى يمكن لهم الحصول على وظائف اخرى^(٥٣) ٠

وفي ٦ كانون الثاني ١٩٢١ تأسست قيادة للجيش العراقي في مقر وزارة الدفاع من عشرة ضباط ، وأخذ الجيش ينمو منذ ذلك الحين بما يتناسبه وتشكيلاته ، وصار الضباط العاملون من سوريا يسألون

(51) Report on Iraq Administration . October 1920 - March 1922 .
P. 7.

(52) هاشم الوترى ومصر خالد الشابىدر (تاريخ الطب في العراق) -
بغداد ١٩٣٩ - ص ٥٠ ٠

(53) جون فيليبى (المصدر السابق) - ص ٤٦-٤٧ .
- ٤٠ -

تلك المناصب شيئاً فشيئاً . وفي الوقت نفسه أخذ مجلس الوزراء يصدر التعيينات انتعاقة ملء الوظائف الادارية في الالوية . وقد كتبت المسيل في ٧ شباط تقول : « ان المجلس قرر عدداً من التعيينات في المناصب الادارية في الالوية - متصرفين وقائم مقامين . وكان الكثير منهم صالحين الى حد ما . وان السر برسي يوافق على التعيينات عندما يصر النقيب ، وأظن انه مصيبة في ذلك . فانا يجب أن نجلس ونرى كيف يرتكبون الاخطاء . ان كل التعيينات تصدر من وزارة الداخلية »^(٤) .

وفي ٢٧ شباط وافق مجلس الوزراء على الاستغناء عن الموظفين المهدود تدريجياً وتعيين موظفين عراقيين بدلاً عنهم^(٥) . وبهذا أصبحت أبواب الوظائف مفتوحة للعراقيين ، فأسرع لاغتنامها العائدون من سوريا وتركيا كما أسرع اليها الموظفون السابقون الذين فقدوا وظائفهم على اثر انسحاب الاتراك من العراق . وذكرت المسيل ان السيد طلب حدتها عن الحاجة الفورية لسد افواه رواد المغاهي من الموظفين العدامي والضباط ، وقال عنهم انهم الان فقر مدحع ولا بد من اسكاتهم بتعيينهم في وظائف حكومية . وقد وافقت المسيل على رأيه هذا موافقة تامة^(٦) .

والملاحظ بوجه عام ان العائدين من سوريا حصلوا على جصة الاسد من الوظائف العالية مما أثار عليهم حنق أبناء الأسر المعروفة الذين كان يحتكرون كثيراً من تلك الوظائف في المعهد التركي . فلقد كان العائدون في الغالب من اسر متوسطة او فقيرة ، وقد حدث صراع حفي بينهم وبين ابناء الاسر المعروفة واستمر هذا الصراع مدة طويلة ، كما سأليت اليه في حينه .

(٤) Lady Bell (op. cit.) . P. 474.

(٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ص ٢١ .

(٦) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, P. 192.

ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد أن اليهود استطاعوا ان يحصلوا على حصة كبيرة من الوظائف في ذلك الحين . ويعزى ذلك الى سببين ، اولهما : ان اليهود كانت لديهم مدارس خاصة بهم ذات مستوى تعليمي لا يأس به حيث تعلموا فيها اللغات الاجنبية ومسك الدفاتر وغيرها من المواضيع التي كانت يومذاك من الامور النادرة في العراق ، ولهذا فقد اعتبرتهم الحكومة أكفاء لتولي الوظائف التي تحتاج الى خبرة في تلك المواضيع . والسبب الثاني هو ان الانكليز كانوا يعتبرون اليهود من انصارهم والمؤيدین لحكمهم في العراق ، فساعدوهم على دخول الوظائف . ويمكن أن نضيف الى ذلك سبيلاً ثالثاً هو شخصية زعيمهم ساسون حسقيل الذي تولى وزارة المالية وكان الانكليز يحترمونه كثيراً ، فقد دأب هذا الرجل على ملء الكثير من وظائف وزارته وغيرها بأفراد من قومه اليهود . يقول ساطع الحصري في وصف ساسون : « لاشك أنه كان أذكي الوزراء » وأعرفهم في شؤون الحكم .. ولكن ابعدهم عن التفكير في مصالح البلاد . فان مصلحة طائفته الاسرائيلية كانت تشغل الموضع الاول في تفكيره وفي عمله^(٥٧) . وحدثني رجل اثق به أنه شهد مرة مشادة عنيفة بين ساسون وعبدالمحسن السعدون حول تعيين اليهود في الوظائف ، اذ كان السعدون في أشد حالة من الحنق والغيفظ تجاه الحاج ساسون وتوسطاته المتوعنة في هذا الشأن .

المرجعية الشيعية :

عند نشوب ثورة العشرين كانت المرجعية الدينية لدى الشيعة قد انحصرت في المراza تقى الشيرازي الذى كان يسكن كربلاء . وقد ساعد هذا الرجل على قيام الثورة وقادتها مساعدة فعالة كما هو معروف . وقد

(٥٧) ساطع الحصري (المصدر السابق) - ج ١ ص ٥٢ .

مات في ١٧ آب ١٩٢٠ عندما كانت الثورة في عنوانها • فانتقلت المرجعية الى الشيخ فتح الله الاصفهاني الملقب بـ «شيخ الشريعة» وكان يسكن النجف • واستمر هذا على مساعدة الثورة والاشراف عليها حتى آخر أيامها • غير انه لم يبق بعده الا قليلاً ، حيث مات في ١٨ كانون الاول من العام نفسه •

كان هناك ثلاثة مجتهدين مرشحين للمرجعية عند موته شيخ الشريعة : اثنان منهم يسكنان النجف هما السيد ابو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين الثاني ، وواحد يسكن الكاظمية هو الشيخ مهدى الخالصي • وقد كان الخالصي اكبر الثلاثة سناً ، وكان زميلاه يعترفان بعماكنه فيما ويختربان رأيه في كثير من الاحيان • وكان هو يمتاز عليهما بكونه عربياً من اسرة عراقية عريقة ، غير انه حصل على الجنسية الایرانية في المهد الشماني من اجل التخلص من الجنديه ، على نحو ما فعل الكثيرون ، بينما ظل في ملبيه ومسلكه ولهجته عربياً عراقياً •

ويمتاز الخالصي ايضاً بأنه كان شديد الاهتمام بالسياسة ويعدها جزءاً لا يتجرأ من الدين • انه كان يعتبر الدين له ظاهر وباطن ، فظاهره العبادات والشعائر ، أما الباطن فينحصر في السعي لتخليص البلاد الاسلامية من سلطط الكفار • وقد كان يفضل حكم الاتراك على حكم الانكليز ، فاولئك مسلمون وهؤلاء كفار ، والحاكم المسلم في نظره ولو كان ظالماً خيراً من الكافر العادل • فالخالصي بهذا يخالف رأي ابن طاووس الذي افتى به قدি�ماً وهو ان الكافر العادل خير من المسلم الظالم •

وعندما فتحت ابواب الوظائف لل العراقيين في الشهر الاول من عام ١٩٢١ أقى الخالصي بحرمة الدخول فيها حيث اعتبرها بمثابة التعاون مع الكفار • ومن الجدير بالذكر ان قوى الخالصي في حرمة الوظيفة لقيت

رواجا واسعا في اوساط الشيعة فصار الكثيرون منهم يرفضون الوظائف
التي عرضت عليهم . ومن الممكن القول ان الاتعاش الاقتصادي الذي كان
سائدا في البلاد يومذاك ساعد على تدعيم تلك الفتوى وترويجها ، اذ كان
الرجل الشيعي يفضل ان يكسب المال « الحلال » في السوق على ما تدره
عليه الوظيفة من مال « حرام » .

كان كوكس حريصا على ادخال الشيعة في الوظائف ، وخاصة
في منطقة الفرات الاوسط والtribes المقدسة ، ولكنه وجد امامه عقبتين
تعرقلان عليه سبله او لاهما قوى الخالصي ، والاخرى امتاع القبيب
وبعض الوزراء من قبول الشيعة في الوظائف . وقد استطاع كوكس اخيرا
ان يقنع القبيب والوزراء بتوظيف عدد محدود من الشيعة ، ولكنه لم
يستطع ان يقنع الخالصي بالتنازل عن فتواء .

حدثني من اثق به أن كوكس طلب من السيد جعفر عطيه رئيس
بلدية الكاظمية أن يدبر له لقاءا مع الخالصي للكلام معه ، فارتأى السيد
جعفر أن من الممكن الالقاء بالخالصي عند مجئه إلى الصحن للصلوة ، وتم
الاتفاق بين كوكس والسيد جعفر على ذلك ، ووقفا مما عند باب الصحن
الصغيرة التي اعتاد الخالصي ان يدخل منها الى الصحن لاداء الصلوة . وما
جاء الخالصي تقدم منه السيد جعفر قائلا : « يا جناب الشيخ » ان جناب
المندوب السامي يحب السلام عليك » . ولم يكدر الخالصي يسمع باسم
المندوب السامي حتى وضع عباءته على رأسه وأسرع بدخول الصحن دون
أن ينبعس بكلمة . ولم يستطع كوكس ان يدخل وراءه الى الصحن طبعا .
وهكذا اخفقت المحاولة !

الفصل الثاني

طبيعة الملكية

بعد أن أتم كوكس تشكيل أول وزارة في العراق على النحو الذي أسلفنا ذكره في الفصل الماضي أخذ يفكر في البحث عن ملك للعراق يكون ملائماً للمصالح البريطانية من جهة ويرضى به الشعب العراقي من الجهة الأخرى .

لقد كان العراقيون العاددون من سوريا ، وعلى رأسهم جعفر العسكري ونوري السعيد ، يشنون الدعاية للأمير فيصل بن الحسين ويعتبرونه أفضل مرشح لعرش العراق ، وكانت المس بيل تؤيدهم في ذلك وتشجعهم عليه بصورة غير مباشرة .

وما يجدر ذكره في هذا الصدد أن ويلسون كان أول مسؤول بريطاني يذكر بلياقة فيصل لعرش العراق . ففي ٣١ تموز ١٩٢٠ - أي على أثر خروج فيصل من سوريا مطروداً - أبرق ويلسون إلى لندن يقترح عليها عرض إمارة العراق على فيصل ، وبينه بمواهبه ، ويشير ضمناً إلى أن حيّة فيصل في سوريا ستكون ذات أثر في نفسه يجعله أكثر ادراكاً للواقع وأكثر تقدماً في معالجة الأمور^(١) . وقد لقي هذا الاقتراح قبولاً في لندن غير أن الساسة البريطانيين كانوا يخشون من معارضة فرنسا له .

وفي ٨ آب ١٩٢٠ فاتح وزير الخارجية البريطانية اللورد كرزن الحكومة الفرنسية يسألها هل لديها اعتراض على تنصيب فيصل في العراق ، فردت الحكومة الفرنسية تقول أنها تترضى على ذلك كل اعتراض . وأخذ العرسان يشوهون سمعة فيصل لدى لانكليز لكي ينقوهم منه ، فاتهموه

(1) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 305-306.

بأنه ذو وجهين ، وقالوا للإنكليز : لا تأمنوا من فيصل فإنه كان يفاوضنا سراً من وراء ظهركم في أثناء حكمه في سوريا للتعاون معنا ضد السلطة البريطانية في العراق^(٢) . وقال وزير الخارجية الفرنسي لرئيس الوزارة البريطانية : إن فيصل ذو أخلاق ضعيفة وانه خطير فرد عليه رئيس الوزارة البريطانية قائلاً : ان فيصل كما تصفه ولكن شيخوخ العراق يريدونه ، واذا وافقت الحكومة الفرنسية على تنصيبه في العراق فان في مقدورنا الاستغناء عن السبعين ألف جندي الذين يضيّقون الأمان في العراق الآن^(٣) .

وفي ١١ تشرين الثاني حينما كان فيصل متكتلاً في شمال إيطاليا وصلته رسالة من اللورد كرزن يدعوه فيها لزيارة لندن ، وفي أواخر الشهر توجه فيصل إلى لندن . ويروي فيصل نفسه : انه في اليوم التالي لوصوله إلى لندن قام بزيارة للورد كرزن فلاحظ هذا عليه انه لم يرتد العباءة العربية التي اعتاد على ارتدائها من قبل ، فسأله : « اين هي عباءتك الحلوة ؟ » فأجابه فيصل : « انهم شلحوني بلادي يا حضرة اللورد ، فسلحت عباءتي » . فقال كرزن : « بل ستلبس أحسن منها » . ففهم فيصل من هذه العبارة انهم سيعوضوه عن عرش سوريا بعرش العراق^(٤) .

يمكن القول على أي حال ان الحكومة البريطانية ظلت متربدة في أمر فيصل خشية من غضب فرنسا عليها ، فكانت تقدم خطوة وتؤخر أخرى . وفي ٢٦ كانون الأول وصلتها من كوكس في بغداد برقيه يقول فيها ان فيصل أليق شخص لحكم العراق ، وأن اعتراض فرنسا عليه يمكن ان يعالج على وجه من الوجوه^(٥) . وقد أثرت هذه البرقية على الحكومة البريطانية وكانت

(٢) سليمان موسى (الحركة العربية) - بيروت ١٩٧٠ - ص ٥٧٥
 (3) Elie Kedourie (Chatham House Vorsion) - London 1970 - P. 240 .

(٤) خيرية قاسمية (عونى عبدالهادي) - بيروت ١٩٧٤ - ص ٥١
 (5) Ghassan Atiyyah (Iraq) - Beirut 1973 - P. 864.

عاماً اضافياً زاد في ميل الحكومة نحو فيصل ٠

وفي ٧ كانون الثاني ١٩٢١ أرسل كرزن المجر كورنواليس الى فيصل لفاته في الأمر بصورة غير رسمية ٠ وكان كورنواليس على صلة وثيقة بفيصل في الشام حيث نشأت بينهما منذ ذلك الحين صدقة شخصية ٠ وقد أوصاه كرزن ان يكون حديثه مع فيصل متضمناً شرطين ، أولاً أن يقبل فيصل بالانتداب البريطاني ، وثانياً أن يتتجنب أي عمل عدائى ضد فرنسا في سوريا ٠ وكذلك أوصاه كرزن بأن يوضح لفيصل بأنه يجب أن يتظاهر أمام الناس بأنه مستقل وليس العوبة بيد الحكومة البريطانية^(٦) ٠

تمت المقابلة بين كورنواليس وفيصل في الساعة الواحدة. بعد منتصف الليل على أثر عودته من دار التمثيل ، واستمرت ساعتين^(٧) ، والظاهر أنها لم تكن ناجحة ٠ فقد قال فيصل إن أباه الملك حسين لا يقبل بترشيحه لعرش العراق بل يريد ابنه الآخر الأمير عبدالله ، وأنه – أى فيصل – لو قبل بعرش العراق لفنه والده وظنه الناس جميعاً بأنه أنانى يسعى لصلحته الخاصة بالتعاون مع بريطانيا ، وأنه يطلب عرشاً على حساب أخيه ٠ وقد كتب كورنواليس تقريره عن المقابلة وقال في ختامه إن هناك طريقين مفتوحين لحل مشكلة العراق هما : أن يذهب عبدالله إلى العراق ، أو يسعى كوكس نحو جمل العراقيين يتذخرون فيصل بشكل هادئ غير ظاهر ٠ ويقول كورنواليس إن الطريق الأول أسهل ، ولكن الطريق الثاني أفعى لأن فيصل أفضل من أخيه عبدالله كثيراً وأنه سوف يخدمنا بأخلاقن وكتابته^(٨) ٠

كلف لويد جورج اللورد وترتون بمحاولة أخرى لاقناع فيصل ، وكان وترتون صديقاً شخصياً لفيصل ، فدعاه إلى بيته ودعا معه جبرائيل

(6) Ibid, P. 365.

(7) فيليب آيرلاند (العراق) – بيروت ١٩٤٩ – ص ٢٤١.

(8) Ghassan Atiyyah (op. cit.) - P. 368 - 366.

حداد باشا ممثل الملك حسين في لندن ، كما دعا لورنس وآخرين . وتداول هؤلاء الحديث مع فيصل ساعات طويلة بقية اقناعه ، واستمرت الجلسة حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وقد اتهز فيصل الفرصة فأخذ يوجه نقداً مراً على المعاملة الفاشمة التي عامله بها الفرنسيون والبريطانيون معاً ، وبدرت منه ملاحظات جارحة عن أخلاق البريطانيين بوجه عام ^(٩) . وأخيراً رضي فيصل بقبول عرش العراق على شرط اقناع أخيه عبدالله بالتنازل عن حقه في ذلك العرش .

وفي ١٤ شباط ١٩٢١ انتقل تشرشل من وزارة الحرب الى وزارة المستعمرات ، فأصبح بذلك مسؤولاً عن حل مشاكل الشرق الأوسط . وقد أسس تشرشل في وزارته الجديدة دائرة خاصة بالشرق الأوسط وجعل صديقه لورنس مستشاراً له فيها . ثم قرر تشرشل عقد مؤتمر في القاهرة للنظر في قضايا الشرق الأوسط بوجه عام ، وقضية العراق بوجه خاص . وسافر تشرشل الى القاهرة لحضور المؤتمر مستصحباً معه لورنس . وقد بدأ المؤتمر في ١١ آذار وحضره من العراق السر برسي كوكس والجنرال هالدين والمس بيل وجعفر العسكري وساسون حسقيل وتلاته من المستشارين البريطانيين هم سليمان موسي (المصدر السابق) - ص ٥٨٠
رأي الذي كان قد تقرر في لندن من قبل وهو أن فيصل هو الشخص الملائم لعرش العراق واقتراح لورنس أن يتولى سلاح الطيران زمام السيطرة على البلاد بدلاً من جيش الاحتلال الذي هو كثير النفقات ، فوافق المؤتمر على ذلك .

وفي ١٦ منه - بينما كان المؤتمر لايزال منعقداً - وصلت برقة الى تشرشل من لويد جورج يذكره فيها بموقف فيصل من عرش العراق وكيف أنه لا يقبل به الا بعد تنازل أخيه عبدالله عنه ^(١٠) . فتمهد تشرشل بأنه

(٩) سليمان موسي (المصدر السابق) - ص ٥٨٠

(١٠) المصدر السابق - ص ٥٩٤

سيذهب بنفسه ومعه لورنس لاقناع عبدالله بالتنازل .

اقناع عبدالله :

كان الأمير عبدالله قد وصل الى منطقة شرق الاردن في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠ قادماً من الحجاز ومعه فوج صغيرة من البدو وتلاّنه ضباط عراقيين^(١) ، وأعلن أنه جاء استجابة لصرخات الاستغاثة التي أرسلها زعماء سوريا الى أبيه وانه عازم على تحرير سوريا وانقاذها من الفرنسيين المعتدين والأخذ بثأر أخيه منهم . وأخذ الكثير من رجال سوريا وزعمائها الذين هربوا منها يتواجدون عليه ، وصار في نيته ان يؤلف منهم حكومة منفى ، ثم نشر بياناً الى السوريين عموماً قال فيه : « كيف ترضون ان تكون العاصمة الأموية مستعمرة فرنسية ؟ ان رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى وستُؤتكم غضبي ، وان ثايتنا الوحيدة هي كما يعلم الله نصرتكم واجلاء المعتدين عنكم ، وهو انا أقول ولا حرج بانني قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الاول عن الاكثرية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدي ٠٠٠ »^(٢) .

كانت منطقة شرق الاردن في ذلك العين لا يتجاوز عدد سكانها ثلثة الملايين ، ولم تكن فيها حكومة مرکزية بل كان فيها بعض حكومات محلية صغيرة على النطع الشائرى ، وكان لكل واحدة منها مستشار انكليزي . ولم يفعل المستشارون شيئاً تجاه حركات عبدالله مما جعل الناس يظنون ان بريطانيا راضية عنها او هي من تديرها .

وفي آذار ١٩٢١ كان الأمير عبدالله قد استقر في عمان . فبلغه ان الحكومة البريطانية تتوى نصب أخيه فيصل ملكاً على العراق فانزعج من ذلك وغضب . يقول عوني عبدالهادي الذي كان من حاشية الامير عبدالله

(١) ان الضباط العراقيين الثلاثة هم حامد الوادي ورُووف الشهوانى وسعید الكلاك .

(٢) خير الدين الزركلي (عمان في عمان) - القاهرة ١٩٢٥ - ص ١٦ .

في ذلك الحين : « فهاج الامير عبدالله وماج ، وفتح صدره لجميع زائريه ومن في بيته ، وقذف الشرر والنار على ف يصل الذي وافق على الترشيح لعرش العراق ، وأصر على أن يناقش هذا الموضوع مع المستر تشرشل لأن العرش عرضه ولا يسمح بالتنازل عنه » ويضيف عوني على هذا قائلاً : « وقد ألحث على سموه أن لا يبحث موضوع عرش العراق مع الوزير البريطاني ، وكان سموه ينور ويغضب ويردد من حين إلى حين : كيف يمكنني السكوت على ضياع عرش أقرته لي الأمة العربية »^(١٣) .

ويروى خيرالدين الزركلي : إن الامير عبدالله استدعاه في تلك الأيام ، وقال له انه غير واثق من أن أخيه يصل سيفيل عرش العراق ، ثم أورد أدلة على انه صاحب العرش الشرعي ، وإن من يتعرض له لا يكون الا غاصباً ، ثم قال وهو هائج : « الا تكتب لنا سلسلة مقالات في الموضوع ياخير الدين » . ويقول الزركلي انه أصبح في موقف حرج وأخذ يسأل نفسه : هل يمكن أن تعود في العراق قضية الامين والمؤمن مرة أخرى ، وهل تأتي الى الناس باضحوكة جديدة هي تزاحم الاخوين على عرش مصنوع في لندن^(١٤) ؟

وبعد أيام قليلة استدعي الامير عبدالله الى القدس مقابلة تشرشل ، وعندما كان الأمير ماراً ببلدة السلط في طريقه الى القدس استقبله لورنس ، فباتا معاً هنالك ، وأخذ لورنس يحدث الامير لاقاعه بالتنازل عن عرش العراق ، حيث قال له : إنك معروف بتضحيه مطامحك الشخصية من أجل الامة ، ولهذا يجب عليك ان تبقى في شرق الاردن لتأسيس فيها ادارة مدنية سالة من أي عنف في مراميها السياسية ، وإذا نجحت في ذلك فانك ستظفر بعد ستة أشهر بوحدة سوريا ان شاء الله ،

(١٣) خيرية قاسمية (المصدر السابق) - ص ٤٤ .

(١٤) خيرالدين الزركلي (المصدر السابق) - ص ٤٦ .

وسوف نزورك عند ذاك في دمشق لتقديم التهاني لك^(١٥) .

وفي ٢٩ آذار تم اللقاء في القدس بين الأمير عبدالله وشرتشل ، وحضره لورنس ، وعندي عبدالهادي ، والمندوب السامي لفلسطين السر هربرت صموئيل ، وسكرتيره وندهام ديدس . وقد أعطانا عندي عبدالهادي في مذكراته صورة مفصلة عن ذلك اللقاء نقتطف منه ما يلي :

بعد ان رحب شرتشل بالامير تحدث فوراً بحديث ظهر عليه الشدة حيث قال : « انه عند وصوله الى القاهرة فوجي بوجود الامير في عمان ، وقد استولت عليه الدهشة حين بلنه أن الامير يريد ان يسترد بقوة السلاح المناطق التي كان يحكمها فيصل ، مع أن الامير لا يجهل ان فرنسا هي حليفه ببريطانيا وان أي اعتداء على فرنسا يعتبر اعتداء على بريطانيا نفسها . ثم ارتفع صوت شرتشل واشتدت لهجته قائلاً : « انه لا يريد أن يتصور أن يقع مثل هذا الاعتداء من بعض آل هاشم حلفاء بريطانيا .. ويسرا الحكومة البريطانية أن تعمل بتفاهم تام مع آل هاشم في جميع المجالات السياسية والدولية ، غير أنها تريد أن تعمل معهم جميعهم وليس مع بعضهم . واني سأكون صريحاً مع سموكم الى أبعد حدود الصراحة ، فقد صمت الحكومة البريطانية أن تعمل مع آل هاشم جميعهم أو لا تعمل مع أحد منهم » . ثم قال شرتشل بلهجته حازمة : « ان فيصل أبخر من لندن وهو الآن في طريقه الى القاهرة وسيذهب بعد زيارته لوالده الى بغداد حيث ينصب ملكاً على العراق ، واني أعرف أن فيصل سيلاقي مشاغلين يعملون ضد انتخابه للعرش ولكن فيصل سيجلس على عرش العراق ، وان هذين الكتفين - وأشار بيديه الى كتفيه اليمنى واليسرى - سيتحدين هؤلاء المشاغلين » .

(15) Suleiman Mousa (Lawrence) - London 1967 - p. 240.

وقدت هذه الكلمة على الأمير وقع الصاعقة ، وأراد أن يغير موضوع الحديث فقال : « ولكن ياسعادة الوزير ان الامر الذي بهم العرب قبل كل شيء هو فلسطين ، فقد علمت ان اليهود طامعون في اقامة دولتهم اليهودية في هذه البقعة العربية الغالية وطرد العرب منها ، والعرب كما أشرتم حلفاء بريطانيا العظمى ، فهل تعتبر الحكومة البريطانية العرب في فلسطين بمثابة أشجار يجوز قطعها » . وهنا اقرب صموئيل من تشرتشل وهمس في اذنه يستأنفه في جواب الامير ثم قال : « ليس من سياسة الحكومة البريطانية يا سمو الامير قطع أشجار فلسطين ولكن بالعكس انها مصممة على زيادة أشجارها بأنواع اخرى تزيد من قيمتها » .

وهنا نظر الامير الى تشرتشل بنظرات العتاب ، ثم أخذ يتكلم عن مساعيه الماضية في عقد الحلف بين بريطانيا والعرب ، اذ هو كان صاحب الفكرة وأول من سعى لتحقيقها ، وهو كان كذلك الوسيط بين لورنس وفيصل ، ثم كانت التسليحة ان فضلت الحكومة البريطانية غيره لتولي عرش العراق ، ولو كان هذا الغير أخوه فيصل . ثم قال الامير : « لقد حز هذا الايثار في نفسي ولاسيما ان العراقيين الذين مثلوا العراق في المؤتمر السوري المعقود في سنة ١٩٢٠ هم الذين نادوا بي ملكا على العراق ، ولقد أدهشني ياسعادة الوزير قوله بأن أخي فيصل قد أبحر من لندن في طريقه الى العراق ليعتلي العرش وقلت ان بعضهم سيقوم بمحاكسته وان كتفيك ستحملان تلك المشاكسة ، وربما حسبتوني في عداد هذا البعض . واني معاذ الله أن اعمل ما لا يتفق مع سياسة الحكومة البريطانية ٠٠٠ »

وعند هذا أخذ تشرتشل يلطف من حدته ، واعترف بما قام به الامير من خدمات في أثناء الحرب ثم قال : « اذا كانت الظروف الحاضرة قد اقتضت أن يعتلي أخيك عرش العراق فقد لا تكون بعيداً أن تعتلي أنت - وربما كان ذلك قريباً - عرش سوريا ، ومن الجائز خلال هذه السنة ٠

واني سأبذل كل جهودي لازالة سوء التفاهم الآن بينكم وبين فرنسا ، الأمر الذي يساعد على اعادة المياه الى مجاريها بينها وبينكم ، ولا كانت فرنسا لا ترغب في ايجاد أية علاقة مع فيصل فان الطريق تصبح ممهدة لسموكم في هذه الحالة . واني احذر سموكم من السماح لأي شخص أو هيئة بالاعتداء على سوريا من حدود المنطقة التي أرغب في أن تتولى سموكم الحكم فيها مؤقتاً . أقول حكم سموكم المؤقت ، لانه لابد من موافقة حكومتي على السياسة التي ستطبق في هذه المنطقة وكذلك موافقة شعوب المنطقة عليها ، مما يقتضي الترتيب حتى يتم الاتفاق النهائي خلال الشهور الستة القادمة »^(١٦) .

وافق الأمير عبدالله على خطة تشرشل ، وهو يقول في مذكراته ان تشرشل هدده قائلاً : « انكم ان لم تفعلوا هذا ستضيغون كل شيء ، وان في امكان ابن سعود أن يصل الى مكة في ثلاثة أيام ، وان انكلترا عملت ما تستطيع »^(١٧) . ثم يقول الأمير انه شاور الزعماء السوريين الذين كانوا معه في هذا الموضوع فوافقوا عليه بالاجماع . ولهذا تم الاتفاق على أن يزور السر هربرت صموئيل عمان لوضع الاساس للادارة المدنية المطلوبة»^(١٧) .

حسرات عبدالله :

كان فيصل قد غادر لندن بحراً في ٣١ آذار ١٩٢١ متوجهاً الى الحجاز ، فمر في طريقه بالقاهرة ومكث فيها بضعة أيام حيث نزل في فندق شبرد . فأرسل اليه عبدالله من عمان عوني عبدالهادي يحمل رسالة اهداها له والاخري لوالده . ويقول عوني في مذكراته : ان فيصل بعد أن قرأ الرسائلين علق عليهما قائلاً : « يعتقد أخي اني اغتصبت منه عرش العراق »

(١٦) خيرية قاسمية (المصدر السابق) - ص ٤٧ - ٤٨

(١٧) عبدالله بن الحسين (مذكراتي) - القدس ١٩٤٥ - ص ١٨٠ - ١٨٢

واني مزقت القرار الذي أصدره العراقيون في المؤتمر السوري ، ولقد بلغني كل ما كان يقوله عوني ، و كنت أقول دائمًا سامحة الله ٠٠٠٠ . وأخذ فيصل ي يحدث عوني كيف ان البريطانيين أرادوا استناد عرش العراق اليه وكيف انه لم يوافق على ذلك وأراد العرش لأخيه عبدالله ، ولكن البريطانيين أصرروا عليه اصراراً . ثم يقول عوني : انه عند عودته الى عمان حاول اقناع عبدالله بالرضا بما تم من أمر استناد عرش العراق الى فيصل ، فكان جوابه : « اني أعرف أخي يا عوني » ، فلقد سبق أن اعتلى عرش سوريا فأصبح رأساً لدولة ، ولا يحلو له في الحياة بعد ذلك غير اعتلاء العروش . ان أخي فيصل لا يختلف عن بقية رؤساء الدول في هذا الشأن ، فلقد علمتنا التاريخ ان كل من أصبح من العرب رأساً لدولة أصر على بقائه رأساً ولو كان في ذلك هلاكه . ولهذا فضل أخي اعتلاء عرش العراق ولو كان هذا العرش من حق أخيه وليس لي هنا الا أن أطلب له السماح من الله » .

ويقول عوني : انه حين ذهب الى القاهرة مرة اخرى وأبلغ فيصل تحيات أخيه قال له فيصل : « ٠٠٠٠ اني أعرف أخي عبدالله وانيأشعر بما يعانيه من ألم لفقد عرش العراق ، واني متأكد من أنه لن ينسى ضياع هذا العرش منه ، وان حقده عليّ من أجل هذا العرش لن يزول بسهولة ٠٠٠٠ وقد أشار الى ذلك اشارات واضحة تضمنه خطابه الذي حملته الي ” وقرأته عليك ٠٠٠٠ ، (١٨) » .

ظل عبدالله متلماً لضياع عرش العراق منه . وقد اشتد ألمه عندما اتضاح له عجز الانكليز عن تحقيق وعدهم له بعرش سوريا . ويسرى ساطع الحصري قصة طريفة في هذا الصدد هي : ان أربعة من الضباط العراقيين الذين خرجوا من سوريا ذهبوا الى عمان ومكثوا فيها فترة من

(١٨) خيرية قاسمية (المصدر السابق) - ص ٥٠ - ٥٣ .

الزمن . فكانوا اذا حضروا مجلس الامير عبدالله كان هو يتكلم في كل مناسبة عن حقه في عرش العراق ويقول « والدي طلب مني أن اتنازل عن حقي ، ولكنني لم ألب طلبه ، لم أتنازل ، ولن اتنازل ، عن حقي في عرش العراق . سأحتفظ بحقي ولو للتاريخ » ، وكثيرا ما يكرر عبارة « للتاريخ » . وكان يطلب من الضباط العراقيين بعض التفاصيل عن العراق ، وكلما سمع منهم مدحه للعراق كان يزداد تحسرا وتأوها ، ويعاود الحديث عن حقه في عرش العراق ، ويصرح بعزمه على عدم التخلص عن حقه هذا والتمسك به ، ولو للتاريخ . وقد دفعت كثرة تحسره على العراق أحد الزعماء السوريين الذين كانوا موجودين هناك أن يقول للضباط العراقيين : « جوزوا بقى عن مدح العراق ، خلوا الرجل يستغل هنا » ، ويقول ساطع الحصري : ان احاديث عبدالله عن حقه في عرش العراق شاعت كثيرا حتى انعكست على صفحات الجرائد ، وحتى ان احدى الجرائد التركية اتخذت ذلك ذريعة للطعن بالثورة العربية^(١٩) .

والغريب ان عبدالله لم ينس حقه في عرش العراق حتى بعد موته فيصل . يحكى انه حضر الى العراق بعد موت فيصل فأقيمت له حفلة وانشد فيها أحد الشعراء قصيدة في مدحه كان منها هذا البيت :

تنازل عن عرش العراق تكرما
وأكرم من عرش العراق تنازله

فلما سمع عبدالله هذا البيت ظهر عليه الغضب وقاطع الشاعر قائلا : « احسأ لم اتنازل ولن اتنازل » .

(١٩) ساطع الحصري (مذكري في العراق) - بيروت ١٩٦٧ - ج ١ ص

نشاط السيد طالب :

كان السيد طالب في بغداد قد أحسّ بـأُن الرياح تمشي ضده وان الانكليز لا يريدونه . وقد ازداد احساسه هذا عند تشكيل الوفد الذي سافر الى مؤتمر القاهرة ، فهو لم يدع للاشتراك في الوفد بينما اشترك فيه ساسون خضوري وجعفر العسكري والمس بيل وهم غير مبالغين اليه . كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٢٤ شباط ١٩٢١ - على اثر مغادرتها بغداد مع الوفد في باخرة نهرية - فقالت مانصه :

« نحن مغادرون ٠٠٠ جعفر وساسون افندى سعيدان لاشتراكهما فى الوفد . ولكن السيد طالب من الجهة الاخرى ممتعضا كل الامتعاض لعدم اشتراكه في الوفد . وقد تناولنا معه طعام العشاء في الليلة التي غادرنا بغداد في صباحها ، وكانت جالسة بجانبه وأخذت اشجعه على الكلام . وعندما دارت كثوس الويسكي همس في أذني بنبرة ثملة حزينة حيث قال انه كان دائمًا يعتبرني بمثابة اخته ، ويطعن نصيحتي ، وهو الآن يعدني معتمده الوحيد ومستنه » . وتعلق المس بيل على ذلك قائلة : « ولما كنت أشعر بعمق ان مطامحه سوف لا ولن تتحقق ، فقد صرت أتمم له بعض العبارات الودية التي لا لون لها » (٢٠) .

اتهز السيد طالب فرصة غياب كوكس عن العراق أثناء اشتراكه في مؤتمر القاهرة ، فصار يبذل جهوداً كبيرة وينفق أموالاً طائلة للدعوة الى نفسه ، وكان شعاره في ذلك : « العراق لل العراقيين » . ذكر سليمان فيضي في مذكراته ، وكان يومذاك حاكماً في بغداد ، ان السيد طالب زاره في المحكمة وطلب محادته على انفراد وقال له : « اني عزمت على ترشيح نفسي لعرش العراق ، ونظرًا لما اعهده فيك من محبة لي ارجو ان تبت لي الدعاية في الاوساط القضائية وتحمل الحكم والمحامين وطلاب الحقوق وموظفي وزارة العدلية على التصويت بجانبي » . ولما ذكر له سليمان ان مساعاه سيفيو ،

(20) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol 2, P. 209.

بالفشل قال السيد طالب: «أنت واهم فالمستر فيلبي في جانبي، وقد تعهد لي ببذل أعظم الجهود • انه وعدنى باقناع السر برسي كوكس الذى لايزال متربدا في أمر الملك العجيد » وبحمل المسىيل على التخفيف من تحمسها للامير فيصل ، ثم انه كتب الى الحكام السياسيين فى الالوية الجنوبيه يوصيم ببذل المساعدة لي • لذلك عزمت على الطواف فى تلك الالوية ، والقيام بدعاية انتخابية واسعة هناك • فأرجو منك ان تقوم بالدعاه فى الميدان الذى احالك متنفذا ومحبوبا فيه » ٠٠٠ ولما يشن السيد طالب من افساع سليمان فيضي خرج من عنده غاضبا (٢١) ٠

ويروى عبدالعزيز القصاب في مذكراته : انه بينما كان جالسا في مجلس عبدالعزيز الزبيق في عصر احد الايام اذ دخل المجلس السيد ابراهيم الشواف وأخوه علي وبيدهما مضبوطة تتضمن الطلب من المندوب السامي تعيين السيد طالب حاكما على العراق ، وقد اعترض القصاب على المضبوطة ، ثم تداولها الحاضرون دون ان يوقعوا عليها • وضرب القهواتي رأسه بيده ثم قال متهكمـا « ليس هذا تعيين مختار محلة » • فضحك الحاضرون ، (٢٢) ٠٠٠

وفي ٨ آذار بدأ السيد طالب جولته في الالوية الجنوبيه التي استغرقت ثلاثة عشر يوما • وكان يصحبه فيها زمرة من اصحابه المؤيدین له كسامي الخيون وعبدالرزاقي المير وعبدالمللاك واحد المراوى وشاكر النعمه واحد السالم • وقد بذل السيد طالب في جولته مبالغ طائلة من المال ، وكان انصاره يقيمون له في كل بلدة استقبالا فخما وولائم كثيرة ، وكان هؤلئك يخطب في الناس يحبب نفسه اليهم ويبشر بالمبادئ التي توافق معتقداتهم

(٢١) سليمان فيضي (في غمرة النضال) - بغداد ١٩٥٢ - ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ٠

(٢٢) عبدالعزيز القصاب (من ذكرياتي) - بيروت ١٩٦٢ - ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ٠

وميولهم . ومن طريف ما يرى في هذا الصدد ان بعض العشائر اطلقت
هوسة في استقباله هي :

ثلث لله وثلثين لطالب

وثلث الله يطالب به طالب

وفي خلال جولته أخذ السيد طالب يعلن للناس انه سيبذل كل جهده
لإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين الذين ساهموا في ثورة العشرين .
وعندما مر بالحلة زار المعتقلين فيها وطمأنهم بقرب الإفراج عنهم . وكانت
خطبته في النجف نموذجية في هذا الشأن حيث ضرب بها على اوتار القلوب
نقل فيما يلي نبذة مما قاله هناك :

« ٠٠٠ رأيت من الواجب عليَّ أن استمد من أفكار وأراء الرجال
الخيرين والعلماء المجتهدين ٠٠٠ عما يلزم العمل به لاحياء مائر الدين
القويم والتعاضد سبل الحضارة والقدم لوطننا المشترك ولا سيما النجف
الاشرف وكربلاء ٠٠٠ واني قد سعيت بادئ الامر بتادية اول واجب عليَّ
قبل الامور التمهيدية وهو اعادة المنفيين جمیعاً والمفو عن الجرمین واعادة
اخوانی العراقيین المهاجرین فی سوريا والبلاد الاخرى غير أن أملی الوطید
 يجعلنى حسن الاعقاد بحضورات مؤیدی الشریعة الغراء وهمهمم العالية ٠٠٠
وادعو الله بحرمة اجدادی الطاهرين ولا سيما جدی الاعظم سیدی ومولای
امیر المؤمنین علیه السلام الذى اعاهدکم علی تحقیق آمالکم امام حضرته
المقدسة ٠٠٠ واني قد عینت لكم متصرفاً عاقلاً اديباً حازماً وفائماً كما ذا خبرة
وتجارب فیسرني إذا کاشقتموها فی جمیع ما بهمکم ليرفعوا لی عما يجب
العمل به فی مختلف الشؤون ٠ وأبشرکم أن حضرة رئيس الوزارة
الحاضرة صاحب السمو حضرة نائب اشراف بغداد سیدی السيد
عبدالرحمن افندي اعرب لی عظیم اعتماده علیکم وثقة العظیمة بذواتکم
وقد کلفنی بابلاغ عطفه وتوجیهاته نحوکم جمیعاً بصورة خاصة»^(٢٣) .

(٢٣) حسين هادي شيلان (طالب النقيب) - رسالة جامعية غير مطبوعة -
ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .

استدعاء الرصافي :

كان الرأى العام في بغداد آنذاك منقسمًا إلى فريقين : أحدهما يدعو إلى مبدأ «العراق لل العراقيين »، وزعيمه السيد طالب كما أسلفنا ، والثاني يدعوا إلى اختيار أحد أبناء الملك حسين لعرش العراق . وكان هذا الفريق الثاني يُطلق عليه اسم « الحزب الشريفي » .

كان الفريق الأول يضم في الغالب أبناء الأسر العربية والماليين للإرث ، وهم الذين يُطلق عليهم في أيامنا اسم « الرجعين » . أما الفريق الثاني ، أي الحزب الشريفي ، فكان يضم معظم الذين شاركوا في ثورة العشرين ، ودعاة القومية العربية . وكانت القومية تعتبر في تلك الأيام حركة تقدمية . تقول المس بيل في رسالة كتبتها بعد عودتها من مؤتمر القاهرة :

« أن الأعيان المعاليين ياتسائهم الطبعي الرفيع كرروا ان يروا الشبان الذين حكموا سوريا تحت رئاسة فيصل - وهم في الغالب من لا يأتون إلى عائلات معروفة - قد يحكمون العراق أيضًا . فإن تفكير الأعيان لا ينطبق مع تفكير هؤلاء الشبان الذين هم تقدميون جداً ولهم استعداد للتحدث علينا وباستمرار في وجوب التخلص من الرجعين الشيوخ وادخال أفكار جديدة »^(٢٤) .

ومن الجدير بالذكر أن النقيب عبد الرحمن الكيلاني كان يؤيد الفريق الأول . فهو بحكم تفكيره الطبعي يمقت الشبان الثوريين الذين ظهروا للوجود وهم من أسر غير عريقة . وكان بالإضافة إلى ذلك يمقت الأسرة الهاشمية . وقد أعلن عن رأيه هذا بصراحة إلى المس بيل في عام ١٩١٩ حين قال لها : « أفضل ألف مرة عودة الترك إلى بغداد على أن أرى الشريف أو ابنائه ينصب أحدهم هنا »^(٢٥) .

(24) Burgoynes (op. cit.) - Vol. 2, P. 212

(25) المس بيل (من تاريخ العراق القريب) - ترجمة جعفر الخياط - بيروت ١٩٧١ - ص ٤٨٠ .

وفي يوم من تلك الايام اجتمع زعماء الفريق الاول ، وكان على رأسهم النقيب والسيد طالب وحكمت سليمان وتوفيق الحالدى ، وقرروا اصدار جريدة تطلق بلسانهم على ان يكون الشاعر معروف الرصافى رئيساً لتحريرها . وقد كان الرصافى يومذاك في مدينة القدس يدرس آداب اللغة العربية في دار المعلمين فيها ، فأبرق حكمت سليمان اليه يستدعيه الى بغداد ، كما ابرقت الوزارة الى التدوب السسامي في فلسطين تطلب منه تسفير الرصافى على حسابها . وعلى هذا سافر الرصافى الى القاهرة في انتظار باخرة تنقله من السويس . وقد التقى الرصافى ببعض اعضاء الوفد الذين حضروا مؤتمر القاهرة . وحين علم كوكس بان الرصافى ذاهب الى بغداد اقترح عليه ان يسافر معهم في نفس الباخرة . ولم يكن كوكس يدرى ان الرصافى ذاهب الى بغداد من أجل هدف معاكس للهدف الذى تقرر في مؤتمر القاهرة .

يقول الرصافى في مذكرات له : « ولما وصلت الى بغداد وواجهت النقيب عبدالرحمن افندي علمت بعد ذلك انهم يريدون معارضة فيصل باعتبار (العراق للعراقيين) ، ثم اجتمعنا عند النقيب مع السيد طالب ، وأنا كنت من جملة المؤيدين لهذه الفكرة ، وقد اقترحنا عليهم - وبعد أن تداولنا في الموضوع مليا - أن هذا العمل واقتضى عمل الدعاية لا يمكن ان يقوم الا على امثال ، فقلت لهم ان ذلك لا يمكن أن يكون بأقل من مائة ألف ليرة عثمانية . فاستعظم النقيب هذا المبلغ ثم قال طالب باشا انه مستعد لوضع ضعف المبلغ الذي يضعه النقيب . ولم يسفر الاجتماع عن اتفاق في الرأي وانقضى على ان نجتمع مرة أخرى ، فاتصلت بتوفيق الحالدى - الذي كان حاضرا في الاجتماع - وقال لي اتنا سوف نذهب سوية بباخرة صغيرة أنا وانت وطالب باشا وهناك تذكرة في الموضوع . ولكن قبل ان يحصل هذا الاجتماع نفى الانكليز السيد طالب باشا »^(٢٦)

^(٢٦) مجلة « الثقافة الجديدة » في عددها الصادر في نيسان عام ١٩٥٤

دهاء !

وصل كوكس الى بغداد في ٩ نيسان ، غير أنه لم يعلن عما تقرر في مؤتمر القاهرة من اختيار فيصل ، بل ترك الناس يتجادلون ويتناقشون حول المرشحين انتخابيين على العرش ، وظل هو يتفرج عليهم كأنه لاشأن له في الامر . وفي ١٢ نيسان اذاع كوكس بيانا حول الامور التي بحثها مؤتمر القاهرة فأشار الى مسألة تقليص النفقات العسكرية ، ومسائل الامن الداخلي ، وحماية الحدود ، واصدار المفو العام ، ولكنه لم يتطرق اطلاقا الى موضوع اختيار فيصل الذي كان في الواقع أهم مباحثه المؤتمر من أمور .

كان فيلبي قد كتب قبل وصول كوكس مذكرة يحتاج فيها على ما اشيع من اختيار فيصل في مؤتمر القاهرة ، ويدرك اضطراره الى الاستقالة من منصبه اذا صحت تلك الاشاعة ، لأن ذلك في نظره يخالف الوعود البريطانية السابقة في ترك العراقيين أحرارا يختارون لأنفسهم من يشاون . وقد قدم فيلبي هذه المذكرة الى بونهام كارتر الذي كان يتولى منصب المندوب السامي بالوكالة . فأيده بونهام كارتر على وجهه نظره . ولما وصل كوكس عرض عليه كارتر المذكرة ، ثم جاء فيلبي لمواجهته ، فكان جواب كوكس له : « ان الحكومة البريطانية لا تتوى النكول عن وعودها لاهل العراق »^(٢٧) . والظاهر ان فيلبي اتفق بهذا الجواب وخرج مطمئنا لا يدرى ماذا يخبئ له ولصاحبه القدر !

ترك كوكس فيلبي حرا في نشاطه للدعوة الى السيد طالب ، كما ترك المس بيل من الجانب الآخر حررا في نشاطها للدعوة الشرفية . ووقف كوكس بين الاثنين موقفا قريبا من الحياد ، او كما وصفه هو بـ « الحياد

(٢٧) جون فيلبي (أيام فيلبي في العراق) - ترجمة جعفر خياط - بيروت . ١٩٥٠ - ص ٥١ .

الودى » . فكان اذا جاء اليه الناس يسألونه عن رأيه قال لهم : ان الحكومة البريطانية تؤيد ترشيح أمير شريفي للعراق ولكن الناس احرار في قبوله او رفضه . وفي الوقت نفسه أبرق كوكس الى حكومته يحذرها من فرض فيصل على العراقيين ناصحا لها ان ترك فيصل يتولى بنفسه اقطاع العراقيين عند وصوله اليهم بأنه هو الرجل الذي يليق بعرضهم (٢٨) .

يمكن القول من الناحية الاجتماعية ان كوكس كان في موقفه هذا داهية من الطراز الاول ، فلو انه أعلن للناس رغبة الحكومة البريطانية باختيار فيصل لحصول من جراء ذلك رد فعل في أواسط الوطنيين وربما أدى ذلك الى اضعاف الحزب الشريفي أو تحطيمه .

يجب ان لانسى ان الوطنيين كانوا قبل قيام الثورة ، وفي اثنائها ، يطالبون باختيار أمير شريفي لعرش العراق ، وهم انما فعلوا ذلك تحديا للسلطة الانكليزية التي كانت يومذاك غير راغبة في ذلك ، ولو ان السلطة كانت راغبة في هذا الاختيار وتدعوه اليه لكن جواب الوطنيين على الضد من ذلك طبعا .

ان هذا سر من اسرار المجتمع العراقي والظاهر ان كوكس ادرك فحوى هذا السر ، واراد ان يتتجنب السلطة التي وقع فيها سلفه ويلسوون . ولهذا وجدناه يتظاهر بالحياء مع العلم انه كان مأمورا من حكومته على نصب فيصل ملكا ، على اي حال .

السيد طالب يهدى :

كان السيد طالب قد اعتاد في ايامه الاولى في المعهد التركي ان يستخدم اللطف والتسلق في نيل مطالبه فإذا وجد ذلك غير مجدي لجأ الى التهديد ، وقد يلجأ احيانا الى الفتوك وسفك الدماء عندما يفشل التهديد . وقد نجح

(28) Graves (Sir Percy Cox) - London, second impression - p.287.

السيد طالب في طريقة هذه نجاحاً كبيراً . ويبدو أنه أراد أن يتبع الطريقة نفسها مع الانكليز ناسياً أن الانكليز غير الاتراك وإن كوكس يختلف عن الوالي التركي اختلافاً كبيراً .

في شهر نيسان ١٩٢١ وصل إلى بغداد السر برسيفال لandon المتذوب الخاص لجريدة الديلي تلغراف اللندنية ، وكان هذا الرجل يعرف العربية، فقرر السيد طالب اتهام الفرصة لقاء كلمة تهديد للإنكليز ، فأقام وليمة عشاء فخمة في بيته احتفاء بلandon .

اقامت الوليمة في مساء ١٣ نيسان ، وحضرها القنصل الفرنسي ، والقنصل الايراني ، وأثر تود مدير شركة لنج وزوجته ، والشيخ محمد الامير رئيس عشيرة ربيعة ، والشيخ سالم الخيون رئيس عشيرة بني اسد في الجياش ، وأخرون . وقد اعتذر فيلبي عن حضور الوليمة كأنه ادرك بأنها ستكون ذات خطورة من الناحية السياسية ولم يحب أن يتورط فيها . أما حسين أفنان فقد حضر الوليمة ليترجم الكلمة التي سوف يلقاها السيد طالب إلى الإنكليزية .

لدينا تقريران عما جرى في الوليمة أحدهما ورد في مذكرات فيلبي والآخر ورد في كتاب غريفز الذي سجل فيه سيرة حياة كوكس . ولعل من المجدى أن نستعرض فيما يلي شيئاً من كلا التقريرين .

يقول فيلبي في وصف الوليمة : « فكان الحديث سياسياً في الحقيقة ، وقد سالت الخبرة خالله كما يسئل الماء وفي ضمنها أصخر انواع الشمباتياء . كما كان صاحب الدعوة مرحأ مثل أي مدعو آخر ، وربما كان أكثر مرحأ من غيره . وفي نهاية الدعوة نهض ليخفف عن قلبه شيئاً من العبء السياسي الذي كان أكثر مما يتمكن تحمله . وكان فحوى حديثه أن شائعات تعين فيصل ملكاً في العراق اخذت تملأ الاندية والمحافل وهو يود أن يوضح للحاضرين وللحكومة البريطانية أن اهالي العراق لا يريدون فيصلاً ولا

يتساهمون في فرضه عليهم . وإذا كتم تشككوهن في حديثي
فيتزا على هذه المائدة هنا الشيخ محمد أمير ربيعة عنده
أربعون ألفا من أشداء الرجال ، و الشيخ فلان وفلان على رأس قبيلة تعد
ثلاثين ألف رجل ، اسألوهم ليجيواكم بما يفكرون فيه الناس في هذا الشأن ؟
وان الحكومة البريطانية كانت قد وعدت بأننا سنتخبو شكل الحكومة
الذى نريده بحرية ، وانتي احتاج ذهاباً الى تغيير يطيرأ على ذلك
الوعد « ٢٩ » .

أما غريفز فكان تقريره أكثر توضيحاً وتفصيلاً ، فهو يقول : إن
كلمة السيد طالب لم تكن عفو العاطر بل كانت كأنها معدة اعداداً متقدماً من
قبل ، وقد بدأها السيد طالب بتكراره القول انه راضي عن موقف المندوب
السامي ومعتقد بان الحكومة البريطانية تتوى البقاء على الحياد تماماً ، ثم
التفت نحو لاندون يطلب منه التأكيد على ذلك فأجابه لاندون : ان هذا هو
ما يعتقده أيضاً . فسأل السيد طالب : « هل أنت واثق من ذلك تماماً؟ » .
فشعر لاندون بشيء من الامتعاض تجاه هذا السؤال ثم أجاب بأنه قدحصل
في ذلك على تأكيد من المندوب السامي . فاستمر السيد طالب في كلامه
 قائلاً : ان بعض الموظفين البريطانيين في حاشية المندوب السامي متخيرون
نحو الشريف وهم يحاولون ممارسة نفوذهم في هذا الاتجاه بشكل غير
مناسب . ثم وجه السيد طالب سؤالاً إلى لاندون يقول فيه : هل ينصحه
لاندون بأن يرفع شكواه إلى الملك جورج أو إلى المندوب السامي ضد
هؤلاء الموظفين من أجل نقلهم من مراكزهم ؟ فأجابه لاندون مشيراً إلى
ان هناك بعض الموظفين البريطانيين معروفون بتحيزهم نحو النقيب ، وللهذا
فإن نقل الموظفين المتخيزين إلى جانب معين يجب أن يصحبه نقل الموظفين
المتحيزين إلى الجانب الآخر . وهذا همس حسين أفنان في اذن السيد
طالب مشيراً إلى دقة هذه النقطة وما تؤدي إليه من عواقب ، فرمجر

(٢٩) جون فيليب (المصدر السابق) - ص ٥٢ .

السيد طالب قليلا ثم ترك النقطة متحولا في كلامه الى نقطة أخرى حيث التفت الى الشيخ محمد محمد طالبا منه التأييد وقال : ان أهل العراق مصممون على أن تكون الحكومة البريطانية وفية بوعودها واذا لم تفعل فان هناك محمد الامير لديه ثلاثون ألف بندقية يريد أن يعرف السبب في ذلك ، كما أن هناك شيخ العجاشي بجميع أفراد عشيرته . ثم واصل السيد طالب حديثه بأنه اذا بدرت أقل اشارة من الحكومة البريطانية بالتحيز نحو أحد الجانين فان التقيب مستعد ان يرفع شكواه الى العالم الاسلامي ، الى الهند والقاهرة واستانبول ، والى باريس ايضاً .^(٣٠)

لم تكد الوليمة تنتهي حتى أسرع آرثر تود الى بيت المس بيل في محلة السنك ليخبرها بما جرى ، وتلاه لاندون وخبرها بذلك أيضاً . فأرسلت المس بيل الى كوكس تقريراً منفصلاً بما سمعت ، وضمنت تقريرها تحذيراً الى كوكس تخبره بأن السيد طالب قد جمع حوله رجال العصابة الذين كان يستعين بهم في البصرة لارهاب الناس ومنهم الرجل الذي قتل القائد التركي قبيل الحرب ، وقالت المس بيل في تقريرها أيضاً ان السيد طالب قد يحاول قتل فيصل عند قدومه الى العراق^(٣١) .

نفي السيد طالب :

كان السيد طالب عندما ألقى كلمته التهديدية يريد أن يسمع بها كوكس عن طريق تود ، وكان يظن لغوره أن كوكس سوف يشعر بالخوف من تهديده ، غير أن كوكس كان على العكس من ذلك^(٣٢) ، فقد اعتبر كلمة السيد طالب بمثابة تهديد باعلان الثورة ، او اعلان الجهاد ، فاذا هو سكت عنها وشاع أمرها بين الناس كان ذلك في نظر الناس دليلاً

(80) Graves (Op. cit.) - P. 288 - 289.

(81) Burgoyne (op. cit.) - Vol. 2, P. 214.

(82) Monroe (Philby of Arabia) - London 1973 - P. 108.

على ان السيد طالب أصبح قوياً يتحدى بريطانياً ويفعل ما يشاء
بلا رادع (٣٣) .

فرد كوكس اعتقال السيد طالب ونفيه في أقرب وقت ممكن ،
وأبرق بذلك الى لندن . ولم ينشأ كوكس ان يكلف الشرطة بأمر الاعتقال
خبيثة الفشل ، بل اتصل بالجنرال هالدين قائد القوات العسكرية طالباً
منه اعتقال السيد طالب بقواته .

وفي صباح ١٥ نيسان عقد هالدين اجتماعاً عسكرياً مستعجلأ في مقر
قيادته لوضع خطة الاعتقال . وبعد المداولة قرر تكليف الميجر بو菲尔
بمهمة الاعتقال ذلك لأن بو菲尔 كان صديقاً للسيد طالب ويرى أنه معرفة
جيدة فلا يخطئ في تشخيصه عند القاء القبض عليه . وقد احتاج بو菲尔
واعترض على تكليفه بهذه المهمة قائلاً : ان السيد طالب صديقي الشخصي ،
وطالما تمت بضيافته وأكلت من طعامه فلا يجوز لي أن أكون أنا الذي
يلقي القبض عليه . واقتراح بو菲尔 أن تناظر المهمة برجال الشرطة . فرد
عليه هالدين قائلاً بأن التجارب السابقة أثبتت أن رجال الشرطة لا يعتمد
عليهم ، أضف إلى ذلك أنهم سوف يتزدرون في اعتقال السيد طالب الذي
هو رئيسهم المحترم . ثم قال هالدين يخاطب بو菲尔 : يجب عليك ان
تنسي عواطفك الشخصية وتقوم بالمهمة باعتبارها واجباً عسكرياً .

وضع هالدين خطته على أن يتم الاعتقال في عصر ذلك اليوم - أي
في عصر ١٥ نيسان . وسبب ذلك أن السيد طالب كان على موعد في ذلك
الوقت مع زوجة كوكس لزيارتها في دارها وتناول الشاي عندها . فإذا
خرج من الدار تم اعتقاله فوراً . وقد اعترض بو菲尔 على هذا أيضاً قائلاً
بأن الأمر قد يساء فيه من قبل الناس حيث يعتبرونه خرقاً لأداب الضيافة

(33) Graves (op. cit.) . P. 289.

و تكون زوجة كوكس ملومة في ذلك . ولكن هالدين أصر على رأيه لأنه لم يكن يحب أن يكون هناك أي احتمال للفشل في تنفيذ الخطة .

كان كوكس وزوجته يسكنان في نفس الدار الشهورة التي أصبحت فيما بعد مقر السفارة البريطانية ببغداد ، وكان قد انتقلا إليها منذ عهد قريب بعد إكمال بنائها ، وهي تقع على شاطئ النهر في محللة الكريمات في جانب الكرخ . وقد استعدت زوجة كوكس لاستقبال السيد طالب في حديقة تلك الدار وهي لا تعرف شيئاً عن خطة اعتقاله ، وكانت قد استدعت المس بيل لتكون مترجمة بينها وبين السيد طالب . أما كوكس نفسه فلم يحضر الدعوة بل ذهب إلى ساحة السباق ليتفرج على ركض الخيول !

وصل السيد طالب إلى الدار بسيارته في الساعة الرابعة والنصف ، فجلس في الحديقة يتناول الشاي مع زوجة كوكس والمس بيل . وجاء بعد قليل الميجر بوفيل يصحبه ضابط شاب اسمه الكابتن كوكس ، فتناولوا الشاي ثم خرجا . وبعد عشر دقائق نهض السيد طالب مودعاً لأنه كان مدعوًا لتناول العشاء عند السيد جعفر عطيفة في الكاظمية . فقامت انس بيل تمشي معه إلى الباب لتدعيه . وركب السيد طالب سيارته فتحركت به متوجهة نحو الجسر ، ولكن السيارة لم تتمكن من تسير به قليلاً حتى فوجئت بسيارة حمل كبيرة وهي واقفة في منتصف الطريق لأن عطلًا أصابها ، وكانت هناك سيارة حمل أخرى محملة بالجنود تسير خلف سيارة السيد طالب . ولما هم السيد طالب بالاعتراض والسؤال عن سبب وقوف السيارة ظهر الميجر بوفيل والكابتن كوكس فجأة ، فاعتذرنا عن انسداد الطريق ، وطلبنا منه أن يعتبر نفسه سجينًا عندهما . ثم أخذاه إلى شاطئ النهر حيث كان الزورق البخاري الخاص بالقائد العام واقفاً بالانتظار . وتحرك الزورق يحمل السيد طالب نحو الجنوب . . .

كان هالدين لشدة حرمه على نجاح الخطة قد أمر بقطع تلفون

فيليبي ، ولهذا فان فيليبي لم يعلم بالحادث في حينه^(٣٤) . وهو يقول في مذكراته : انه لم يعلم بالحادث الا في المساء عندما ذهب وزوجته الى نادي العلوية لتناول المشاه فيه بناء على دعوة سابقة من الكابتن كوكس ، ولما وصل الى النادي وجد الكابتن كوكس غائباً وكان هناك ضابط آخر ينوب عنه في الصيافة ، وقد حدثه الضابط بما جرى على السيد طالب فاشتد غضب فيليبي عند سماعه القصة ، كما ازعجت زوجته . وفي الصباح ذهب فيليبي لمقابلة كوكس وهو مزمع على تقديم استقالته في الحال . ولكن كوكس أخذ يهدئه ويمدح اليه عن عدم اخباره بالأمر في وقته مخافة ان يعرف السيد طالب بأمر اعتقاله فتشل الخطة . وأكذ كوكس له مرة اخرى بان ليس في النيمة فرض فيصل على الناس . ثم أخبره بأنه قد عين وزيرا للداخلية بدلا من السيد طالب ، فخرج فيليبي من عنده راضيا^(٣٥) .

وفي ١٩ نيسان اذيع بيان من المندوب السامي في تبرير نفي السيد طالب خلاصته ان الحكومة البريطانية لاتزال عند وعدها في ضمان الحرية التامة لل العراقيين للاعراب عن رغبتهم بشأن نوع الحكومة التي يطلبونها ، ولكن السيد طالب تفوه بكلام ينم عن تهديد شائن باشهاد السلاح في وجه الحكومة البريطانية ، وهذا امر لا يمكن ان يتسامح به المندوب السامي لاسباباً وهو يصدر من رجل يشغل منصب خطيرا كالسيد طالب^(٣٦) .

لم يتحدث نفي السيد طالب اى تأثير في بغداد ، حيث قابله الناس بهذه كأنه امرا اعتيادياً . وعندما فاتح بعض الوزراء النقيب بالأمر اكتفى

(34) Monroe (op. cit.) - P. 109.

(35) جون فيليبي (المصدر السابق) - ص ٥٣ - ٥٥ .

(36) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) - صيدا ١٩٦٥ - ج ١ ص ٢٩ - ٣٠ .

النقيب بقوله : « أوصيت ان يعاملوه باحترام وأدب »^(٣٧) . أما في لندن فكان الامر على خلاف ذلك اذ ان الصحافة نشرت القصة وأخذت تدعو الى التخلص من الانتداب في العراق وتصفه بـ « الكابوس »^(٣٨) . وكتب الى كوكس أحد اصدقائه في لندن يقول : ان زوجته لم تمتلك نفسها من البكاء على المسكين السيد طالب^(٣٩) .

مصير السيد طالب :

لعل من المناسب هنا ان نتحدث باختصار عن مصير السيد طالب بعد القاء القبض عليه في بغداد . فقد سار به الزورق البخاري حتى اوصله الى الكوت ، ومن هناك اركب ياخرة نهرية سارت به الى الفاو ، وفي الفاو اركب ياخرة بحرية ابحرت به الى جزيرة سيلان ، فأودع فيها رهن الاعتقال . وقد خصصت له الحكومة البريطانية راتبا شهريا قدره ٢٥٠٠ روبيه .

ظل السيد طالب معتقلا في سيلان حتى تم توقيع فيصل ، فأطلق سراحه . وعندما هاجم ابن سعود الحجاز في عام ١٩٢٤ ذهب السيد طالب الى جدة للمشاركة في التوسط بين الفريقين ، وهناك التقى بالكاتب اللبناني أمين الريحاني . وقد كتب الريحاني في وصف التقائه بالسيد طالب فقال مانصه : « واني لاذكر اجتماعنا في جدة في خريف ١٩٢٤ وأذكر من الاحاديث حدثنا عن العراق . فقد قص علينا بعض وقائع أيامه تلك ، ونحن نشرب الويسيكي والصودا ، ثم وضع الكأس على المائدة ، ورفع يده الى ذلك الرأس اللامع الشريف يمسحه ويربته قائلا : انها هنا شيئا لا يغلب -

(٣٧) خيري العمري (حكايات سياسية) - القاهرة ١٩٦٩ - ص ٤٨ .

(38) Monroe (op. cit.) - p. 109.

(39) Graves (op. cit.) - P. 308.

لا يغلب ٠ وكان يفكر بالعودة الى العراق والى السياسة ٠ كان لايزال يحلم الاحلام الذهبية ٠ فقال يستأنف الحديث : الامور مرهونة بأوقاتها ، وستسمعون عندما اعود مايدهش ويسر أن شاء الله ٠ وسأطلبك يا استاذ واعينك وزير المعارف»^(٤٠) .

يبدو ان السيد طالب فقد كل أمل له بعد انتهاء حرب الحجاز فأخذ يسعى نحو العودة الى العراق وقد عثرت بين وثائق البلاط الملكي على رسائل منه الى الملك فيصل يتسلل اليه أن يسمح له بالعودة ٠ وأخذ فيليب من جانبه يسعى لدى حكومة لندن لرفع ما اصابه من ضيم^(٤١) . فسمع له اخيراً بالعودة ٠ وفي ١ أيار ١٩٢٥ وصل السيد طالب بالباخرة الى البصرة وكان في استقباله على الرصيف جمهور من البصريين يقدر عددهم بثلاثة آلاف^(٤٢) .

اعتكف السيد طالب في داره في «السبيليات» الواقعة على ضفة نهر العرب قرب البصرة ٠ واخذ يكثر من تعاطي الويسكي ويتجنب مواجهة الناس او حضور الحفلات ٠ وكان اذا ذهب الى البصرة سلك طرقاً خالية هرباً من نظرات المارة^(٤٣) . وظاهر انه أصبح بعقدة نفسية شديدة من جراء انهيار آماله . لقد كانت شخصيته قائمة على أساس حب الامرة والمجد الغريض ، ومن الصعب على رجل مثله ان يكون شخصاً عادياً كسائر الناس ٠

وفي ربيع ١٩٢٥ جاء السيد طالب الى بغداد بغية مقابلة الملك فيصل بعد أن توسط له عبدالله المصاوي في ذلك ٠ وقد أقيمت له في بغداد عدة

(٤٠) أمين الريحاني (فيصل الاول) - بيروت ١٩٥٨ - ص ٨٤ .

(٤١) Monroe (op. cit.) - P. 100.

(٤٢) جريدة «العراق» في عددها الصادر في ٥ أيار ١٩٢٥

(٤٣) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) - بغداد ١٩٥٥ - ج ١
ص ٤٠ .

ولاثم احتفاءً به كان آخرها وليمة النقيب الكيلاني ٠ وعندما دخل السيد طالب على النقيب قام هذا مرحباً به واصفاً إياه بـ « ولده » و « حبيبه » و « قرة عينه » ٠ وأخذ السيد طالب يعاتب النقيب على عدم مساعدته له عند القاء القبض عليه ، ثم أهوى على يده فقبلها^(٤٤) ٠

لم يمكن السيد طالب في بغداد سوى أسبوع واحد عاد بعدها إلى داره في « السبيليات » ٠ وفي عام ١٩٢٩ أصيب بمرض خطير ، فسافر إلى ميونيخ للمعالجة في أحدى مستشفياتها ٠ وفي ١٦ حزيران لفظ أنفاسه الأخيرة ، فنقل جثمانه إلى البصرة ٠

جرى لجنازة السيد طالب في البصرة تشيع منقطع النظير ، فاغلقوا الأسواق حداداً عليه وعج الجمود بالبكاء حوله ٠ لقد انقلب السيد طالب عقب موته إلى زعيم شعبي محبوب ٠ وليس ذلك بالأمر الغريب !

نجاح الدعوة الشريفية :

كان نفي السيد طالب من بغداد في نيسان ١٩٢١ سبيلاً في تدعيم الحزب الشريفي ، وضربة مهلكة لخصومه ٠ وقد أخذ جعفر العسكري ونوري السعيد وغيرهما من رجال الحزب الشريفي يضاعفون جهودهم ، يؤيدنهم العائدون من سوريا من جهة ، وتويدنهم المسيل من الجهة الأخرى ٠

وبعد أيام قليلة من نفي السيد طالب حدث حادث آخر أدى إلى زيادة تدعيم الحزب الشريفي ، هو أن جماعة من رجال الدين ورؤساء العشائر اجتمعوا في الكاظمية برئاسة المجتهد الكبير الشيخ مهدي الخالصي ، وقرروا أن يبرقوا إلى الشريف حسين في مكة يطلبون منه إرسال ابنه فیصل ليكون ملكاً في العراق مقيداً بمجلس نيابي ٠ ولكنهم عندما أرسلوا

(٤٤) المصدر السابق - ص ٤٣ - ٤٥ ٠

برقيتهم الى دائرة البرق امتنع الموظف المسؤول عن قبولها متذرعاً ببعض
الاعتراض والصحح .

لاندرى ما هو السبب الذى جعل الموظف المسؤول يمتنع عن قبول
البرقية ، ولكن هذا الامتناع على أية حال أدى الى حماس الناس واصرارهم
على ابراق البرقية . فقد اعتبروا امتناع الموظف تحدياً لرغبتهم الوطنية ،
وظنوا ان هناك لعنة انكليزية تدبر ضدهم .

عاد رجال الدين ورؤساء العشائر الى الاجتماع عند الخالصى مرة
أخرى وقرروا تنظيم احتجاج يرفونه الى السدوب السامي ، غير ان
الخالصى أوصاهم بالتراث ، وأرسل رسالة الى نوري السعيد يطلب فيها
منه ان يساعدهم في ابراق البرقية الى الشريف حسين . وهذا هو نص
الرسالة .

لحضور الماجد نوري باشا السعيد المحترم

بعد الدعاء لك بالتوفيق ، ان الانكليز أبوا أن يعطوا الحرية لل العراقيين
بكل شيء حتى باختيارهم ملوكهم الذين ضحوا في سبيله النفس والنفس
وذلك أن أوعزوا الى مأمورى البرق أن لا يقبلوا البرقيات المعونة الى
الملك حسين بن علي التي يطلبون بها ارسال أحد أنجاله ليكون ملكاً على
العراق ، وهذا أمر لا شك وان عاقبته غير مرضية ، لذلك أرى من الواجب
تدخلكم بصورة رسمية أو خصوصية لرفع هذا القيد واعطاء العراقيين
الحرية التامة بهذا الخصوص ، أما غير هذا فذلك مما يعود لهم ، والسلام .
عن مهدي الخالصى

١٩٣٩ شعبان ١٠

أرسل الخالصى رسالته هذه بيد رسول خاص ليوصلها الى نوري
السعيد في وزارة الدفاع . وحين أوصل الرسول الرسالة الى نوري قال
له هذا : انه سيقوم بالتحري ويبعث الجواب بالسرعة الممكنة . وأضاف
الى ذلك قائلاً : انه يعتقد بأن هذه اللعبة لا علم لحكومة بريطانيا في لندن

بها ، بل هي لعنة بعض موظفي الانكليز في بغداد مع زمرة من العراقيين
الذين لا يرثبون بتواطئ أحد أبناء الملك حسين ملكاً على العراق .
وفي اليوم التالي وصلت الى الخالصى رسالة من نوري السعيد كان
هذا نصها :

١١ شعبان ١٣٣٩

وزارة الدفاع

لحضرة العلامة الكبير والمجتهد الاعظم صاحب السماحة الشيخ
محمد مهدي الخالصي متن الله الامة بدوام بقائه .

سلام الله تعالى عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني اعرض لولي
الاستاذ اني ذاكرت من يتلقى بهم الأمر من رجال الحكومة البريطانية
(بصورة رسمية) بخصوص التلفقات التي يراد ارسالها الى جلاله الملك
حسين بطلب ارسال أحد انباليه الكرام ، فأجابوني بأنه لا يوجد أدنى مانع
من ذلك ، وقد أحجيت أن أكتب الى مولاي بهذا الأمر ، واذا كان سماحته
يرى انتظار منشور المندوب السامي فلا بأس بذلك ، وان دوائر البرق
مستعدة في كل وقت لقبول البرقيات التي هي من هذا النوع . وتفضلوا
في الختام بقبول فائق احترامي وتعظيمي سيدتي .^(٤٥)

المخلصن

نوري السعيد

وعند وصول هذا الجواب الى الخالصي أعلن شكره لنوري السعيد
وأوصى الناس بارسال برقياتهم الى الشريف حسين كما يرغبون . وكان
لهذا الاعلان ردة فرح بين الناس ، حيث شعروا بأنهم انتصروا في مطالعهم
الوطنية . وأخذ الناس في مختلف ارجاء العراق يتلقون على دوائر البرق

(٤٥) فريق المزهر آل فرعون (المحقائق الناجمة) - بغداد ١٩٥٢ - ج ٢
من ٥١٧ - ٢١٨ .

ليرقو الى الشريف حسين بارسال ولده فيصل . وصارت البرقيات تصل
الى مكة تباعاً بشكل لم يسبق له مثيل .

كتبت المس بيل في ١٢ حزيران تعلق على ذلك قائلة مانصه :

« يوجد في أعماق عقلي يقين ثابت أن ليس هناك شعب يجب أن يكون محكوماً بصفة دائمة من قبل شعب آخر . ففي السنة الماضية عندما كانوا كله يهتفون باسم عبدالله لم يكونوا يريدونه لانه كان الرجل الأمثل ، او لأنهم كانوا تحت تأثير الحماس الوطني ، بل لأنهم كانوا يعتبرون الهدف باسمه هو خلاف رغبة الانكليز . . . ولقد كان من القصور في النظر السياسي أننا تركنا المكرة تبلور عندهم في أن الوطنية مضادة للأنكليز . والآن نحن نحاول أن نغذي الوطنية ولكنني أعترف بأن الوطنية التي هي ليست ضد الاجانب قد تمو ضعيفة . ان فيصل حين يأتي وسيمر معنا جنباً الى جنب سوف لا يكون شخصاً محبوباً كما لو كان يقود حركة جهاد ضدنا . انه سوف لا يقود حركة جهاد وليس هذامن مزاجه . فهل تستطيع أن تمده بالروح التي تجعله قادراً على الهاجم دولة عربية الهاجم حقيقة . . . ان هذا أمر يعتمد على شخصيته ، وان من حكمة السر برسي كوكس ان يظل مختفياً يعمل من وراء ستار » (٤٦) .

موقف الصحف البغدادية :

على أثر اغلاق جريدة « الاستقلال » في ٩ شباط ١٩٢١ لم يبق من الجرائد العربية في بغداد سوى جريدة « العراق » لصاحبها رزوق غنام ، وكانت هذه الجريدة تؤيد السياسة الانكليزية في العراق . وعندما صار الحزب الشريفي ينشط للدعائية للأمير فيصل ، اتخذت جريدة « العراق » نفس الموقف الذي اتخذه كوكس ، أي موقف « الحيد الودي » .

(46) Burgoyne (op. cit.) - Vol. 2, P. 220.

ففي ٥ أيار نشرت جريدة «العراق» مقالة لمعروف الرصافي بتوقيع مستعار هو «عرافي مفكر»، يدعوا فيها الى مبدأ «العراق لل العراقيين» . ويرد على الذين يدعون الى اختيار أمير شريفي للعراق . وهذه نبذة من تلك المقالة حيث يقول كاتبها : « أما ما تفضل به أحد أخواننا العراقيين من أن النهضة العربية الاخيرة قد بزغت شمسها في القطر الحجازي وخصوصاً في بيت الشريف ملك الحجاز ولذلك يلزم أن يجلس على ارثه الملك أحدهم فإنه لم يصب بذلك كبد الحقيقة لأن في النهضة المذكورة اشتراك كثير من أبناء العراق وسوريا وقادوا بالنفس وجاحدوا حق الجماد في سبيل الحرية والاستقلال ، لذلك فيمكنا أن نقول ان النهضة عندهما ما قامت كما ينبغي الا بهؤلاء العراقيين وأمثالهم من العرب وليس بالحجازيين فقط ، فلهذا ليس لأمراء الحجاز هذا الحق » .

وحين ظهرت هذه المقالة انبرى لها الشريفيون يردون عليها ، وقد فتحت جريدة «العراق» صدرها لردودهم ، وكأنها كانت تشجعهم على ذلك من طرف خفي كما تقضيه السياسة الانكليزية يومذاك . فنشرت ردأً لعبد الله الدليمي في ١١ أيار ، وردأً آخر لرشيد الهاشمي في ١٢ منه ، وردأً ثالثاً لسليمان الزهير في ١٣ منه .

وفي ٢٠ حزيران ظهرت جريدة جديدة باسم «الفلاح» لصاحبها عبداللطيف الفلاحي ، وهو من خريجي الكلية العسكرية في اسطنبول ، وأخذ يجاهر بالدعوة الى اختيار فيصل . فقد كتب في العدد الاول منها يقول: ان الامة حين جاءت بدعوتها للامير فيصل لأنها تراه جاماً للصفات التي تؤهله أن يكون ملكاً عليها وتترى بها قدم لlama العربية من الايادي الطائلة ، بالإضافة الى ما اكتسبه من التجارب السياسية لطول احتكاره بسياسة الغرب وما حصل عليه من المكانة الرفيعة عند أهل الحل والعقد . وفي ٢٣ حزيران ظهرت جريدة ثالثة هي « لسان العرب » لصاحبها

ابراهيم حلمي العمر . وكان هذا الرجل قبلئذ يصدر الجريدة نفسها في دمشق ، وانتشر هناك بالتحول السريع من حال الى حال . وقد أعلن ابراهيم عن موقفه السياسي في أول عدد أصدره من الجريدة في بغداد حيث قال انها يجب أن لا ينتظركم الناس منها ميلاً الى حزب دون آخر . والملطونون انه اتخذ هذا الموقف تجاءباً مع موقف «الحياد الودي» الذي اتخذه كوكس .

وفي ٢٥ حزيران ظهرت جريدة رابعة باسم « دجلة » لصاحبها داود السعدي ، وأخذت تتجه اتجاهًا معارضًا للحزب الشريفي بشكل غير مباشر . وقيل ان لفيلي ضلماً في هذه الجريدة^(٤٧) . وقد اخذت هذه الجريدة تتوجه في أحاديثها بقية توهين الاتجاه الشريفي في العراق ، فكانت تارة تشير الى ما ينطوي عليه النظام الملكي من استبداد وجور ، وتارة أخرى تحت العرقيين على التمسك ببيعة عبدالله التي تم الاتفاق عليها في التام سابقا^(٤٨) .

ومما يلفت النظر ان الرأي العام صار ينظر الى جريدة « دجلة » نظرية لاتخلو من ريبة واتهام ويعتبرها جريدة تنطق بلسان الانكليز أو المالئين لهم ، وأخذ النقد الشديد يوجّه على الجريدة من كل جانب حتى بلغ الأمر بصاحب الجريدة ذات يوم الى أن يكتب مقالاً افتتاحياً يرد به على ناقديه بعنوان : « الحر متختن بأولاد الزنا »^(٤٩) .

خزعيل يوشح نفسه :

كان الشيخ خزعيل أمير المحمرة يطمع بامارة العراق منذ انتهاء الحرب ، فهو قد خدم الانكليز خلال الحرب خدمة عظيمة . وكان يأمل منهم ان ينصبوه أميراً على العراق مكافأة له على خدمته . وفي ٢٢ كانون

(٤٧) رفائيل بطى . (الصحافة في العراق) . - القاهرة ١٩٥٥ - ص ٨٦ .

(٤٨) خيري العمري (حكايات سياسية) - ص ٧٣ .

(٤٩) رفائيل بطى (المصدر السابق) - ص ٨٦ .

الاول ١٩١٨ كتب الشيخ خزعل الى كوكس مانصه :

« يظهر ان الحكومة البريطانية تبحث عن أمير للعراق . وليس هناك مرشح لائق في متناول اليد . ان تسعة أعشار العراق هم شيعة ، والامير يجب ان يكون شيعيا أيضا وانى مواطن عراقي . وقد ولدت وترعرعت على شط العرب . وبرهنت على اخلاصي . وسوف أعمل في كل الامور وفق رغبات المندوب السامي وأوامره ، كما كنت في الماضي »
ان كوكس لم يؤيد الشيخ خزعل على طلبه هذا . فقد كان رأي كوكس ان اختيار خزعل لامارة العراق سيكون ذا تأثير سيء على السنين الذين كانوا ذوي النفوذ الاعظم في العراق (٥٠) .

لم يتأس الشيخ خزعل بل ظل يتحين الفرصة للمطالبة من جديد بعرش العراق . وأخذ يقوى علاقاته بالعراقيين بشتى الوسائل ، ولا سيما بعلماء الشيعة وشعرائهم وخطبائهم ، وصار يندق عليهم الاموال ويتحبب اليهم . وفي عام ١٩٢٠ أمر بطبع كتاب في مصر يتضمن تاريخ الامام علي وقصيدة طويلة جدا في مدحه بقلم عبدالمسیح الانطاكي صاحب جريدة « العمران » القاهرية . وقد انتهى طبع الكتاب في ٣٠ نisan فأرسلت نسخه الى المحمرة ومن هناك ارسلت الى العراق لتوزيعها على الناس مجانا في سبيل الدعاية لخزعل ، ولكن السلطة البريطانية لم تسمح بشرقه ، فبقيت نسخ الكتاب مخزونة في بيت الدين كلفوا بتوزيعه ، ولم ينشر الا بعد سنوات - أي بعد فوات الآوان !

وفي أوائل ١٩٢١ عندما كان الانكليز يبحثون عن مرشح ملائم لعرش العراق استعاد خزعل نشاطه في هذا السبيل ، فأرسل أحد رجال الدين الى النجف ومعه مبلغ ضخم من المال قدر بعشرين ألف ليرة ذهب لكي

(50) Gassan Atiyyah (op. cit.) - p. 368.

يوزعها هناك من اجل الدعاية له ، كما أرسل مزاحم البايجي الى بغداد لهذا الفرض ايضاً .

لم يوزع رجل الدين من المال شيئاً بل احتفظ بالبلوغ كله لنفسه ، وقيل انه اخفاه في احد جدران بيته وبنى عليه ، ولم يفتحه الا قيل وفاته . أما مزاحم البايجي فقد باع مساعيه في بغداد بالفشل . وقد تَبَ الى خرَّ عل رساله مؤرخة في ٩ آذار ١٩٢١ نقطف منها ما يلي :

حضرتة مولاي السردار

بعد التشرف بششم أناكلكم الشريفة أعرض انسي
وفقاً لامركم ذهبت الى بغداد وحيكت مع المعلومين فوجدتهم كما سبق مني
التبؤ بحقهم ، ورأيت الاحوال متغيرة للغاية ، وأقتع أحد بالمطلوب من
أصعب الامور بل يكاد يكون مستحيلاً ٠٠٠ اني اختبرت الحالة جيداً
وعرفت بوطنها وظواهرها ، وصدقني مع سموكم يجبرنى ان اقول ذات
القول الذى قلت قبل شهر وهو ان المسألة منتهية والسعى فيها لا أرى فيه
أقل نفع اذا لم يكن فيه بعض الضرر ، ولا يبعد ان يكون هذا الضرر على
مثلثي اذا حاول تبديل مأوقع عليه الاتفاق وفاه به أهل الحل والمقد ٠٠٠
هذا وانى لا ازال ذلك البند المخلص الصادق لسموكم أطال الله بقاءكم
ومتنا بعمركم وجعلكم لي فخراً وذخراً .

الداعي

مزاحم الامين البايجي (٥١)

أدرك خرَّ عل ان الدعاية وبذل الاموال لا جدوى منها تجاه ارادة
القوى الخفية العاملة من وراء الستار ، ولهذا آثر الانسحاب في الوقت
المتوافق بدلاً من العناد . وفي ١٤ حزيران نشرت جريدة « العراق » بياناً
تحت عنوان « حول عرش العراق » وقدمته بقولها « جاءنا ما يأتي من مصدر
ثقة في البصرة » . وهذا هو نصه :

(٥١) خيري العمري (المصدر السابق) - ص ٥٧ - ٥٨

« اجتمع السردار اقدس صاحب السمو الشيخ خزعل خان امير المحمرة بلغيف من اشراف البصرة واعيانها منهم حضرات اصحاب السعادة احمد باشا الصانع وعبداللطيف باشا المنديل وعبدالكريم بك السعدون ومزاهم بك الامين الباچجي وبلغهم صريحا ما يأتى : « انتي عندما طرحت مسألة عرش العراق على بساط البحث ورأيت أن الذين رشحوا انفسهم لذلك العرش هم حوني في المنزلة والكفاءة والمقدرة وفي جميع الزايا والصفات التي يجب أن يتتصف بها ملك أو امير ، كنت رشحت نفسي لذلك العرش لأنني رأيت أنني احق واجدر من جميع الذين رشحوا انفسهم له ٠ أما الآن وقد بلغني ترشيح سمو الامير ففصل لهذا العرش » فانتي اتنازل عن ترشيح نفسي لأنني ارى في شخص سمو الامير فصل جميع الصفات والمواهب التي تؤهله لأن يتولى ذلك العرش ، واني أقابل ترشيح سمو الامير ففصل بكل ابهاج وأؤيد كل التأييد وأرجو من جميع اصدقائي ومواطني أن يؤازروه بكل قواهم ٠

ثبت الشيخ خزعل بهذا انه اكثرا حنكة من السيد طالب وأبصر منه بحقائق الامور !

ماذا في مكة :

في الوقت الذي كانت فيه بغداد مشغولة بأمرها كانت مكة مشغولة أيضا ٠ فقد كان فيها عدد غير قليل من رجال الثورة الفارين من العراق وهم لا جثون عند الملك حسين وفي ضيافته، وكانوا فريقين : فريق البغداديين وهم : جعفر ابو التمن وعلي البازر كان ومحمود رامز وشاكر القرغولي واسمعائيل كنة وامين زكي وعبدالرازق الهاشمي ٠ اما الفريق الآخر فيتألف من سادة الفرات الاوسط ورؤساء عشائرها وهم : نور الياسري وهادى المقوطر وعلوان الياسري ومحسن ابو طيسخ ثم مرزوق العساد وصلال الموح ومهدى الفاضل وشعلان الجبر ورایح المطية ٠

وصل فيصل الى مكة في ٢٥ نيسان ، وكانت البرقيات يومذاك قد بدأت ترد تباعا من العراق الى الملك حسين . يروى علي البازركان : انه كان ذات ليلة في مجلس الملك حسين على سطح قصره في مكة ، فمد الملك يده تحت فراشه وأخرج ورقة قال انها برقة من اهل العراق ، وناولها الى البازركان قائلا : « خذها ياشيخ واقرأها » . وكان هذا نص البرقة : « نرجو ارسال نجلكم الملك فيصل الى العراق ليكون ملكا دستوريا . متضررين تشريفه » . وكانت موقعة من قبل محمد مهدي الصدر ونوري السعيد وحمدي الباچجي ومحبي الدين السهروردي وبهجهت زينل . وسأل الملك حسين عن هوية أصحاب البرقة فأجابه البازركان يمدحهم ، وسأل الملك مرة اخرى : « ان العراقيين طالبوا بالامير عبدالله في بادئ الأمر ليكون ملكا دستوريا عليهم فما الذي دعاهم الى تغيير وجهة نظرهم؟ » فأجابه البازركان : « انهم طلبوا عبدالله حين كان فيصل ملكا في سوريا وهم يطلبون الآن فيصل لانه بلا شغل » . فقال الملك : « ولكنني أخشى ياشيخ ان يعامل اهل العراق فيصل كما عاملوا جده الحسين (ع) من قبل » . فأجابه البازركان قائلا : « سيدى لقد تغير الزمان وان اهل العراق ليسوا كاسلافهم في زمن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام » . فهم الآن يقومون باكرام الضيف وبخدمة ملككم » . وعند هذا ضرب الملك كفاف بكتف وصاح بهجهته الحجازية : « ياعيال نادوا فيصل » ^(٥٢) .

وبعد هذا اجتمع العراقيون الذين كانوا في مكة عند الملك حسين وباللغة رثة اهل العراق في تسویج ابنه فيصل ملكا عليهم ، فقال لهم : « انتي اوقفت نفسك ومن يتبعها لخدمة الاداء العربية » . وقد وردتني كثير من الرسائل والبرقيات حول هذا الطلب وبينها الشيء الكثير من العلماء وزعماء

(٥٢) علي البازركان (الواقع العقيقية) - بغداد ١٩٥٤ - ص ٢٢٩ - ٣٣٠

القضية العربية في الفرات ٠ وقد أمرت فيصل ان يتوجه الى العراق وهو وديعتي عند العراقيين ، قوموا واذهبوا معه ، وارجو ان لا يحدث مسعه في العراق مثل ماحدث في سوريا ، فقام محسن أبو طبيخ وقال : « ان العراق غير سوريا ، وان العراقيين راغبون في سموه ٠ وهما ائمتي اول من يبايع الامير فيصل ملكا على العراق » ٠ ومد يده نحو فيصل يبايعه ، فهذا حدث في المبايعة بقية العراقيين^(٥٣) ٠ ويقال ان الملك حسين التفت نحو السيد نور الياسري يخاطبه باعتباره اكبر الحاضرين سنا وقال له : « يا سيد نور اني اعتبرك كأخي الاعظم واني قد اودعت ولدى فيصل عند جدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ثم اودعته عندكم » ٠ فأجابه السيد نور : « انتا سرحب بفيصل وسيكون موضع احترامنا ومحبتنا ونضحي في سبيله كل ما نملك^(٥٤) ٠

فيصل يتوجه الى العراق :

في ٣٠ أيار ١٩٢١ صدر في بغداد بيان العفو العام عن جميع الذين شاركوا في ثورة العشرين حيث لم يستثن منهم سوى افراد معينين ٠ وكان القصد من هذا البيان ان يكون رجال الثورة الذين فروا من العراق في صحبة فيصل عند وصوله الى العراق ٠ وفي ١ حزيران ابرقت حكومة لندن الى فيصل تأذن له بالتحرك نحو العراق^(٥٥) ٠

وفي ٣ حزيران ابرق فيصل الى محمد الصدر ويوسف السويفي وعلى جودت الايوبي الذين كانوا في دمشق بالتوجه الى القاهرة ، ومنها الى الحجاز ٠ وفي ٦ حزيران سافر هؤلاء الثلاثة من دمشق بسيارة حمل ، وعند وصولهم القاهرة وجدوا فيها رستم حيدر وابراهيم كمال وصبيح نجيب

(٥٣) فريق المزهر آل فرعون (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٥٢٤ - ٥٢٥

(٥٤) عبد الشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) - النجف - ١٩٦٦ - ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٥٥) Graves (op. cit.) - p. 293.

ومكي الشربتي . فسافروا من القاهرة جمِيعاً إلى جدة بعد أن انضم إليهم الميجر كورنواليس وكان هذا قد طلبه فيصل ليكون مستشاراً له و وسيطاً بينه وبين المندوب السامي في العراق .

وأعادت الحكومة البريطانية طراداً حربياً اسمه « نورث بروك » لنقل فيصل وحاشيته إلى العراق . وفي ١٢ حزيران أبحر الطراد من جدة وكان يحمل علاوة على أولئك الذين جاءوا من القاهرة جميع الذين كانوا في الحجاز من رجال الثورة ماعدا أربعة منهم ، وهم : جعفر أبو التمن ومحسن أبو طيف ومرزوق العواد ورایح العطية . فقد امتنع هؤلاء عن مرافقة فيصل معتقدين برغبتهما في إداء فريضة الحجج الذي كان موسمه قريباً . ويقال أن أبو التمن قال بأنه لا يحب أن يشترك في هذه « الزفة » . أول برقية وصلت إلى بغداد عن ابحار فيصل من جدة كانت مرسلة من جعفر أبو التمن إلى بعض الوطنين في بغداد ، وكان هذا نصها : « سمو الشريف فيصل أبحراليوم إلى البصرة ، أعدوا الاستقبال اللائق » . وقد وصلت نسخة من هذه البرقية إلى يد النقيب . يقول فيليبي في مذكراته عن هذا الموضوع ما يلي :

« وفي أحد الأيام بعد انتهاء جلسة طويلة من جلسات مجلس الوزراء طلب إلى» النقيب الشيخ أن تأخر لأنَّه كان يريد التحدث إلى» شخصياً . وعندئذٍ بادرني قائلاً : هل تعرف شيئاً عن هذا ؟ ووضع في يدي برقية بعد أن ترك الجميع الغرفة . وكانت البرقية قد وردت من جدة بتوقيع جعفر أبو التمن . فأجبت قائلاً : « كلا ، لا أعرف شيئاً ، ولكن هل في وسعي أن أحتفظ بالبرقية ؟ سوف أذهب لمواجهة كوكس في الحال ثم أعود لاخبركم بما يقول » . ثم ذهب فوراً إلى المقيمية حيث وجدت كوكس غير مشغول ، وبادرته قائلاً : « إن الأسواق ملأى بالشائعات بأن فيصل قد أبحر من جدة متوجهًا إلى البصرة ، فهل ذلك صحيح ؟ » الا أنه أجابني : « أؤكد

لک یافیلپی ، لا أعرف شيئاً عن ذلك ، حيث أنني لم تصلني مثل هذه الاخبار . وعند ذلك ابرزت البرقية قائلاً : « أذن قد يهتم ان تقرأ هذه » . فكرر تأكيدهاته السابقة بأنه لا يعرف شيئاً عنها ، ثم خرجت لموافقة النقيب بالنتيجة .^(٥٦)

وفي ١٤ حزيران ألقى تشرتشل بياناً مطولاً حول العراق في مجلس العموم البريطاني قال فيه ما يلي : « ٠٠٠ ليس في النية اكراه الشعب على قبول حاكم مخصوص ، وستطلق الحرية التامة في البحث والافصاح عن الرأي ، سواء كان ذلك في انتخاب الحاكم او انتخاب الجمعية العمومية ٠٠٠ وقد أبلغت حكومة صاحب الجلالة البريطانية الامير فيصل انها لاتعارض في ترشيحه ، وانه اذا تم انتخابه فالحكومة البريطانية تؤيده . وهو الان في طريقه الى البصرة ، ولا شك في انه اذا انتخب فيصل تكون قد توصلنا الى حل فيه مستقبل ناجح سعيد ».^(٥٧)

نشرت جريدة « الاوقات البنادية » بيان تشرتشل في اليوم التالي . فاستاء منه فيلبي كل الاستباء ولكنه كتم استياءه لانه كان يد حفلة عشاء ورقص فخمة في مساء ذلك اليوم في نادية العلوية . وقد حضر الحفلة عدد كبير من المدعويين كان من بينهم كوكس وزوجته والمس بيل . ورقص فيلبي في البداية مع زوجة كوكس التي كانت منشرحة جداً ، ثم رقص مع المس بيل وغيرها . ويقول فيلبي في مذكراته : انه شرب كثيراً ليفرق أحزانه واتراجه ، ولما رقص رقصته الاخيرة مع المس بيل كان ثملاً جداً فناقشها أثناء الرقص مناقشة حادة ، وهو لم يشعر بما فعل لشدة سكره ، غير أن زوجته أخبرته به في صباح اليوم التالي .^(٥٨)

(٥٦) جون فيلبي (المصدر السابق) - ص ٥٦ .

(٥٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٣٣ .

(٥٨) جون فيلبي (المصدر السابق) - ص ٥٧ - ٥٨ .

وبعد ثلاثة أيام وصلت إلى النقيب برقة من الملك حسين كان هذا
نصها :

فرع الدوحة السوية فضيلة السيد الأجل حضرة النقيب ° ضروري
بلغكم توجه ابني فحصل إلى طرفكم بناما على طلبات الأهالي المتعددة °
ولامزاج عائلتنا بكم ° فلا احتجاج أن ابحث عما يجب لسعكم جميعا فيما
يستلزم راحة البلاد ومضاunganة الرغبة وتأمين مستقبل الكل ° هذا ما انتظره
من هم نجابتكم والحسنة الدينية والقومية ° والله يتولانا واياكم بال توفيق °

عن مكة المكرمة في ١٧ حزيران ١٩٢١ م

حسين

فأسرع النقيب يجيب الملك حسين برقة هذا نصها :

لحضرة صاحب الشوكة والمظمة جلالته الملك حسين سلطان الحجاز
أيد الله شوكته ° لقد أخذت يد التكريم والإجلال برقة جلالتكم المشعرة
بتوجه سمو الأمير ذي القدر الخطير الامير فيصل حفظه الله إلى العراق
وقد ابهجنا سرورا من هذا البشارة ودعونا له بالسلامة وصرنا ننتظر قدومه
ساعة فساعة شوقا للقياه ° فبمنه تعالى عند قدوم سموه نبادر إلى القيام
بالواجب علينا من خدمته حيث اتجاد النسب والحسب التقديرين يقضيان
 بذلك على الداعي ° وأما الامر السامي الملوكى لهذا الداعي بالسعى جميعا
فيما يستلزم راحة البلاد فهو واجب الامتثال على كل حال لاقضاء الحسن
الوطني ونسأل الله التوفيق °

عن بغداد ١٩ حزيران ١٩٢١ م ° التوقيع : نقيب اشراف
بغداد (٥٩) °

(٥٩) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٣ - ٣٤

وفد الاستقبال :

أخذت البرقيات تتوالى الى بغداد عن قرب وبصوٌل فیصل ووجوب الاستعداد اليه ، وكان من بين تلك البرقيات واحدة من السيد محمد الصدر الى ايه السيد حسن ، واخرى من يوسف السويدي الى ابته ناجي . وقد اهتم ناجي السويدي بالامر فارسل بطلقات الدعوة الى اعيان بغداد وأولي الرأي يدعوهم الى الاجتماع يعقد في بينما رویال في صباح الجمعة ١٧ حزيران للنظر في منهاج استقبال الامير فیصل . وعندما تم عقد الاجتماع في الموعد المعين قام ناجي فشکر الحاضرين واخبرهم بوصول البرقيات عن قرب قدوم الامير ، وقال انه سيكون ضيف العراقيين وانهم يجب ان يقوموا بما يجب عليهم في هذا الشأن طبقا لما اشتهر عنهم من الكرم والضيافة . ثم اضاف قائلا : بأن الحكومة والبلدية ستقومان بما يجب عليهما ، ولكن هذه الدعوة موجهة اليكم يا ابناء الشعب ، فاتم الداعون واتم المدعوون ، وان الامير سوف يصل الى البصرة في ٢٣ منه ، ومن اراد منكم الاشتراك في الوفد الشعبي لاستقباله فليسجل اسمه ، وسيمر عليكم بعض الاصدقاء لتسجيل اسماء الراغبين ، وسيسافر الوفد الى البصرة مساء الاحد القادم . ثم اوضح ناجي السويدي ان كل واحد من اعضاء الوفد سيتكلف نفقات سفره .^(٦٠)

سافر الوفد الشعبي بالقطار مساء الاحد ١٩ حزيران حسب الموعد المقرر . ولوحظ ان اثنين من الوزراء رافقاه في سفرته هما فيليبي ووزير الداخلية وجعفر العسكري ووزير الدفاع . ومن الممكن القول ان سفر هذين الوزيرين كان جزءا من الخطبة التي وضعها كوكس لكي يثبت بها حياده امام الناس . فلقد كان فيليبي يبذل كل جهده في مقاومة ترشيح فيصل كما رأينا ، بينما كان العسكري على العكس منه . وتلك لعنة من

(٦٠) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٨ حزيران ١٩٢١ .

ألاعيب السياسة التي انطلت على الناس !

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان فيليبي أبدى نشاطاً غريباً في جميع المخططات التي مر بها القطار حتى وصوله الى البصرة . ففي كل محطة كان حاكم المنطقة يأتي لاستقباله مع جمهور كبير من الاهالي وهم يسألونه عما يجب عليهم ان يفعلوه في استقبال الامير فيصل ، فكان فيليبي يجيبهم بأن ليس هناك أوامر رسمية في هذا الشأن وان الامير قد جاء من شخصاً وليس ملكاً ، وأنهم أحرار فيما يفعلون تجاهه . وقد أوصى فيلسى حكام المناطق كلاً على حدة بأنهم يجب ان يستقبلوا القطار الذي يحمل الامير دون أن ينظموا مظاهره ، فان ذلك متروك للاهالي أنفسهم ، وان الاستقبال حتى في بغداد والبصرة ينظم بصورة غير رسمية^(٦١) .

وصول فيصل :

وصل الطراد الذى يحمل فيصل وحاشيته الى ميناء البصرة في الساعة الخامسة والنصف من عصر ٢٣ حزيران . وكانت البصرة قد استعدت لاستقباله فنصبت له آتواس النصر في الشارع العام ، وخرجت في الشط بعض الزوارق البخارية والبواخر النهرية وهى مزدادة بالاعلام العربية ، كما تجمع على ضفاف الشط عدد كبير من الريفيين وهم يهজجون ترحيباً به^(٦٢) .

فوجئ فيصل عند نزوله من الطراد بلوحة مرفوعة على مدخل الشوارع مكتوب عليها : « لتحي الجامعة العراقية » ، ولوحة اخرى عند مدخل البصرة مكتوب عليها : « لتحي البصرة جزءاً من العراق » . وقد تبين له بعدئذ ان عريضة تحمل ٤٥٠٠ توقيع من اهل البصرة كانت قد

(٦١) جون فيليبي (المصدر السابق) - ص ٦٠ .

(٦٢) محمد عبدالحسين (ذكر فيصل الاول) - بغداد ١٩٣٣ - ص ١٥ - ١٧ .

قدمت قبل فترة قصيرة الى المندوب السامي وهي تتضمن طلبا بفصل البصرة عن العراق ، ولكنها لم تل موافقة جميع اهل البصرة اذ قاومها فريق كبير منهم^(٦٣) ، كما ان المندوب السامي ردها بشدة^(٦٤) .

نزل فيصل في دار متصرف البصرة أحمد باشا الصانع ، وتوزعت حاشيته في دور بعض وجهاء البصرة . وفي صباح اليوم التالي اقيمت حفلة في دار المتصرف حضرها أعيان البصرة والوفود ، وألقى الخطيب الترجيية والقصائد من قبل محمد زكي المحامي وعطاء امسين وكاظم الدجىلى وعبدالرحمن خضر ومحمد عبدالحسين وعبدالحافظ طه واحمد حمدى ملا حسين ومهران مهونيان ثم ارتجل فيصل في الختام كلمة طويلة نقل منها النبذة التالية :

« ٠٠٠ واني لأصرح لكم بالنبي وآلـه ، ليس لي أى طمع شخصى وإنما أعمل طمعا في خدمة هذه البلاد ابتقاء لوجه الله تعالى ، واني لأرغب أن أرى في المقامات العالية غيرى من تجمع عليه الامة ، واني اقسم بشرفى وتربة اجدادى وبقبر جدنا الرسول (ص) اتنى اول من يباعي الرجل الذى تافق عليه الامة جماعة ، فإذا اردتم أن تولوا عليكم شخصا انصحكم بان تخلصوا في القول وإذا قال احدكم كلمة لا يحيى عما قال ٠٠٠^(٦٥) .

لم يبق فيصل في البصرة سوى يوم واحد اذ غادرها بالقطار في مساء اليوم الثاني من وصوله ، متوجها الى الحلة . وكان استقباله في المحطات بين البصرة والحلة فاترا جدا من جراء التعليمات التى اصدرها فيليبي الى الحكم . وقد اغتاظ فيصل من ذلك . ويقول فيليبي في مذكراته :

« وقد قضيت انا وكورنواليس معظم الطريق في قاطرته - اى عربة

^(٦٣) سليمان فيضي (المصدر السابق) - ص ٢٦٩ - ٢٧٣ .

^(٦٤) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢٥٦ (حاشية)

^(٦٥) فريق مزهر آل فرعون (المصدر السابق) - ص ٥٢٨ .

فيصل - نبحث الوضع وتناول الويسكي والصودا . وقد أوضح فيصل انه لم يأت الى العراق الا بدعوة من الحكومة البريطانية ، وانه يتوقع ان يؤازره الموظفون البريطانيون مؤازرة فعالة في ترشيحه للعرش . فكانت صريحا معه صراحة تامة : كما كان واضح ان الحكومة البريطانية تريده ملكا في العراق ٠٠٠ لكن الانتخاب يجب ان يكون انتخابا حرا ، حيث ان التعليمات صدرت بهذا المآل الى جميع الموظفين البريطانيين في البلاد . وقد اضفت الى ذلك انه اذا كان يريد كسب اصوات الاهالي فيبلاد على اساس انه مرشح بريطانيا العظمى فان امله في النجاح سيكون ضعيفا^(٦٦) .

امتنع فيصل من هذا الكلام امتعاضا شديدا ، وتبين له ان الطريق امامه سوف لا يكون سهلا كما كان يتصور سابقا . ولما وصل القطار الى الحلة ازداد فيصل امتعاضا اذ لم يجد في استقباله في محطة الحلة سوى رجلين . وقد وصف علي جودت الايوبي في مذكراته ما جرى حيث قال :

« وعند وصولنا الى الحلة لم نجد في المحطة الا معاون المقتش الاداري برترام توماس ورئيس البلدية عبدالرزاق شريف ، وهناك انفجر المرحوم جعفر المسكري معاينا رئيس البلدية لعدم اهتمامه باعداد الاستقبال كما يجب ان يكون . فكان اعتذار رئيس البلدية الذي كان يتلقى أوامره من المحاكم السياسي الانكليزي ان جعفر لم يبرق اليه بمقدم فيصل وانما ابرق الى الوطنيين فقط »^(٦٧) .

ولم تقف الحالة عند هذا الحد ، فان برترام توماس دخل على فيصل بحضور الايوبي والمرافق صبيح نجيب ووجه اليه بكل وقاحة هذا السؤال : « ليش جنابك جيت الى العراق ؟ » فرد عليه فيصل قائلا : « لماذا تسألني ؟ » فقال توماس : « لأن الاهالي لا يريدونك » . فرد عليه فيصل : « ولماذا

(٦٦) جون فيلبي (المصدر السابق) - ص ٦٢ .

(٦٧) علي جودت (ذكريات) - بيروت ١٩٦٧ - ص ١٤٤ .

ترى بـ ان تتدخل انت بيني وبين الاهالي ؟، فقال توماس : « حتى أخبرك » .
فكان رد فيصل الاخير عليه : « لست بحاجة الى خبرك وسوف ترى ما اذا
 كانوا يريدونني أم لا » . وعند هذا خرج توماس (٦٨) .

في النجف وكرباء :

غادر فيصل وحاشيته الحلة في صباح اليوم التالي حيث ركبوا
السيارات متوجهين الى النجف وقد تسد فيلبي وكورنوايس الابتعاد عنه
في النجف . وكان منظره وهو بملابس العربية ويحف به رجال الثورة
موحيا للناس بان الهدف الذى طالبته الثورة قد تحقق الآن .

اول عمل قام به فيصل فى النجف هو زيارته لمقر الامام علي ، ثم
زار بعض العلماء ، وحل اخيرا في بيت السيد هادي النقيب حيث كان
اجتماع كبير فألقى فيه فيصل كلمة شكر فيها التجارين ومدح الثورة العراقية
والثورة الحجازية . ثم نهض باقر الشيبى فألقى كلمة بالنيابة عن الحاضرين
قال فيها : « اتنا كنا تتطلع بشوق الى هذه الزيارة الميمونة من ضيف العراق
ال الكبير الامير فيصل الى موطن الثورة التي نرجو ان تستكمل نتائجهما
المطلوبة كما نرجو من الله ان يتحقق اهداف جلاله الملك حسين باستقلال
البلاد العربية وجمع شمل العرب وتحقيق اهداف الثورة العربية ثورة
التحرر والانعتاق » .

وفي المساء اقام السيد عباس الكليدار مأدبة عشاء فخمة فألقى فيها
فيصل كلمة قال فيها انه سيقوم بكل حزم لاصلاح البلاد وتعميرها ، واعقبه
باقر الشيبى بكلمة حماسية شديدة حيث قال : « ان الثورة العراقية هي
وليدة افكار تحررية قديمة من زمن الاثراك ، واننا قد ضحينا بكل غالى
ورخيص ، فلا يمكن ان نسلم ثمرة جهودنا الطويلة واتعابنا المريرة الا بـ
امينة مخلصة تحرص على استقلال بلادنا ومصالحتنا واهدافنا القومية »

(٦٨) المصدر السابق - ص ٤٤ - ١٤٥

والوطنية » . ويقال ان فيصل اعتبر هذه الكلمة موجهة ضده وامتنع منها (٦٩) .

وفي صباح ٢٧ حزيران توجه فيصل وحاشيته الى كربلاء وكان المتصرف في كربلاء يومذاك حميد خان . ويقول غريفز : ان استقبال فيصل في كربلاء لم يكن حماسيا لان المتصرف لم يكن راغبا في استقباله ، وقد ذهب هذا المتصرف الى بغداد في اليوم السابق ، وبعد أن قابل المندوب السامي عاد الى كربلا مسرعا ، ولهذا كان الاستعداد لاستقبال فيصل مستعجلأ (٧٠) .

قضى فيصل في كربلا يوما واحدا زار فيه مرقدى الحسين والعباس عليهما السلام ، وبات ليته في ضيافة خليل الاسترادي . وفي صباح اليوم التالي - ٢٨ حزيران - غادر كربلا الى طويريج ، فمكث فيها خمس ساعات في ضيافة السيد هادى القزويني (٧١) ، ثم توجه نحو الحلة .

ومما يلفت النظر ان الاستقبال في الحلة كان في هذه المرة بخلاف ما كان عليه في المرة الاولى ، ويدو ان اهل الحلة شعوا بتقصيرهم تجاه فيصل ومن معه من رجال الثورة ، فخرجوها في هذه المرة لاستقباله بجموع غفيرة اشترک فيها النساء والصبيان وتلامذة المدارس (٧٢) ، وأخذوا يهزجون بقولهم : « حي الله الملك فيصل » . وعند وصول فيصل الى الحلة نزل في بيت محمد علي القزويني ، وتهافت أهل الحلة للسلام عليه هنالك ، وألقى عدد من الشعراه قصائد في مدحه والترحيب به .

(٦٩) عبد الشهيد الياسرى (المصدر السابق) - ص ٣٥٠ .

(70) Graves (op. cit.) - 206.

(٧١) علي جودت (المصدر السابق) - ص ١٤٦ .

(٧٢) ملحق جريدة « دجلة » الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٢١ .

وصوله الى بغداد :

اذيع بيان في بغداد بان الامير فيصل سوف يصل بالقطار في الساعة السابعة من صباح ٢٩ حزيران . وكانت بلدية بغداد قد خصصت خمسين ألف روبيه لاستقباله فنصبت اقواس النصر في عدة مواضع من المدينة . وزينت الشوارع بالاعلام العربية وسف النخيل واكضفت ارصفة الشوارع وشرفات المنازل بالتلرجين ، كما خرج المستقبلون الى محطة القطار في الكرخ وكان في مقدمتهم كوكس والجنرال هالدين والشيبيل والوزراء . وبينما هم في الانتظار وصلتهم برقية مفادها ان عطلا اصاب سكة الحديد ، وان الامير قادم بالسيارة والمأمول ان يصل في الوقت المحدد . وظلوا يتظرون حتى الساعة الثامنة . ثم وصلتهم برقية أخرى مفادها ان السكة اصلاحت وان الامير قادم بالقطار وسوف يصل بغداد ظهرا . وعند هذا ارتئى كوكس ان الاستقبال في وقت الظهر سيكون شاقا لاشتداد الحر فيه ، وقرر ان يبقى الامير في القطار عند وصوله حتى الساعة السادسة لكي يجري الاستقبال عند المساء . فعاد المستقبلون الى بيتهم^(٧٣) . وأذاعت البلدية بيانا قالت فيه ان وصول الامير سيكون في الساعة العاشرة حسب التوقيت العربي^(٧٤) .

لاندرى هل كان هذا التأخير متعمدا ام انه جرى على رسle . غير أنه على اي حال كان مفيدا للدعایة الشرفية حيث أخذ الناس يتقولون بأن التأخير سببه الانكليز لأنهم لا يريدون ان يجرى للامير مثل هذا الاستقبال الشعبي العظيم . وأخذت الاشاعات المختلفة تروج بين الناس في هذا الشأن مما ادى الى ارتفاع مكانة الامير فيصل في نظر الناس .

جرى الاستقبال في الساعة السادسة حسبما قرره كوكس . وقد

(73) Lady Bell (Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - p 489.

(74) ملحق جريدة « دجلة » الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٢١ .

قوب الامير بحماس بالغ حيث هتفت له الجماهير في الشوارع التي مر بها
 وكان هو يحييها بيده مبتسماً حتى وصل الى الدار التي اعدت له فـى
 داخل القشلة ، وهـى الدار التي كانت مقرـاً للوالى فى المعهد العثمانى وتقع
 على شاطئ دجلة ، وقد اخذت الجرائد البـغدادية تسمـىـها بـ « دار الامارة » .
 كان الامير مـسـروراً للاستقبال العظيم الذى جـرى له ولكنه كان فى
 الوقت نفسه معـومـاً لوقف فـيلـي والحكـامـ السـيـاسـيـينـ فىـ الـأـلـوـيـةـ تـجـاهـهـ .
 فقد قـيلـ له انـ اوـلـئـكـ الحـكـامـ كانواـ قادرـينـ انـ يـجـمعـواـ النـاسـ لـاستـقبـالـهـ فىـ
 المـحـطـاتـ ، وـلـكـنـهـ لمـ يـفـعـلـواـ ، وـأـخـذـ يـسـأـلـ : هلـ انـ الـمـنـدـوبـ السـامـىـ يـقـفـ
 الىـ جـانـبـهـ ، وـاـذـاـ كانـ الـامـرـ كـذـلـكـ فـلـمـاـذاـ اـتـخـذـ الحـكـامـ السـيـاسـيـونـ مـوقـفاـ
 مـنـاـيـراـ لـوقـفـ رـئـيـسـهـ؟ (75) .

زـارـتـهـ المسـبـيلـ فىـ السـاعـةـ السـابـعـةـ منـ صـبـاحـ الـيـوـمـ التـالـيـ ، فـرـحـبـ
 بهاـ وـشـكـرـ جـهـودـهاـ التـىـ بـذـلتـهاـ فـىـ سـيـلـهـ ، وـقـدـ اـكـدـتـ هـىـ لـهـ اـنـاءـ الـحـدـيـثـ
 انـ الـمـنـدـوبـ السـامـىـ منـحـازـ اـلـىـ جـانـبـهـ اـنـجـيـازـاـ مـطـلـقاـ . وـعـنـ خـروـجـ المسـبـيلـ
 بـيـلـ مـنـ عـنـ الـامـرـ بـدـأـتـ جـمـوعـ الـمـهـنـيـنـ يـفـدـونـ لـلـسـلـامـ عـلـيـهـ ، وـكـانـ فـيـهـمـ
 وـفـودـ الـأـلـوـيـةـ . وـأـلـقـيـتـ بـيـنـ يـدـيـهـ الـقـصـائـدـ الـشـعـرـيـةـ كـانـ اوـلـاـهاـ تـصـيـدةـ
 الزـهـاوـيـ . وـتـقـوـلـ المسـبـيلـ انـ اـحـمـدـ الشـيـخـ دـاـوـدـ اـتـخـذـ لهـ مـقـعـداـ عـنـ الـبـابـ
 وـظـلـ كـذـلـكـ فـيـ الـاـيـامـ التـالـيـةـ ، فـكـانـ يـنـهـضـ كـلـمـاـ جـاءـ وـقـدـ لـتـهـشـةـ لـيـعـلـمـ
 مـبـاـيـتـهـ لـلـامـرـ فـيـصـلـ بـصـفـتـهـ مـمـثـلـ الشـعـبـ . وـقـدـ فـعـلـ ذـلـكـ خـمـسـيـنـ مـرـةـ .
 وـتـعـلـقـ المسـبـيلـ عـلـىـ ذـلـكـ قـائـلـةـ : انـ اـحـمـدـ الشـيـخـ دـاـوـدـ اـصـحـوـكـةـ
 الـجـمـيعـ بـمـاـ يـقـومـ بـهـ مـنـ اـفـعـالـ سـخـيـفـةـ ، وـاـنـ فـيـصـلـ وـالـآـخـرـينـ لـاـيـعـرـونـهـ
 اـقـلـ اـهـتمـامـ . (76)

حرصـ فـيـصـلـ انـ يـزـورـ الـكـاظـمـيـةـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ لـوـصـولـهـ . فـسـيـ

(75) Lady Bell (op. cit.) - 489

(76) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 223 - 228.

الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم ، بينما كانت الوفود لا يزال تند للسلام عليه في القليلة ، تحرك موكبها متوجها الى الكاظمية عن طريق الكرخ . وقد جرى له في الكاظمية استقبال عظيم ، ونحرت تحت قدميه الذبائح . وبعد ان ادى زيارة المرقد المقدس خرج لزيارة السيد محمد الصدر في داره ، ثم ذهب بعدئذ لزيارة الحاج عبدالحسين الجلبي . وقد ألقى بين يديه القصائد في كتاب الدارين ^(٧٧) .

وفي صباح اليوم التالي - وكان يوم الجمعة - ذهب فيصل لزيارة جامع الامام أبي حنيفة في الاعظمية ، وقد جرى له من الاستقبال فيها مثلما جرى في الكاظمية . ثم ذهب بعدئذ لزيارة جامع الشيخ عبدالقادر في بغداد واداء صلاة الجمعة فيه . وكانت محللة باب الشيخ قد استعدت لاستقباله ، فنحرروا الذبائح ، ونشروا الزهور ، ورشوا ماء الورد . وبعد ان ادى صلاة الجمعة توجه لزيارة دار النقيب ، فاستقبله فيها ابن النقيب الاكبر السيد محمود ، وقال يخاطبه : « أن اسرة النقيب ياسمو الامير يدك اليمني تستعملها اينما شئت في سهل مصلحة البلاد » . ثم تقدم تلميذ صغير فتلا قصيدة الفرزدق الشهورة : « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ٠٠٠٠ » ^(٧٨)

مصير فيلبي :

عندما كان فيلبي في رفقة الامير فيصل في الطريق بين النجف وكربالا اصيب بنوبة شديدة من الملاريا ، فنقل الى الحلة حيث مكث فيها بضعة ايام تحت المعاشرة ، واجهت اليه زوجته من بغداد لتمر يرضه . وفي مساء ٣ تموز عندما تم شفاؤه عاد الى بغداد . وفي صباح اليوم التالي ذهب فيلبي مقابلة كوكس فجرت بينهما المحاورة التالية :

قال كوكس : يبدو انك لم تتماش مع فيصل جيدا ، فقد كان متذمرا

(٧٧) جريدة « دجلة » في عددها الصادر في ٢ تموز ١٩٢١ .

(٧٨) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٤ تموز ١٩٢١ .

بمرارة من موقفك خلال السفرة الى هنا ، وقد صرخ انه سوف لا يبقى في العراق مالم يطمئن من موقف جميع الموظفين البريطانيين وتأييدهم لـ تأييدها فعلا ٠

قال فيلبي : لا يمكنني ان افهم كيف تتوقع ذلك منى بالنظر للاوامر الرسمية التي هي اوامرك انت ، والتي هي لاتزال قائمة من غير تبدل ، في شأن حرية الانتخاب ٠ وانتي كثيرا ما كنت اطمئن النقيب وغيره بأننا عازمون على البر بوعودنا التي وعدناهم بها ٠ وان فيصل قد ادرك بطبيعة الحال ان نجاحه سيكون ضعيفا اذا سار الانتخاب سيرا حرا ٠ وقد أوضحت له ذلك بصرامة ٠

قال كوكس : انتي اعرف انك قلت له ذلك ، لكنك تعلم الان بصورة اكيدة ما الذى تريده الحكومة البريطانية ٠

قال فيلبي : انتي اعرف ذلك طبعا ، كما انتي ادركت ذلك منذ مدة طويلة برغم جميع التأكيدات التي بذلتها لي بخلاف ذلك ٠ غير ان الذى لا يمكن من فهمه هو ان الحكومة البريطانية اذا كانت تريد وتعزم ان يكون فيصل ملكا فلماذا لا تسيء بصورة مباشرة لا التواء فيها بدلا من اصرارها على مهزلة الانتخاب ٠ وعلى اي حال فانتي أشعر بانى صرت متورطا تماما التورط بالتأكيدات التي بذلتها الى الجميع لكي يساهموا في معالجة شؤون الانتخاب ٠

قال كوكس : انتي على علم بذلك ، لكنني لا استطيع ان افهم كيف يمكنك التوفيق بين موقفك هذا وبقائك في منصبك ٠

قال فيلبي : اذا كان المتوقع مني ان ادير شؤون الانتخاب فانتي لست راغبا في ان ابقى في منصبي ، واذا كان فى وسمك ان تعين خلفا لي فسأذهب من هنا واسلمه المنصب في الحال ٠

قال كوكس : شكرنا فيلبي ، أنتي آسف ، سوف لا يسمعك ان تستمر
على التعاون معنا .

أدرك فيلبي ان كوكس يريد منه ان يقدم استقالته . فقدمها فعلا .
واختار كوكس رجلا آخر ليحل محله هو ظومسنون الذى كان يومذاك
مستشارا لوزارة المالية (٧٩) .

وفي عصر ٥ تموز ذهبت المس بيل لزيارة فيلبي في بيته فجرت بينها وبين زوجة فيلبي محاورة حانقة . وقد قدم لنا كل من فيلبي والمس بيل وصفا لتلك المعاورة يختلف عن الوصف الآخر من بعض الوجوه . يقول فيلبي في مذكرةاته : ان المس بيل دخلت عليه عندما كان يتناول الشاي مع زوجته ، فقالت له : « جاك ، أنتي آسفة لسماع النبا » ، وكانت تقصد من ذلك سماع نبأ استقالته ، فبادرتها زوجته بفظاظة قائلة وهي تخرج متعدية اياما الى خارج الغرفة : « كلا ، أنت غير آسفة » . وعند هذا تقدم فيلبي من المس بيل فقدم لها كوبا من الشاي ، وطيب خاطرها ، وتحدث اليها عن سروره لأبعاده عن هذا المدى القبيح (٨٠) .

اما المس بيل فتروى القصة على النحو التالي حيث قال : « في يوم الثلاثاء ذهبت لزيارة فيلبي وزوجته لابداء اسفهما لما جرى ، فحدثت معاورته مؤلة جدا فان زوجة فيلبي انفجرت بالبكاء واتهمتني بانى انا السبب في عزل زوجها ، ثم خرجت من الغرفة . وعند هذا ذكرت بصداقتنا الطويلة ورجوته ان يعتقد انى بذلك كل جهدى لاقناعه بان اى موظف حكومى لا يمكن ان يتぬ من مخالفته اوامر حكومته . فان احتضانه القضية السيد طالب الماكر لا يمكن تصديقها ، ولكنه جعل نفسه هو والسيد طالب شيئا واحدا » (٨١) .

(٧٩) جون فيلبي (المصدر السابق) - ص ٦٣ - ٦٥ .

(٨٠) المصدر السابق - ص ٦٥ .

(٨١) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 224.

قضى فيلبي بعد هذا ثلاثة أشهر يتجول في إيران ، وعند عودته إلى بغداد عرض عليه كوكس منصب المعتمد البريطاني في شرق الأردن بدلاً من لورنس . فقبلها . وسافر جوا إلى عمان . ولكن فيلبي لم يغير عادته ، حيث رأيناه يختلف في الرأي مع المندوب السامي في فلسطين على منوال ما اختلف مع المندوب السامي في العراق ، وقد أدى ذلك به إلى تقديم استقالته نهائياً من خدمة الحكومة البريطانية .

ذهب فيلبي بعده إلى جهة وفتح فيها وكالة لاستيراد السيارات وغيرها . وصار صديقاً للملك عبدالعزيز بن سعود ومستشاراً شخصياً له . وفي ١٩٣٠ أعلن إسلامه واطلق على نفسه اسم « الحاج عبدالله فيلبي » غير أنه بعد موت الملك عبدالعزيز اختلف مع ابنه سعود ، وخرج من المملكة السعودية شبه مطرود . وفي ١ تشرين الأول ١٩٦٠ مات فيلبي في بيروت وهو منبوز من الحكومة السعودية والحكومة البريطانية معاً .

لم يخلف فيلبي ثروة مع قدرته على كسب الملايين ولكنه خلف كتابة في وصف رحلاته الغريبة التي قام بها في جزيرة العرب والربع الخالي . ومن الممكن القول أنه كان ذا شخصية شاذة لا تخلو من عبرية . انه أراد أن ينافس لورنس في الشهرة فتفوق عليه من بعض الوجوه !

وليمة النقيب :

في مساء ٧ تموز أقام النقيب وليمة كبيرة اعتبرت في حينها بمثابة وليمة صلح بينه وبين الأمير فيصل . وقد أقيمت الوليمة في دار آل النقيب المقابلة لجامع الشيخ . وكان الجامع والشوارع المؤدية إليه قد اثيرت بالاضوية الزاهية ، كما ازدحم الجمهور فيها للترحيب بالأمير والهتاف له . ولما وصل الأمير إلى الدار استقبله النقيب في رأس السلالم متكتئاً على ساعد طبيه الخاص ، فتعانقا على الطريقة المألوفة بيننا ويسارا ، ثم سارا متتسكين بالأيدي نحو صدر القاعة حيث جلس فيصل بين المندوب السامي والنقيب .

كان اهم ماجرى في تلك الوليمة قصيدة ألقاها معروف الرصافى مؤلفة من اربعة مقاطع تشيد باجتماع النقيب والامير ، نقل فيما يلي المقطع الرابع منها :

مد النقيب الى الامير يد العاضد والنصير
فليخنز كل مشاغب في القوم يلهج بالشروع
وليحيى مولانا النقيب حياة مولانا الامير

وبعد القاء هذه القصيدة استمر الرصافى يتكلم حيث قال : « أجل ايها السادة ، ماذا يريد القوم بعد اقتران هذين النيرين الكبيرين حيث طلعا بالوفاق متعانقين في سماء العراق ، متصافحين على ضفاف الراfibin . أنا أيها السادة لا اعلم رجلا اجدر من مولانا النقيب بان يمثل في افعاله أهل العراق كافة . كيف لا وهو من قتل الدهر خبراً بتجاربه ، وارتدى العز ضافيا بعلمه وأدبها ، وارتدى سماء السُّود والمجد بنسبيه ونشبيه . فما ايها الامير يا صاحب السمو الملكي انما تصافحك من مولانا النقيب يد العراقيين كلهم ، وانما تضملك في هذه الليلة من هذه الدار العاشرة بلاد العراق كلها . وانت ايها النقيب المفخم سوف ترتل لك الايام شكرنا جزيلا على ما بذلت في سبيل مصلحتنا من المساعي الفر لجمع كلمة القوم ولم شعث الامة . فليحيى صاحب السمو الملكي الامير فيصل المعظم ، ولحيى مولانا النقيب المفخم ، ولحيى العراقيون ، ولحيى العرب » . وكانت قصيدة الرصافى وكلماته تقاطع بالتصنيف الحار مرة بعد مرة^(٨٢) .

ومن العجدير بالذكر في هذه المناسبة ان الرصافى كان صدر أمر تعينه وكيلًا لرئيس لجنة ترقية العلوم في وزارة المعارف قبل الوليمة بأربعة أيام .

وفي ١١ تموز عندما انعقد مجلس الوزراء قدم النقيب اقتراحًا

(٨٢) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٩ تموز ١٩٢١ .

يطلب فيه المناداة فوراً بفيصل ملكاً على العراق بشرط أن تكون حكومته دستورية نيابة ديمقراطية مقيدة بالقانون . وقد وافق المجلس على هذا القرار .

وقد كتبت المس بيل فيما بعد تصف التبدل الذي حدث في موقف النقيب تجاه فيصل ، حيث تحول من موقف المبغض المعادي إلى موقف المحب المناصر ، فذكرت أنها زارت النقيب في بيته فوجده في غاية الانشراح ومسروراً جداً بموقفه الجديد من فيصل . وقد تحدث إليها قائلاً : « خاتون ، انت ابتي ، أريد أن أخبرك بكل ما يجول في خاطري . فانا منذ مجيء السر برسي كوكس لم أفعل بخلاف نصيحته أو رغبة الحكومة البريطانية . واني حين علمت بأن فيصل يصلح لأن يكون ملكاً وان الحكومة العظيمة تؤيده ، صممت أن أتجنب كل الاقاويل والاشاعات وأقوم بنفسي لأعلن ملكيته في مجلس الوزراء . فقد تساءلت في نفسي : هل استشير السر برسي كوكس ؟ فأجابني عقلي باني قد أصدرت قرارى وإذا خالعني السر برسي فيه فاني لا أستطيع تغييره . فاما رجل عجوز ، وليس مسؤولا الا أمام الله ، ولهذا لم استشر أحداً » (٨٣) .

والملاحظ ان النقيب لم يكتف بتبدل موقفه من فيصل بل بدل موقفه من الديمقراطية أيضاً اذ صار يدعو إليها بعدها كان ينفر منها ويكرها . وقد أشارت المس بيل الى ذلك في رسالة لها مؤرخة في ٢١ آب ، حيث قالت ان النقيب أصبح في هذه الأيام يدعو للديمقراطية . وتبدى المس بيل دهشتها من ذلك وتساءل : كيف ان النقيب الاستقرائي الاصل يدعو للديمقراطية ؟ ! ثم تروي المس بيل في هذه المناسبة قصة طريفة جرت للنقيب في تلك الايام وخلاصتها ان شيخاً من شيوخ قبيلة

(٨٣) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 231.

شعر زار النقيب في بيته فسأله النقيب : « هل أنت ديمقراطي ؟ » فكان جواب الشيخ : « لا والله ، أنا مو مغراطي » . ثم تسأله الشيخ عنها ما هي ؟ فقال النقيب : « زين ، أنا شيخ الديمقراطية » . فاستدرك الشيخ ظناً منه انه كان مخطئاً في جوابه حيث قال : « دخيل الله ! اذا أنت شيخ المغراطية فانا واحد منهم ، أنا خادمك ، بس هي شنبي ؟ » فشرح له النقيب الديمقراطية قائلاً : انها تعني المساواة بين الناس وليس فيها صغير او كبير . فلم يعجب الشيخ هذا القول اذ ادرك أن الديمقراطية تعني زوال مشيخته القبلية فقال ما معناه : اذا كانت هذه هي المغراطية فالله يشهد اني لست منها^(٨٤) .

أهم الحفلات :

ان المدة التي قضتها فيصل في العراق قبل توجهه بلغت شهرين - أي منذ ٢٣ حزيران الى ٢٣ آب - وقد أقيمت له خلالها حفلات تكريمية عديدة لا يسعنا المجال استقصاءها ، انما نذكر شيئاً عن أربع منها لما لها من دلالات اجتماعية وتاريخية .

أولى تلك الحفلات هي التي أقامتها بلدية بغداد في حدائق مود التي كانت تقع في الصالحية بجانب الكرخ ، وقد جرت في مساء ٣٠ حزيران - أي في اليوم التالي لوصول الامير الى بغداد - وحضرها كوكس وزوجته والجنرال هالدين والمس بيل وكثيرون من كبار العراقيين والبريطانيين . ولوحظ ان معظم القصائد والخطب التي القيت فيها تضمنت الاشارة الى الامير فيصل باعتباره ملك العراق ومنقه .

افتتح الحفلة عبدالمجيد الشاوي بكلمة ترحيبة ثم استاذن من الامير في تقديم ما أعده الادباء لهذه المناسبة من منظوم ومنتور . ثم وقف خليل أمين آل الفتى حيث ألقى قصيدة ختمها باليت التالي :

(84) Lady Bell (op. cit.) - j. 499.

قد دعوناك علينا ملكاً ليس نرضي عنك يوماً بدلأً

صفق الحاضرون لهذا البيت واستعادوه ثلاث مرات ، وارتفعت الاصوات من بينهم قائلة : « قد بايعناك بالملوكيه »^(٨٥) . وبعد هذا قام الزهاوي فألقى قصيدة التي مطلعها :

انا محبوك فاسلم ايها الملك

ومصطفوك لمرش شاه الفلك

وتلاه الشيخ مطلق القطيفي فالقى قصيدة كان لها تأثير خاص على المدعين ، فهو كان من خطباء المنبر الحسيني وله صوت جهوري ونسمة موسيقية . وقد وصفت المس بيل قصيده بقولها : انها كانت طويلة جداً لم أفهم منها كلمة واحدة ولكنها مع ذلك كانت رائعة ، فقد كان الرجل يتلوها بتتغيم ، ويرفع يده الى الاعلى بين كل فترة واخرى ، وكان الفلام المخيم بين الاشجار حول الحاضرين يؤثر عليهم بما يشبه تأثير التنويم المفناطسي^(٨٦) .

ثم ألقى محمد حسن كبة قصيدة وكلمة وصف فيها فيصل بأنه « نابليون العدنانيين » و « بسمارك القحطانيين » ، وأعقبه محمد باقر الحلبي بقصيدة كان مطلعها :

الشعب قاصيه معـاً والداني

بقدومك الميمون ببشران

وفي الختام ارتجل الامير كلمة شكر فيها الشعرا على قصائدتهم غير أنه انتقدتهم على غلوتهم في مدحه ومدح أبيه باعتبار ان أبياه لم يقم بثورته إلا من باب القيام بالواجب وقال لهم انه لا يرحب بعد الآن إلا في سماع كلام

(٨٥) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٢ توز ١٩٢١ .

(٨٦) Lady Bell (op. cit.) - p. 490.

التشجيع على العلم والأدب ونهضة الفنون ، فقُوبلت كلمته بالهتاف
والتصفيق حسب العادة ٠

أما الحفلة الثانية التي تلت تلك في الأهمية فهي الحفلة التي أقامتها المدرسة الجعفرية في صباح ٩ تموز في دارها الواقعة في محلة سوق الفزل ، وشارك فيها الزهاوى وكاظم الدجيلي وعبدالحسين الاذرى وباقر الشيبى وأبراهيم ناجي المحامى ٠ وقد ارتجل الامير في الختام كلمة شكر فيها الحاضرين واعاد فيها مقاله فى مناسبات سابقة حيث قال :

« أقول ، والله ، والله ، ما قمت بحركة مؤملة غاية دنيوية او راجيا شيئاً مادياً ، ولا عملت طلباً لنفس او مقام او مركز ، كلام اقم أنا ولم يقم والدى ولا اخدى من افراد اسرتي بعمل من اعمال النهضة ولهم مطعم في شيء ، بل انما قمنا بأعمالنا ابتغاء لوجه الله الكريم ليس الا ٠٠٠ أقسم بشرفى وتربيه اجدادى لو لا الالاح من أكثر اصدقائي ومجموع الامة العراقية لما خطر ببالي أن آتني العراق ٠٠٠ ٠

وعند هذا قام احمد الشيخ داود فقال يخاطب الامير : « انت الرئيس المفدى الذى التفت حوله القلوب ، ولا نرضى بغيرك » ٠ ثم التفت نحو الواقفين وخاطبهم : « أتبایعون رجالاً بالملوکية غير سمو الامير فيصل المعظم ؟ » فأجابوه بأصوات عالية : « كلام ثم كلام ، لقد بايعنا فيصل بالملوکية ولا نريد غيره » ٠ وانطلقت عنده عشرات الهتافات ٠٠٠^(٨٧) ٠

ومن الجدير بالذكر انه بعد مرور يومين على هذه الحفلة خرجت جريدة « دجلة » وهى تهكم على موقف احمد الشيخ داود فيها ، حيث قالت عنه أنه صرخ في الحاضرين يسألهم : هل تريدون غير سمو الامير ملكاً على العراق ، ثم التفت نحو الامير قائلاً : « انهم بايعوك »^(٨٨) ٠ وكانت

(٨٧) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١١ تموز ١٩٢١

(٨٨) جريدة « دجلة » في عددها الصادر في ١١ تموز ١٩٢١ ٠

الجريدة تقصد من ذلك أن الحاضرين لم يجيوا بشيء على سؤاله بل هو الذي اجاب بالموافقة من تلقاء نفسه . وقد نشر سلمان الشيخ داود في جريدة « العراق » يعتقد جريدة « دجلة » على ذلك ويقول انها خالفت الحقيقة فيما ذكرته عن ابيه ورجا منها ان تكون اكثراً تبصراً فيما تنشر . وعلقت جريدة « العراق » على ذلك قائلة : بأن رسائل استياء عديدة وصلتها حول هذا الموضوع^(٨٩) .

أما الحفلة الثالثة فهي الحفلة التي اقامها اليهود ببغداد في صباح ١٨ تموز ، وقد قدم فيها رئيس الحاخامين الى الامير نسخة مذهبة من التوراة ومعها لوح ثمين كتب عليه عبارة من التوراة هي : « بارك يارب قوته ، وارتضى بعمل يديه ، وحطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا » . فسلم الامير النسخة وقبلها وشكراً مقدمها . ثم ألقى سليم افندي معاون رئيس الحاخامين كلمة ترحيبية ، وقام بعده فقيه اسمه أنور شاؤول فألقى قصيدة . ثم نهض الزهاوي فألقى أبياتاً وتألماً فلسفية في ضرورة الاتحاد بين البشر . وبعد هذا أخرجت التوراة الأصلية من موضعها وهي لاتخرج إلا للملوك والعظماء . وفي الخاتمة ارتجل الامير كلمة قال فيها : اني لأريد ان اسمع كلمة مسلمين ومسيحيين واسرائيليين ، فالعراق وطن القومية ، وليس فيه سوى أمر واحد هو أن يقال عراقيون فقط^(٩٠) .

ولم تسكت جريدة « دجلة » عن هذا القول الذي فاء به فيصل في وجوب عدم التمييز بين المسلمين وغيرهم ، فقد نشرتها بشكل متكرر للرأى العام مما أدى الى استياء بعض القراء على نحو ما حدث حول حفلة الجمعية . والظاهر ان هذه الجريدة ظلت متابرة على طريقتها في الاساءة الى الامير فيصل وانصاره ، فكانت تتحين الفرص لها بكل وسيلة ممكنة .

(٨٩) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٣ تموز ١٩٢١ .

(٩٠) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٦ تموز ١٩٢١ .

أما الحفلة الرابعة فهي التي أقامها علي السليمان شيخ مشايخ الدليم في ٢٥ تموز على الشاطئ ، الايمان من الفرات بين الفلوجة والرمادي . وكانت هذه الحفلة ذات دلالة خاصة لأنها كانت ذات طابع بدوى إلى حد ما، ويقال ان الانكليز هم الذين دبروها لكي يثبتوا للامير انهم حلقة الوصل بينه وبين القبائل^(٩١) .

أعطتنا المس بيل وصفاً لتلك الحفلة في احدى رسائلها ، وكانت هي قد حضرتها بصحبة فخرى الجميل ، فقالت ان علي السليمان نصب خيمة كبيرة بلغ طولها نحو مائة قدم ، وأعد منصة في طرف منها فوقها منضدة وكراسي ، فجلس الامير بملابس العربية على كرسي وراء المنضدة وجلس فهد المذال شيخ مشايخ عنزة على يمينه ، بينما جلس مابين اربعين وخمسين افراد القبائل في صفوف متراصة على الأرض . وأخذ الامير يخاطب الحاضرين بلهجته المحجازية ، فقال لهم : انه منذ أربع سنوات لم يوجد نفسه في مكان مثل هذا المكان أو صحبة مثل هذه الصحبة . ثم تكلم عن مستقبل العراق وكيف انه سينهض بجهودهم تحت رئاسته ، وسألهم : « ايها العربان ، هل اتم متسالمون فيما يبنكم ؟ » فأجابوه بصوت مرتفع : « نعم ، نعم ، نحن متسالمون » . وعند هذا قال فيصل : « ابتداء من هذا اليوم » وتوقف لحظة ليسأل عن تاريخ اليوم والساعة ولا أجابة أحد الحاضرين به حسب التقويم الهجري والساعة الفرومية استأنف كلامه : « من هذا اليوم ، ١٩ ذي القعدة ، ومن هذه الساعة ، الرابعة صباحاً ان أي رجل يرفع يده على رجل آخر هو مسؤول أمامي فاني سوف أقضى ببنكم في مجالس يحضرها شيوخكم ، وهذا حقي عليكم أناولي أمركم » . وهنا قاطعه رجل منهم كبير السن قائلاً « وحقوقنا ، أليس لنا حقوق ؟ » . فأجابه فيصل : « نعم لكم حقوقكم كبروية ومن واجبي أن أحافظ عليها » . وهكذا استمر فيصل في كلامه ، وكان الحاضرون يؤيدونه على ما يقول :

(٩١) أمين الريhani (المصدر السابق) - ص ٩٣-٩١

« نعم ، نعم ، نوافق ، نعم ، والله » . وعندما انتهى من كلامه قام علي السليمان وفهد الهاذل كل من جانب وقال له : « نحن نباعلك لأن الحكومة البريطانية قبلت بك » ، ففوجيء فيصل بهذا القول ، والتفت نحو المس بيل مبتسما ثم قال : « ان علاقتي مع الانكليز معروفة لاشك فيها . ولكننا يجب أن نسوى أمورنا فيما بيننا » . والتفت فيصل نحو المس بيل مرة أخرى ، فرفعت هي يديها مضمومتين الواحدة على الأخرى دلالة على الاتحاد بين العرب والحكومة البريطانية (٩٢)

التنافس على الولاية :

أصبح الامير فيصل في تلك المدة التي قضتها قبل تتوبيجه غارقا في طوفان عارم من الاماديح والتزلفات التي لانهاية لها . فقد اثنال الناس عليه من كل جانب ، كل منهم يطلب الحظوة لديه بما يتغوه به من مسؤول الكلام . وكان للشاعراء القدح المعلى في ذلك كما هو شأنهم في مثل هذه المناسبات . ولعلني لا أغالي اذا قلت ان السيد طالب لو كان هو المرشح لعرش العراق بدلا من فيصل لاقبل الناس يتزلفون اليه على نحو ما يفعلون الآن مع فيصل .

كان من مظاهر هذا الطوفان اقامة الولاية الخاصة من قبل وجهاء المدن ورؤساء العشائر ، فكان كل واحد منهم يحب أن ينال الجاه بدعاوة الامير الى بيته ، وقد صار الامير لهذا في حيرة من أمره لا يدرى ماذا يفعل ، فاذا قبل دعوة احد منهم غضب الآخرون عليه . وكانت تلك مشكلة اقضت مضجعه .

لكي يطلع القارئ على صورة من هذه المشكلة أذكر له قصة وليمة من تلك الولاية الكثيرة التي اقيمت لفيصل ، وهي وليمة السيد جعفر عطيفه رئيس بلدية الكاظمية . فقد كان هذا الرجل قوي الصلة بالانكليز منذ بداية احتلالهم بغداد ، وكان يكثر من الاحتفاء بهم واقامة الولاية لهم

(92) Lady Bell (op. cit.) - p. 405 - 407.

ويقف في خدمتهم كلتا جاؤوا الى الكاظمية . . و كانت له في الوقت نفسه مناسبة على رئاسة البلدة مع الحاج عبد الحسين الجلبي ، وقد ساءه أن يذهب الامير فیصل الى بيت الجلبي دون ان يأتي الى بيته .

تقول المس بيل في رسالة لها : ان السيد جعفر عطيفة جاء يشكو اليها قائلاً بان شرفه قد انكسر لأن الامير زار الكاظمية مرتين دون ان يقترب من بيته . و تصف المس بيل في رسالتها السيد جعفر بأنه خدم الانكليز ووقف الى جانبهم بشجاعة حتى صار عرضة لعداء المتصيدين ، ولهذا قاتلها قالت له عندما جاءها شاكياً : « ولا يهلك ، اذب الى فیصل وادعه لتناول الشاي في بيتك وانا سوف أدعوك المندوب السامي والقائد العام »^(٩٣)

استعد السيد جعفر لإقامة الدعوة بكل ما يقدر عليه ، وكان رجلاً واسع الشراء ، وقيل انه انفق عليها ما يقارب الستين ألف روبيه وهو مبلغ عظيم في تلك الايام . وقد كلف رجال ارمنيا مشهوراً بصنع الحلوي بغداد ان يصنع له من الحلويات مالا مثيل له ، وكان مقدار مادته للارمني في ذلك ثلاثة آلاف روبيه . و تصف المس بيل في رسالتها المائدة التي اعدت في ذلك اليوم فقالت : انها لم تشهد في حياتها مائدة تحتوى على مثل هذه الكثرة من الحلويات والنواكه^(٩٤) .

جرت الدعوة في عصر الثلاثاء ١٦ آب ، و عند انتهاء المدعوين من تناول الشاي قدم السيد جعفر الى الامير هدايا لاقدر يشنن كان من بينها سجادتان عليها رسم احمد شاه ، وساعة اثرية مذهبة ذات اربع عقارب ، وخاتم ذو فص من الزبرجد النادر ، وجيaban مبطنان بالفرو الشمين . ولم ينس السيد جعفر ان يقدم الى كوكس وهالدين والمس بيل هدايا ثمينة . وقد اشيع في حينه ان السيد جعفر انما فعل كل ذلك نكاية بالجلبي .

(٩٣) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 286.

(٩٤) Loc. cit.

الفصل الثالث

فيصل ملكاً

قبل وصول فيصل الى العراق كان الانكليز لا يدرؤن هل سينجح في نيل رضا العراقيين أم لا . انهم كانوا كالوالد الذى يرسل ابنه الى الامتحان وهو يرقبه عن كثب ليرى هل سينجح في الامتحان ام يرسب .

ولم تمض أيام قليلة على وصول فيصل الى العراق حتى تأكد الانكليز من نجاحه . قالت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٧ تموز : « ان شخصية فيصل اجتازت ثلاثة ارباع الطريق »^(١) . ويدرك غريفز الاسباب التى ساعدت فيصل على النجاح وهى : انه كان حسن الصورة مهذباً وقوراً ، وكانت خطبه تثير الاعجاب في الشكل والمحوى ، كما كانت انجازاته وسلوکه في الحرب دليلاً على شجاعته وقوته عزمه^(٢) .

والواقع ان فيصل كانت له قدرة على اجتذاب قلوب الناس اليه ، وكانت له لهجة في الحديث حجازية وهي لهجة محبيه الى العراقيين . واذا تكلم في اجتماع كان كلامه مباشراً لاحدقة فيه ولا تصنع . أضف الى ذلك انه كان يحدث كل فئة من الناس بما يلائهما ، وقد ظن الكثير من الشيعة انه منهم لكثره ما كان يشير في خطبه الى مناقب الائمه من اهل البيت ويصفهم بأنهم أجداده ويقسم بترتبهم . يروي توماس ليل انه سأل عبد الواحد الحاج سكر : كيف جاز له وهو الرجل الشيعي المتدین ان يطالب بفيصل ملكاً مع أنه سني . فأجابه عبد الواحد قائلاً : « ولكنه في أعماق قلبه شيعي »^(٣) . ويحكى ان جماعة من شيوخ الفرات الاوسط

(1) Lady Bell (Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - p. 491.

(2) Graves (Sir Percy Cox) - London, Second Impression - p. 200.

(3) Thomas Lyell (Ins And outs of Mesopotamia) London 1923 - p. 206.

كانوا في زيارة لفيصل فسأله أحدهم : « يرحم أبوك يا محفوظ » هل أنت شيء أم سني ؟ » فأطرق فيصل قليلاً وأخذ يتحسس لحيته بيده ثم قالا : « هل يجوز للإنسان أن يترك أمه ويلزم زوجة أبيه » .

يقول أمين الريhani : ان فيصل كان يخص كل فريق من الناس وكل وفد من الوفود بكلمة توحيها اليه تقاليدهم ونزعاتهم السياسية والدينية ، فكان يناشد الشيعة بوحدة الإسلام والأخاء الإسلامي ، ويتلئ على أهل السنة من صفحات العباسين الذهبية ، ويزكرهم بالرشيد والمؤمن ، وما كان للعرب من فضل على الأوربيين ، وكان يصرح ويؤكد للقليلات أنه مقيم على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الرعية على اختلاف المذاهب الدينية .^(٤)

فيصل والخالصي :

أهم نجاح حققه فيصل في هذا السبيل حصوله على بيعة المجتهد الكبير الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية . فقد كان الشيخ مهدي الخالصي يمقت العائلة الهاشمية لوقفها في الحرب إلى جانب الانكليز الكفار . وكان ولده الأكبر الشيخ محمد أكثر مقتاً للعائلة الهاشمية منه . وحين جاء فيصل إلى العراق أخذ يبذل جهده في التقرب إلى الشيخ مهدي والتجرب إليه . ولكن الشيخ محمد كان يبذل جهده من جانبه في مقاومة هذا التقرب والتجرب بين فيصل وأبيه . وقد استطاع فيصل أخيراً أن ينال رضا الشيخ مهدي ويحصل على بيته . نقل فيما يلي شيئاً مما كتبه الشيخ محمد في مذكراته عن هذا الموضوع . وهذا نصه :

« . . . كان فيصل قد علم أنه لا تم له بيعة في العراق مالم يبايعه أبيه . ومن يعرف فيصلاً يعلم أنه مجسمة الخداع والتزوير غير محسود عليهما

(٤) أمين الريhani (فيصل الأول) - بيروت ١٩٥٨ - ص ٩ .

ولا محمود بهاتين الصفتين . فتظاهر بمظهر ديني ملؤه الاخلاص للإسلام وال المسلمين وزار والدى مرارا في مدرستنا في الكاظمية بزي عرب الحجاج يحمل قطعة من ستار الكعبة مكتوبا عليها آية الكرسي بالذهب ، مظهرا أنه لغاية له الا نشر تعاليم القرآن وتأييد الكعبة وتخلص البلاد الإسلامية من تسلط الاجانب ، وأهدى تلك القطعة إلى أبي ، وخلا به في احدى زياراته له وأظهر أنه انا جاء العراق لينقذه من الانكليز وان عمله لا يتم الا بموافقة أبي وبيته له ، فان بايع والا اضطر فيصل الى الرجوع من حيث أتي .

قال له أبي : يمكن ان نباعيك على ان تكون ملكا على العراق مستقلأ منقطعا عن أي سلطة أجنبية بأي اسم كان بحيث لا يشوب استقلال العراق أي شائبة مهما كانت ، فان تم ذلك بقيت في العراق ملكا والا انصرفت وتركت العراقيين والانكليز حتى يأخذوا حقهم ويلغوا غایتهم . فقال فيصل لأبي : اني أباعيك على هذا الشرط . فأنحضر القرآن الكريم بينهما تيمنا وتبركا ، وبابع فيصل أبي على أن يطبع أمره في إنقاذ العراقيين من الانكليز وتحصيل الاستقلال التام الناجز الذي لاتشوبه أي شائبة مهما كان اسمها ورسمها ، فاذا لم يستطع ذلك فارق العراق لاول اشارة تصدر من أبي ، وترك العراقيين وشأنهم . بابع فيصل هذه البيعة وانشهد الله تعالى على ذلك ، وبابعه أبي على هذا الشرط . هذا ما كان بينهما سرا . ولما أراد الانصراف أخذ يدوي وقال : هلم لنعمل معاً ونسعى متفقين في استنقاذ العراق وحفظ استقلاله وانى مستعد لاجراء اي عمل ينفع البلاد بما يمنعك من الموافقة ؟ فلم أجده بشيء لأنني ما كنت أحب أن أفاجئه بما يكره في ذرنا ، وما كنت لأقره بغير الحق . فانصرف وشايته الى باب المدرسة كارها ، وعدت الى والدى وقلت له : ان هذا الرجل أول من شق عصا المسلمين وأغان عليهم اعدائهم ٠٠٠ فكيف يصح قبوله والبيعة له بالامارة ؟ وما هي وسيلة الاطمئنان من هذا الرجل مع سوابق السوء منه ضد المسلمين وان اشترط ألف شرط في ذلك ،

وبماذا نلزمه بالوفاء اذا تخلف عن هذه الشريطة بعد أن يتسلط على العراق؟ ولقد أخبرني بعض خاصته (مولود باشا مخلص) انه كان في سوريا يخذل السوريين ويسعى في اخضاعهم للفرنسيين بكل ما يمكن، لكن السوريين لم يطعوه، فعلم الفرنسيون انه لا يفدهم شيئاً في سوريا ولا يستطيع التأثير على السوريين واسكتاهم، فطردوه بعد يأسهم من فائدته ٠٠٠٠ وان هذا الرجل صناعة الانكليز وعاملهم وأجبرهم ضد المسلمين من أول الحرب العالمية الى هذا اليوم فكيف يصح الاعتماد عليه وتسلیم العراق له؟ فلما سمع أبي ذلك تلا قوله تعالى : (فَاتَّخَذُهُ آلُ فَرْعَوْنَ لِيَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزْنًا) ، وقال يجوز أن يكون الانكليز قد اتخذوا آل الشريف لصالحهم فيجعل الله من آل الشريف أنصاراً للمسلمين اعداء للانكليز ٠ فقلت في نفسي : (والذى خبث لا يخرج الا نكدا) ٠ ولم أكن أجرأ على مكالمة والدى أكثر من ذلك ، ولما انقض الاجتماع دعاني أبي الى الدار و قال: أتحسب أنك تعلم مالم أعلمه أنا !؟ ان فيصلا فوق ما ذكرت ولكنني خشيت أن يباعيه الناس بيعة مجملة ولا قوة لنا على طرده فيذهب حق العراقيين بامضائهم صك العبودية جهلا ولو باسم فيصل ، فأردت أن اعلم الناس كيف يبايعون ليقي حق العراق محفوظاً متى طالب العراقيون به ٠٠٠٠^(٥)

ويضيف الشيخ محمد الى ذلك : ان فهمي المدرس جاء الى والده مرسلاً من فيصل يطلب منه أن يكتب بيته لتنشر على الناس ٠ وقد عارض الشيخ محمد كتابة البيعة ولكن والده أصر على كتابتها ٠ وبعد الانتهاء منها أخذها فهمي المدرس ، فنشرت في الجرائد في اليوم التالي كما نشرت على حدة في منشور خاص ٠ وفيما يلي نص البيعة نقلًا عن جريدة العراق :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ٠

الحمد لله الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق ، فأيديهم بالنصر

(٥) نقلًا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة ٠

برقة من حاز الشرف والخخر ، الملك المطاع ، الواجب له علينا الاتباع ،
الملك البجل ، عظمة مليكتنا فيصل الاول دامت شوكته ، نجل جلاله الملك
حسين الاول دامت دولته ، فاحكموا بيته ، وأبرموا طاعته ، واهتفوا باسمه ،
مذعنين لحكمه ، ونحن منن قد اقتنى هذا الأنر ، وبابعه في السر والجهر ،
على ان، نكون، ملكا على العراق ، مقيدا ب مجلس نيابي ، منقطعا عن سلطة
الغير ، مستقلأ معه بالامر والنهي ، ولله الأمر .

٧ ذى القعدة ١٩٣٩

الراجي عفو ربه
محمد مهدي الكاظمي
عني عنه ^(٦)

بيعة أهل الاعظمية :

من الجدير بالذكر ان أول بيعة مسجلة اعلنت في العراق لفيصل هي
بيعة أهل الاعظمية ، وهي صرئت في ١١ تموز ، وذلك قبل بيعة الحالى
ب يومين . وقد نشرت جريدة العراق تفصيلا عنها نقلًا عن مكاتبها في الاعظمية
بالعنوان التالي : « مبايعة أهل الاعظمية لسمو الامير فيصل بملوكية العراق
— أول بيعة صدرت » .

ذكرت الجريدة ان اجتماعا كيرا عقد هناك من اجل البيعة في قصر
ناجي الخضيري بناء على دعوة من رئيس البلدية علي ظريف الاعظمي
وحضره وجهاء البلدة ورؤساء الشائير المحيطة بها ، وهسم بني ركاب
والسوائل والبومفرج وبني عمير وألبو محلة وعشيرة الهيب والجلاء
والندوات . وقد افتتح الاجتماع بتلاوة آى من الذكر الحكيم ، ثم قام
عبدالهادى الاعظمي وقال ان سباقا يجري بين الناس لمبايعة الامير فيصل
بملوكية ويجب ان يكون أهل الاعظمية السابقين لغيرهم في هذه المبايعة ،
وختم كلمته بالهتاف بحياة الملك فيصل الاول وحياة الاستقلال ، فتردد

(٦) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٦ تموز ١٩٢١ .

الحاضرون هنافه ٠ ثم قام رئيس البلدية يسألهم في أمر البيعة فأجابوه
الحاضرون بالموافقة وأنهم لا يختلفون منهم أحد ٠ وناداهم : « هل بایعتم ؟ »
فأجابوه بصوت واحد : « نعم بایعنا » وناداهم مرة أخرى : « هل فيكم
مخالف ؟ » فقالوا : « كلا ثم كلا ثم كلا ! ٠ » وقرر الحاضرون توقيع
ثلاث مضايقات أثابوا فيها رئيس البلدية للذهاب الى الامير فیصل وبمبايعته
عنهم ٠ وعند هذا تلا المقرىء قوله تعالى : « ان الذين بایعونك انما بایعون
الله ٠ يد الله فوق ايديهم ٠ فمن نکث فانما ينکث على نفسه ٠ ومن عاهد
الله فسیؤته أجرأً عظيماً ٠ » وألقى الملا نعمن الاعظمي دعاءً تضرع فيه
الى الله ان يؤید الأمة بتوفيقاته الصمدانية ٠ وهتف الجميع « فليبحى
سلطان العراق فیصل المعظم ، فليعيش الاستقلال ٠ »

وفي مساء اليوم التالي عقد اليهود الساكنون في الاعظمية اجتماعاً
خاصاً بهم في قصر يعقوب الجوهرى ، وجرى في هذا الاجتماع مثلما جرى
بالامس في اجتماع المسلمين ، ونادوا جميعاً بمبایعة الامير فیصل ، ونظموا
مضبطة أثابوا فيها يعقوب الجوهرى ونسيم يامين للذهاب الى الامير مع
رئيس البلدية لاجل مبایعته عنهم^(٧) ٠

الطريقة الضمنة :

كان لدى بعض الوطنيين المتحمسين رغبة في ان يعلنوا الامير فیصل
ملكاً في الحال دون حاجة الى استفتاء الشعب ٠ ولكن فیصل لم يكن راغباً
في ذلك ، كما كان كوكس غير راغب أيضاً ٠ يقول غريفز : « ان كوكس
وفیصل كانوا معاً يعارضان أية محاولة من الوطنيين المتطرفين في استعمال
التسويج فقد كان كل منهما يشعر بأن ملك العراق يجب أن لا يكون مدينا
في عرشه الى عملية استحواذ غير دستورية من قبل حزب معين ، بل يجب
أن يكون تسویجه بارادة من الشعب وبطريقة دستورية ٠ وقد شعر كل

(٧) جريدة العراق في عددها الصادر في ١٣ تموز ١٩٢١ ٠

منها أن توبيخ ملك عن طريق حزب معين يجعله عرضة لأن يكون اسيرا سياسيا بين يدي ذلك الحزب الذي ساعده في سرعة الوصول . وكان كوكس يشعر بالإضافة إلى ذلك أن الحكومة البريطانية التي سهلت الأمور لفيصل تستحق أن تسمى بعض نمرات نجاحها ،^(٨) .

كان الأتجاه السائد في ذلك الحين أن يقوم مجلس تأسيسي منتخب بترشح فيصل وتوقيجه على منوال ما جرى في سوريا . ولكن ذلك يستغرق وقتا طويلا ، وهو مع ذلك غير مضمون ، وقد كانت التجربة التي وقعت في سوريا غير مشجعة لما اعثورها من حماس واندفاع شعبي متطرف .

اهدى كوكس أخيرا إلى الطريقة الملائمة وهي طريقة تنظيم «المضابط» وتوقيع الناس عليها . ويقال إن ناجي السويدى هو الذى هدأ إليها^(٩) . وليس من المستبعد أن يكون السويدى قد استوحى الفكرة من أهل الاعظمية وهم الذين نظموا أول مضبوطة في بيعة فيصل على نحو ما ذكرناه آنفا .

وفحوى هذه الطريقة أن يدعى الوجاهاء والرؤساء في كل ناحية من نواحي العراق ، أو مدينة ، إلى الاجتماع في مكان معين ، فإذا تم الاجتماع نهض أحد المسؤولين ليتكلم عن الغرض من الاجتماع ويدرك مناقب الأمير فيصل وأهليته لتولي الملك ، ثم يسأل الحاضرين : هل منعارض ؟ فيجيبونه : لا ، لا . ثم يسألهم : هل توافقون ؟ فيقولون : نعم ، نعم . وعند هذا يعرض عليهم ورقة المضبوطة ، وهى مطبوعة ومعدة سلفا ، فيوقعون عليها . ويتنهى الاجتماع حسب المرام إذ يعتبر ذلك بيعة من جميع السكان للأمير فيصل بالملك .

(8) Graves (op. cit.) - p. 299 - 300.

(9) خيري العمري (حكايات سياسية) - القاهرة ١٩٦٩ - ص ٨٥ .

بدأت عملية تنظيم المضابط والتوفيق عليها في أواخر تموز ، واتهت في ٦ آب . وجرت في الغالب حسبما كان متوقعاً لها ، حيث أقبل الرؤساء والوجهاء في معظم مناطق العراق على توقيع المضابط التي قدمت لهم بلا معارضة . ولم يشذ عن ذلك سوى قليل منهم - كما سنأتي اليه .

وتروى في هذا الصدد قصة طريفة لها دلالتها ، هي أن مدير ناحية طاووق من لواء كركوك كان قد تلقى أمراً بتنظيم مضبوطة لبيعة فيصل ولكنه سمع بعد قليل أن الانكليز عدواً عن ترشيح فيصل ، فاحتار المدير في أمره ، ولم تكن وسائل المخابرات البرقية والتلفونية يومئذ ميسورة ، فلجأ إلى تنظيم مضبوطتين أحدهما بقبول فيصل ، والثانية برفضه . وقد وقع الاهالي على المضبوطتين معاً ، وذهب بهما المدير إلى مستشار اللواء الكابتن مهر . وحين سأله المستشار « أين المضبوطة ؟ » أجابه : « أيهما تريد ؟ » وعرض عليه المضبوطتين ، فأخذهما المستشار كليهما^(١٠) .

الواقع أن هذه القصة ليست غريبة في عرف تلك الأيام بالنظر إلى ما اعتاد عليه الوجهاء والرؤساء في العراق من فعل أي شيء يريدونه . ومن الطريف أن نقل هنا ما ذكره غريفز عن جماعة من شيوخ العمارنة أنهم حين سألهم كوكس عقب مؤتمر القاهرة عن نوع الحكم الذي يطلبونه أجابوا قائلين : « الله والنبي ، محمد نبينا ، كوكس حاكمنا »^(١١) .

حركة للمعارضة :

جرت عملية تنظيم المضابط في العراق حسب المرام - كما أشرنا إليه آنفاً - ولم يقع ما يخالف المرام فيها إلا في بغداد . ويقول غريفز إن فتوى الخالصي كان لها بعض الأثر في اثارة روح المعارضه هنالك^(١٢) .

(١٠) عبد الرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) - صيدا ١٩٦٥ - ج ١ ص ٤٣ .

(11) Graves (op. cit.) - p. 801.

(12) Ibid, p. 800.

كان اجتماع بغداد قد جرى في سينما روyal في ٢٨ تموز • وحين قام متصرف بغداد رشيد الخوجة يطلب من الحاضرين الموافقة على المنادة بفيصل ملكاً انبرى له أحدهم قائلاً : « اتنا موافقون متفقون على المنادة بسمو الامير فيصل ملكاً على العراق الاـ اتنا نريد أن نضع بعض الشروط » • وعند هذا ارتفعت الاصوات من اتجاه القاعة : نعم ، نعم • وضجت القاعة بالتصفيق • وبعد المداولة تقرر اضافة بعض العبارات على صيغة المضبطة وهي ان تكون الحكومة « مستقلة مجردة من كل قيد ومنقطعة عن سلطة الغير » ، وأن يكون أول عمل يقوم به الملك فيصل هو « تأليف وجمع المؤتمر العام الذي يسن القوانين والدستور خلال ثلاثة أشهر من حين تسلمه زمام الامور »^(١٣) • ويقال ان هذه العبارات أثارت غضب كوكس وجعلته يحقد على رشيد الخوجة ، وقد أدت أخيراً إلى اقالته من منصبه^(١٤) .

ومن الجدير بالذكر ان السيد محمد الصدر قد حاول القيام بمثل هذه الحركة في الكاظمية ولكن فيصل منها • فقد دعا الصدر الى بيته في احدى الليالي عدداً كبيراً من الوجهاء ورجال الدين بغية التوقيع على مضبطة يبايعون فيها فيصل مع النص على رفض الانتداب البريطاني • وبينما كان المدعون مجتمعين في بيت الصدر ، ذهب رجل معروف من أهل الكاظمية الى فيصل ، فرأيته من نومه ، وأخبره ان مؤامرة تحاك ضده في الكاظمية • فأرسل الملك أحد مرافقيه الى الصدر يستدعيه اليه • وهنا ترك المس بيل تحدثنا بما جرى من حديث بينهما حسبما ذكرته في رسالة لها مؤرخة في ٢٧ تموز ، فهي تقول في ذلك ما نصه :

(١٣) حسين جميل (من التراث الديمقراطي في العراق) - مجلة « الهلال »
- في عددها الصادر في شهر كانون الاول ١٩٦٦ .

(١٤) عبدالرازق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٥١ .

، ان جماعة المتطرفين بذلوا جهدا يائسا لاستبدال الصيغة الرسمية
للبيعة بصيغة اخرى تضمن الرفض التام للحكم البريطاني فاستدعي فيصل
محمد الصدر الذى كان أساس الحركة وأعطاه انذارا واضحا فاثلا له : انه
الآن الملك من الناحية العملية وأنه لا يتحمل أي عمل سخيف ، وان كل من
يقلق الرأى العام سوف يلقى جزاءه ٠٠٠٠ (١٥) ٠

ان حركة انتارضة هذه التى جرت فى بغداد والكافظمية اثارت ازعاج
كوكس وجعلته يوعز الى المسؤولين فى الالوية بأن يشجعوا الاهالى على
اضافة فقرات على المصابط يطلبون فيها الاتداب البريطاني ٠ فقد عثرت
من بين وثائق البلاط الملكى على رسالة شخصية مؤرخة فى يوم ٢٥ ذى
القعدة ١٣٣٩ هـ - وهو يوافق ٣١ توز ١٩٢١ م - مرسلة من الديوانية
من رجل اسمه عبدالمجيد فؤاد زادة الى يوسف السويدى ، يقول فيها : ان
الوطنيين فى الديوانية يريدون الاقتداء ببيعة حجة الاسلام الحالى ولكن
المستشار البريطانى وأعوانه من الوجهاء والرؤساء يبذلون كل جدهم
لتبديل المصابط ولشرط الوصاية البريطانية فيها ٠ وقد ذكر صاحب
الرسالة نص البيعة التى حاول هؤلاء فرضها على الاهالى وهى : « ابایع
الامیر فيصل بان يكون ملکا على العراق تحت وصاية الانگلیز » ٠ ويقول
ان هذه الفقرة يجب ان يكتبها كل شخص فوق توقيعه والا طردوه ٠ (١٦) ٠

نتائج المصابط :

في ١٩ آب كانت جميع الالوية قد ارسلت الى بغداد مصابطها التى تم
التوقيع عليها ما عدا لواء المتفک ٠ وفيما يلي خلاصة لما ورد فى تلك المصابط
حسب الالوية ٠

لواء بغداد : صدرت منه ١٥٧ مスピطة وهي كلها تباعي الامير فيصل ،

(15) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, p. 230.

(16) من وثائق البلاط الملكى - رقم الاضبارة ك/ ١١ ، رقم الوثيقة ١٦٥ ٠

ولكن ٦٨ منها تطالب ان يكون منقطعا عن سلطة الغير ، وان ينعقد المؤتمر الوطني الذي يمثل الشعب خلال ثلاثة اشهر .

لواء البصرة : صدرت منه ٤٧ مスピبطه كلها تباع فيصل ، ولكن معظم الموقين عليها رفضوا في البداية التوقيع قبل أن يعرفوا مصير فكرة الانفصال التي دعوا إليها من قبل ويتأكدوا من استمرار الاتداب البريطاني .

لواء الموصل : صدرت منه ٦٨ مスピبطه حتى الآن وهي كلها مؤيدة لفيصل ، ولكن ٦ منها اصرت على حماية حقوق الاقراد والاقليات الأخرى ، و ٧ منها اشترطت استمرار الاتداب البريطاني بالإضافة إلى حماية حقوق الأقليات ، و ١٠ منها ذكرت شروطا أخرى بخصوص اللغة الكردية وغيرها . ولا تزال هناك مضابط أخرى في الطريق .

لواء كركوك : صدرت منه ٢٠ مスピبطه مؤيدة لفيصل ، و ٢١ رافضة له . وان المضابط المؤيدة جاءت كلها من منطقة أربيل التي كانت تابعة للواء كركوك في ذلك الحين . وهناك مضابط أخرى لم تصل بعد .

لواء الدليم : صدرت منه ٣٦ مスピبطه كلها تباع فيصل ، ولكن ١٦ منها تشرط عليه ان يقبل بالاشراف البريطاني .

لواء الحلة : صدرت منه ٤١ مスピبطه كلها تباع فيصل ، ولكن ١٣ منها تعلن بصراحة انه مقبول على شرط استمرار الاتداب البريطاني .

لواء كربلاء : صدرت منه ٢٨ مスピبطه وهي كلها تباع فيصل وتحالى من اي شرط .

لواء ديالي : صدرت منه ٤١ مスピبطه وهي كلها تباع فيصل وتحالى من اي شرط ^(١٧) .

التوقيع :

في أواسط شهر آب بعد ان اطمأن فيصل من نتائج المضابط وايقن ان توبيجه سيتم قريباً عمد الى استئجار دار لسكناه خاصة به . وقد وجد

^(١٧) Atiyyah (IRAQ) — Beirut 1973 - p. 392.

دارا مناسبة تعود لرجل يهودي اسمه شعشوוע ، وتقع على شاطئ النهر في متصف الطريق بين بغداد والاعظمية ، وهي التي عرفت بين الناس باسم « قصر شعشوוע » . فانتقل إليها فيصل مع الاحتفاظ بمقره الرسمي في القشلة^(١٨) .

تقول المسن بيل : إنها زارت فيصل في داره الجديدة عند الغروب في ١٥ آب ، فكان هو ومرافقه جالسين على سطح الدار ، وكان منظر النهر والبساتين خلفه رائعا فتسقط الملك معها وقال لها : « انت عراقية ، انت بدوية .. »^(١٩) .

لم يستمر اشراح فيصل واطمئنانه ، فبعد فترة قصيرة جدا وردت برقية من تشرتشل يقول فيها إن فيصل يجب أن يعلن في خطبة التتويج أن السلطة النهائية هي بيد المدوب السامي . فاحتاج فيصل مسرحاً باستفال الذي تم معه في لندن لا يتضمن ذلك ، وإن من الواجب أن تصان كرامته ويظهر أمام الناس بمظهر الملك المستقل ، والا فإنّه لا يستطيع أن يكسب إلى جانبه الوطنيين المنتظرين^(٢٠) . وقد أظهر كوكس شيئاً من التردد تجاه هذا الموقف ولكن المسن بيل اقتنعه قائلة إن ليس من الأهمية طلب سلطة لا يمكن فرضها بالقوة^(٢١) . فابرق كوكس إلى تشرتشل يذكر له الآخر السيء الذي سيحدثه البيان المطلوب عند التتويج ، وقال إن سلطة كافية يمكن فرضها على البلاد بأسباب أقل ووضوحا^(٢٢) . فوافق تشرتشل على هذا الرأي في اللحظة الأخيرة .

(١٨) انهار هذا المقر في السنة التالية حيث جرفه تيار النهر ، فشيد للملك بلاط جديد في بستان تعود للأوقاف في متصف الطريق بين بغداد والاعظمية بالقرب من قصر شعشوוע ، وهو لايزال قائماً .

(19) Lady Bell (op. cit) - p. 499 - 500.

(٢٠) فيليب آيرلاند (العراق) - بيروت ١٩٤٩ - ص ٢٦٢ .

(21) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 238.

(٢٢) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢٦٢ .

قرر أن يكون التتويج في يوم ٢٣ آب ، وقد اختار فيصل بنفسه هذا اليوم لأنه يوافق يوم ١٨ ذي الحجة حسب التقويم الهجري ، وهو اليوم الذي يعتبره الشيعة عيداً لهم يسمونه « عيد الغدير » ويعتقدون أن النبي نصب فيه علياً للخلافة من بعده . وقد أراد فيصل باختياره هذا اليوم تذكير الشيعة بأنه من سلالة الإمام علي وأن تتويجه يجرى في نفس اليوم الذي نصب فيه جده للخلافة .

وقد جرى التتويج في ساحة القشلة قرب برج الساعة حيث نصب منصة لجلوس الملك وحاشيته ، وخصص للملك كرسي تميز له ظهر مرتفع ، كما صفت الكراسي تجاه المنصة لجلوس المدعون ، وأحضر عدد من الجنود البريطانيين لأداء التجية باعتبارهم حرس الشرف ، وجوق موسيقى لعزف النشيد الملكي . وفي الساعة السادسة صباحاً خرج فيصل من مقره الرسمي على النهر ، يحف به السر برسي كوكس والجنرال هالدين ويتبعه كورنواليس وحسين افنان واثنان من المرافقين هما تحسين قدرى وأمين الكسبانى . واتجهوا جميعاً نحو المنصة على طريق مفروش بالسجاد . فجلس فيصل على كرسيه الخاص بينما جلس كوكس عن يمينه وهالدين عن يساره . وجلس السيد محمود النقيب إلى يسار هالدين . وتقول المس بيل : « ان فيهم كل وقورا ولكنه متواتر جداً ، فهي كانت لحظة مثيرة ، وأخذ ينظر إلى الصف الإمامى فوقع نظرم على » ، فأعطيته صحية صغيرة (٢٣) للتشريح ، (٢٤) .

بدأ كوكس الحفلة بأن ناول حسين افنان بلاغاً لقراءته ، فقرأه حسين وفحواه : إن الامير فيصل قد تم انتخابه ملكاً على العراق بأكثريه ٩٦ بالمائة من السكان ، ثم هتف قائلاً « يحيى الملك » . ونهض محمود النقيب فألقى دعاءً المناسبة ، وعند هذا رفع العلم العراقي ، وعزف الجسوك الموسيقى

(23) Lady Bell (op. cit.) - p.500.

(24) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 289.

النشيد الملكي البريطاني لعدم وجود نشيد عراقي ٠ ثم أطلقت المدفع احدى
وعشرين طلقة ٠

ثم نهض الملك فألقى خطبة طويلة نقل منها بعض الفقرات فيما يلي:

«أتقدم الى الشعب العراقي الكريم بالشكر الخاص على مبايعته أبي
مبايعة حرة دلت على محبتة لي ونfecte بي ٠٠ وهذا واجب آخر يدعوني لأن
أرقل آيات الشكر للإمام البريطانية اذ أخذت بناصر العرب في أوقات
الحرب الحرجة ، فجاءت بأموالها ، ووضحت بأبنائها ، في سبيل تحريرهم
واستقلالهم ٠٠٠ وقد صرحت 'مرارا بأن ما تحتاج اليه لترقية هذه البلاد
يتوقف على معاونة أمة تمدننا بأموالها ورجالها ، وبما أن إلة البريطانية
أقرب الامم لنا ، وأكثرها غيرة على مصالحنا ، فاننا سنستمد منها وسنستعين
بها وحدها على الوصول الى غايتنا المنشودة في اسرع وقت ٠ ولا يغرس
عن الاذهان انه اذا كان الناس على دين ملوكهم فالملوك على دين شعوبهم ،
فعلى قدر التضامن يكون النهوض ٠٠٠ وانني لا آلو جهداً بأن استعين برجال
الامة على اختلاف مواهبهم وتبابن طبقاتهم وتفاوت معتقداتهم فالكل عندي
سواء ٠٠٠ والامة بمجموعها هي حزبي ، لاحزب لي سواها ٠٠٠ وان اول
عمل أقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي ٠٠٠ فالى
الاتحاد والتضامن ، الى الروية والتبصر ، الى العلم والعمل ، أدعوا أمتي ،
والله الموفق والمدين ، (٢٥) ٠

لم تستغرق الحفلة وقتا طويلا ، وتقول المسيل انها عند انتهاء الحفلة
ذهبت الى دائتها ، وأخذ الزوار يتقاطرون اليها وهم في الغالب من المدعىين
الذين حضروا الحفلة ، وكان علي السليمان أحدهم فصار يحدثها عن
انطباعاته في الحفلة ، وقال لها : « والله ، لقد كان السر برسبي كوكس

(٢٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٤٧ ٠

كالقمر بينهم ، وكان وجهه كالجنة .. (٢٦)

كان السيد محمد الصدر قد أرسل الى الملك رسالة يهنئه فيها بتنصيب العرش ويقترح عليه أن يزور الكاظمية بغية التهنئ بمشهد الامام الكاظم (٢٧) . وقد استجاب الملك لهذا الاقتراح وحضر الى الكاظمية في صباح ٢٥ آب ، حيث اقيمت له حفلة في الصحن الشريف . وقد افتتح الحفلة محمد عبدالحسين ، ثم قام السيد محمد الصدر وقدم للملك سيفاً ذا غمد مذهب وارتجل كلمة طلب فيها تحقيق أمانى الشعب ، فأجابه الملك بأنه سيبذل جهده في هذا السبيل . وعند هذا حدثت مفاجأة لم يكن أصحاب الحفلة على علم مسبق بها ، وهى ان الشاعر رشيد الهاشمى نهض وألقى قصيدة تأييد لانخلو من غمز بالملك . وفيما يلى بعض اياتها :

بالابس التاج في بغداد هُنّيَا

بـه اذا كـنـت لاـسـتـقلـالـهـ جـيـاـ

فـزـنـهـ بـالـعـلـمـ وـالـعـدـلـ الـأـعـمـ وـلـاـ

تـرـصـعـ لـرـيـتـهـ دـرـأـ وـيـاقـوـتـاـ

وـاسـعـلـ الـحـزـمـ وـانـقـذـ أـمـةـ نـصـبـ

مـنـ بـمـدـ نـهـضـتـهـ لـلـذـلـ طـاعـوـتـاـ

يـاقـنـدـ الشـعـبـ لـاتـفـسـدـ قـيـادـتـهـ

وـلـاـ يـسـرـىـ لـكـ جـبـلـ الـمـهـدـ مـبـتوـتـاـ

وـاهـجـمـ عـلـىـ الشـامـ وـارـكـرـ عـنـ هـامـتـهـ

رـمـحـ الـعـرـاقـ وـجاـوـرـهـ بـتـكـرـيـتاـ

مـاـذـاـ أـقـوـلـ لـقـوـمـ بـنـتـاـ نـقـضـواـ

عـهـدـاـ رـأـيـنـاـ عـنـ الضـيقـ مـبـوتـاـ

(26) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 239.

(27) عن وثائق البلاط الملكى - رقم الاصلية ١١/٣٠٨ ، رقم الوثيقة

يا أمّة نقضت بالشّام حلفتـا
لقد عطست فهل أسمّيت تسميتـا^(٢٨)

حدثني سامي خوندة . وكان حاضرا في الحفلة : انه لاحظ امتعاضا
بـدا على الملك من هذه القصيدة ، فخشى على رشيد الهاشمي ان تصقله
الشرطة من جرائـها ، فخرج معه قبل انتهاء الحفلة وذهب به الى بـيت السيد
محمد الصدر للاحتمـاء به من الاعتقال ٠

والغريب ان جريـدة « دجلـة » حين وصفـت الحفلـة في اليوم التـالي لم
تذكـر هذه القصـيدة بل ذكرـت قصـيدة أخـرى فيها مدحـ للملك عظـيم^(٢٩) ٠
ويبدو ان الشـاعـر كان قد أعدـ في تلك المناسبـة قصـيدـتين فأـنـدـ أحـدـاهـما في
الـحـفلـة وأـعـطـيـ الثـانـيـة إـلـىـ الـجـريـدة ٠

الوزـارة الجديدة :

لم يـكـدـ الملكـ يـتـهـيـ منـ مشـاكـلـ التـوـيـجـ حتـىـ بدـأـ يـواجهـ مشـاكـلـ
الـدـولـةـ ، وـكـانـ اولـيـ تـلـكـ المشـاكـلـ حـولـ تـشكـيلـ الـوزـارـةـ الجـديـدةـ ٠ـ فقدـ
استـقـالـاتـ الـوزـارـةـ التـقـيـيـةـ حـسـبـ الـاـصـوـلـ ، وـكـانـ كـوـكـسـ يـرـيدـ اـسـنـادـ رـئـاسـةـ
الـوزـارـةـ إـلـىـ التـقـيـبـ مـرـةـ أـخـرىـ يـبـنـيـاـ كـانـ الملكـ يـرـيدـ اـسـنـادـهاـ إـلـىـ رـجـلـ غـيرـ
مـتـهمـ بـالـتـعاـونـ مـعـ الـانـكـلـيـزـ ٠ـ

أـرـسـلـ الملكـ عبدـالـواحدـ الحاجـ سـكـرـ إـلـىـ التـجـفـ لـيـطـلـبـ منـ رـجـالـ
الـدـينـ فـيـهاـ التـعاـونـ مـعـهـ فـيـ تـشـكـيلـ الـوزـارـةـ ٠ـ وـقـدـ ذـهـبـ عبدـالـواحدـ إـلـىـ
الـتـجـفـ ، وـبـعـدـ المـداـولةـ مـعـ بـعـضـ رـجـالـ الدـينـ فـيـهاـ أـرـسـلـ إـلـىـ الملكـ رسـالـةـ
هـذـاـ نـصـهاـ :

(٢٨) عبدالله الجبورى (ديوان رشيد الهاشمى) - بغداد ١٩٦٤ - ص
٦٩ - ٧٠

(٢٩) جـريـدةـ « دـجلـةـ » - فـيـ عـدـدـهاـ الصـادـرـ فـيـ ٢٦ـ آـبـ ١٩٢١ـ ٠ـ

بسمه تعالى

لاعتباً جلالـة حضرة مـلكـنا المـعـظـم

لا يخفى على جلالـتـكم أني اجتمعـتـ في التـجـفـ بـخـدـمـةـ حـضـرـاتـ
الـعـلـمـاءـ الـاعـلـامـ حـجـجـيـ الـاسـلـامـ حـضـرـةـ الشـيـخـ شـيـخـ جـوـادـ صـاحـبـ الـجوـاـهـرـ
وـحـضـرـةـ الشـيـخـ شـيـخـ عـبـدـالـكـرـيمـ الـجـزـائـريـ وـبـقـيـةـ الـعـلـمـاءـ الـعـلـامـ ٠ـ وـبـينـتـ لـهـمـ
حـسـنـ نـوـايـاـكـ الـاسـلـامـيـةـ ٠ـ وـكـيـرـ ظـهـرـ مـنـهـمـ التـشـكـرـ التـامـ لـجـلـالـتـكـ ٠ـ وـقـدـ
أـمـرـونـيـ أـنـ أـكـتـبـ لـجـلـالـتـكـ عـنـهـمـ مـزـيدـ اـمـتـانـهـمـ مـنـكـ وـتـبـرـيـكـهـمـ لـحـضـرـتـكـ
بـتـبـوـءـ عـرـشـ الـعـرـاقـ الـذـيـ هوـ مـنـ أـهـمـ النـفـورـ الـاسـلـامـيـةـ وـيـدـعـونـ لـلـوـكـيـتـكـ
بـالـتـسـدـيـدـ وـلـتـخـصـكـ بـالـتـوـفـيقـ لـلـخـدـمـاتـ الـاسـلـامـيـةـ وـطـوـلـ الـبقاءـ ٠ـ وـقـدـ
أـمـرـونـيـ أـيـضاـ أـنـ أـعـرـضـ لـحـضـرـتـكـ آـنـهـمـ بـعـدـ أـنـ اـتـمـنـوـكـ عـلـىـ مـلـوـكـيـةـ الـعـرـاقـ
فـهـمـ يـأـتـمـنـوـكـ أـيـضاـ عـلـىـ تـعـيـنـ الـوـزـرـاءـ بـنـظـرـكـ الـعـالـيـ ٠ـ وـلـاـ يـقـبـلـ كـلـ فـرـدـ مـنـهـمـ
أـنـ يـكـوـنـ شـاغـلاـ لـأـحـدـ هـذـهـ مـنـاصـبـ قـطـعـيـاـ ٠ـ وـلـاـ يـمـكـنـ ذـلـكـ ٠ـ سـوـىـ آـنـهـمـ
يـأـمـلـوـنـ مـنـ جـلـالـتـكـ أـنـ لـاتـجـعـلـ فـيـ هـذـهـ مـنـاصـبـ الـآـمـتـدـيـنـ الـمـسـلـمـ الـوطـنـيـ
خـصـوـصـاـ رـئـاسـةـ الـوـزـارـةـ وـأـخـصـ مـنـهـاـ وـزـارـةـ الدـاخـلـيـةـ فـاـنـ عـلـيـهـاـ المـعـولـ بـعـدـ
الـلـهـ حـيـثـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـاـ أـمـرـ مـهـمـةـ تـخـصـ تـشـكـيلـ الـمـؤـتـمـرـ الـمـطـلـوبـ مـنـ
حـضـرـتـكـ تـشـكـيلـهـ بـالـوقـتـ الـعـاجـلـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـكـامـلـ ٠ـ وـيـتـظـرـونـ مـنـ جـلـالـتـكـ
سـرـعـةـ التـلـبـسـ بـمـاـ يـرـجـونـهـ مـنـ جـلـالـتـكـ ٠ـ وـفـيـ هـذـهـ المـدـةـ يـرـاقـبـونـ وـيـتـرـقبـونـ
مـنـ جـلـالـتـكـ وـعـدـكـ لـهـمـ بـحـسـنـ الـاحـوالـ وـتـحـصـيلـ الـامـانـيـ ٠ـ وـأـهـمـ مـاـ عـنـهـمـ
فـعـلـاـ سـرـعـةـ اـقـدـامـكـ فـيـ تـعـيـنـ وـزـيرـ لـلـدـاخـلـيـةـ مـتـدـيـنـ عـارـفـ بـتـعـيـنـ الـمـأـمـورـيـنـ
الـذـيـنـ بـسـيـبـهـمـ يـصـلـحـ تـشـكـيلـ الـمـؤـتـمـرـ أـوـ يـهـسـدـ وـالـلـهـ الـمـوـقـعـ وـالـعـيـنـ ٠ـ

٢٥ ذـيـ الحـجـةـ ١٩٣٩ـ عبدـ الـواـحدـ حاجـ سـكـرـ (٣٠)

(٣٠) عن وثائق البلاط الملكي - رقم الاصلية ١١ / ١١ ، رقم الوثيقة

رفض الملك أخيراً لشيشة كوكس في اسناد رئاسة الوزارة إلى القنصل، ولكن مشكلة أخرى واجهته حول من يتولى وزارة الداخلية . تقول المسيل في رسالة مؤرخة في ٤ ايلول : ان الأسبوع الماضي كان كله مشغولاً بمشكلة تشكيل الوزارة الجديدة ، وقد أرسل الملك يستدعيه في يوم الأربعاء ، ولما ذهبت إليه أخذ يتحدثني بجدية حول الوزارة ، وكانت بؤرة المشكلة وزارة الداخلية التي ظلت شاغرة منذ إبعاد السيد طالب . فالمملكة يعتقد ان هذه الوزارة هي المقياس الذي سيقيس الناس بها ، فإذا عين فيها رجالاً معروفاً بخضوعه للإنكليز حكم الناس على الوزارة كلها بأنفسهم مهزلة ، وحكموا على الملك بأنه ألموا به يد الإنكليز^(٣١) .

صار الاتجاه أخيراً إلى تعيين ناجي السويدي لوزارة الداخلية ، ولكن كوكس لم يوافق على هذا التعيين . وتعلق المسيل على ذلك قائلة : ان كوكس مصيب لأن ناجي السويدي على الرغم من أنه ذكي وحسن النية لكنه لا يوثق به ، فإذا تولى وزارة الداخلية كان من الواجب علينا مراقبة دقيقة لكي لا ينحرف عن الطريق المرسوم . وتضيف المسيل إلى ذلك قائلة : إنها ذهبت هي وكورنواليس إلى كوكس لاقناعه بالموافقة على تعيين السويدي غير أنه أصر على رفضه^(٣٢) .

وقد اختار كوكس على توفيق الخالدي غير أن الملك لم يوافق على ذلك . فقد كان الملك يتهم الخالدي بميله إلى الانتراناك . وكان الانتراناك يومذاك يبشرون دعايتهم في العراق ضد فصل وإنكلترا ، وقد جاءوا بالسيد أحمد السنوسي إلى مقرية من حدود العراق الشمالية لاعلان الجهاد ، واثني عشر سنتين في سوريا أرسلوا إلى السنوسي مبلغًا قدره عشرون ألف باون لمساعدته في الجهاد .

(31) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 242.

(32) Loc. cit.

ذهب جعفر العسكري الى المس بيل وقال لها : ان تعين العالدي في مثل هذه الظروف أمر مهلك لانه يدعم الميالين للاتراك في العراق ويعرقل عمله في وزارة الدفاع . وهو لذلك يرغب في الاستقالة . وذهب نوري السعيد بعده إلى المس بيل وقال لها مثل ذلك وأخذ يحذرها من الميالين للاتراك الموجودين في العراق . وقد اعتبرت المس بيل على نوري السعيد قائلة له : ان الخطر لا يكمن في هؤلاء المؤيدين للاتراك وحدهم بل هو يكمن أيضاً في جنون أصحابه المتطرفين . فرد عليها نوري قائلاً : ان المتطرفين ليسوا خطرين الى هذا الحد ماداموا يحملون الشعور العربي ، وان سيدى يصل يعرف كيف يتعامل معهم ، وهم سوف يختفون^(٣٣) .

استمر الخلاف والجدال في هذا الشأن ثلاثة أسابيع تقريباً ، وأخذ الملك يهدد بأنه يريد الذهاب إلى لندن ليضع القضية بين يدي المسؤولين هناك . وذهب كورنواليس إليه بصحبة الكولونيل جويس ، كما ذهبت إليه المس بيل ، وصاروا يحاولون اقناعه بعدم الذهاب إلى لندن في الوقت الحاضر ، حيث قالوا له بأن الناس سيفسرون ذهابه بأنه نتيجة نزاعه مع كوكس حول تشكيل الوزارة ، وهذا أمر مضرك بهما معاً . وتقول المس بيل : « أعتقد أننا استطعنا أن نفعنه ، ولكننا لم تقدم أية خطوة في طريق تشكيل الوزارة »^(٣٤) .

تم الاتفاق أخيراً على اسناد وزارة الداخلية إلى ضابط غير معروف كان رئيساً للتجنيد اسمه الحاج رمزى ، أما ناحي السويدى فقد عين وزيراً للعدالة . وقد اجري تغيير على وزارة المعارف والصحة حيث جعلت وزارتين منفصلتين فأسننت وزارة المعارف إلى الشيخ عبد الكريم الجزائري ، أما وزارة الصحة فأسندت إلى طيب مسيحي من الموصل اسمه حنا خياط .

(33) 1bid. vol. 2, p. 242 - 245.

(34) 1bid. vol. 2.p. 242.

وتقول المس بيل : انها هي التي عينت حتى خياط في الوزارة اذ قدمته الى
كوكس واقرحت عليه فصل وزارة الصحة عن وزارة المعارف ، فكان لها
ما أرادت ^(٣٥) .

وأعلن تشكيل الوزارة الجديدة في ١٢ ايلول ١٩٢١ ، فكان فيما
النقيب رئيساً للوزراء ، وال حاج رمزي وزير الداخلية ، وناجي السويدى
للعدلية ، وجعفر العسكري للدفاع ، وعزت الكركوكلى للاشتغال
والمواصلات ، وعبداللطيف المنديل للتجارة ، ومحمد علي فاضل للإوقف ،
وحنا خياط للصحة ، وعبدالكريم الجزائري للمعارف .

ولم يكدر يعلن تشكيل الوزارة حتى ارسل عبدالكريم الجزائري من
النجف اعتذاره عن الاشتراك فيها و هنا بدأ التداول والجدال من جديد حول
من يتولى وزارة المعارف على شرط أن يكون شيعياً . وتم الاتفاق أخيراً
على اختيار السيد هبة الدين الشهري من كربلاء وجاء الى بغداد لتولي
الوزارة .

الشيعة ومدرسة الحقوق :

بعد انتهاء الملك من مشكلة الوزارة الجديدة ، بدأ يواجه مشكلة
أخرى هي ضرورة ادخال شبان من الشيعة في الوظائف الحكومية ، غير
انه لم يجد بين الشيعة عدداً كافياً من ذوي التعليم الحديث الذين يصلحون
لاشتغال تلك الوظائف . وبعد المداولات مع مستشاريه ، ولا سيما سكرتيره
روسم حيدر ، استقر رأيه على تشجيع الاذكياء من شبان الشيعة من ذوي
التعليم القديم على الدخول في مدرسة الحقوق التي كانت قد أعيد فتحها
في خريف السنة الماضية .

كان توفيق السويدى قد عين مديرًا لمدرسة الحقوق في تشرين الثاني

(٣٥) Ibid vol. 2, p. 244.

١٩٢١ خلفاً لمديريها السابق الكولونيل بيل . وقد أشار السويدي في مذكراته إلى المشكلة التي حدثت آنذاك حول قبول الشبان الشيعة في المدرسة فقال مانصه :

« وما أذكر انه حدث في يوم من الايام ان أتاني البعض من طلاب الدخول ، وأيديهم أوراق مضافة من قبل الشيخ شكر مدير المدرسة الجغرافية يشهد فيها ان الطالب حاملها هو من خريجي الثانوية ، مع علمي بأن المدرسة لم تصل الى الدرجة الثانوية لا في عهد الاتراك ولا في عهد الاحتلال . ففهمت الطالب المتقدم بأن عليه ان يصدق شهادته من وزارة المعارف او يدخل امتحان الفحص لاثبات كفاءته الثانوية . ثم اعقبه عدة شبان يدعون أنهم متخرجون من المدرسة الجغرافية ويحملون مثل هذه الورقة الغريبة . ويهضمني من أسمائهم : عبدالرزاق الاذري ، وعباس مهدي ، ومحمد حسن كبة ، وأحمد زكي الخياط ، ومحمد السماع ، وعبدالحميد مهدي ، وعبدالهادي الظاهر ، وسعد صالح ، وجعفر حمنى ، وغيرهم . فرفضت قبولهم والاعتماد على الاوراق التي في ايديهم . عندئذ راجعوا الحكومة وراجعوا البلاط . وفي ذات يوم أتاني المرحوم محمد رستم حيدر قائلاً لي : ان جلالة الملك يرغب في مساعدة هؤلاء وقبولهم في الكلية ! ففهمته وضعهم القانوني ٠٠٠٠ ولما أصر علي رستم بأن أبذل جهدي لمساعدتهم قائلاً : ان جلالة الملك يرغب أكيداً بأن يقبل هؤلاء في الكلية ، أجبته : بأن دخول الطلاب للمدارس العالية باراتات ملكية قد مضى دوره ، وهذه أمور كانت تقع في زمان السلطان عبدالحميد ٠٠٠ ولهذا فاني آسف لعدم تمكنى من أن أعمل شيئاً لهم اذا لم يتحققوا مطلبته منهم . فذهب غاضباً ولم يرجع ثانية ٠٠٠ (٣٦) .

لم تنته المشكلة عند هذا الحد ، فقد كان الملك مصراً على ادخال

(٣٦) توفيق السويدي (مذكراته) - بيروت ١٩٦٩ - ص ٧٧-٧٦

اولئك الشبان فى مدرسة الحقوق ، وقد اضطر توفيق السويدى أخيراً الى قبولهم . ويدعى السويدى ان الملك أرغم ساطع الحصرى الذى كان مدیراً عاماً للمعارف آنذاك على المصادقة على شهاداتهم ، ثم أتوا اليه بعدئذ فقبلهم في المدرسة « وأمره الى الله » ^(٣٧) .

ما يجدر ذكره ان هذا الذي ذكره توفيق السويدى في مذكراته لم يؤيده ساطع الحصرى عليه . فقد ذكر الحصرى في مذكراته انه لم يصادق على شهادات الشبان الشيعة ولكن السويدى هو الذى تساهل في قبولها . ويعطينا الحصرى تفاصيل كثيرة في هذا الموضوع تلى مكانته السويدى إذ يقول بأن السويدى اتهز الفرصة وأخذ يتساهل في قبول شهادات الأرمن واليهود بالإضافة إلى شهادات الشيعة ، حتى بلغ الأمر بمدير مدرسة الاليانس أنه أخذ يعطي الشهادة المزورة لمن يرغب فيها لقاء خمسين روبيه ، وكذلك فعل آرتين كيدوريان مدير مدرسة الأرمن لقاء ثلاثين روبيه . أما الشيخ شكر فكان يعطي الشهادة مجاناً « لوجه الله » . ويقول الحصرى : انه لما واجه السويدى بهذه الحقيقة أجابه السويدى قائلاً : « مولانا ، هل تظن أنا ما كنت أعرف الحقيقة ، إن الملك طلب أن تساهل في قبول الجمفرية ، وأنا تساهلت في قبول الجمفرية وغير الجمفرية » ^(٣٨) .

ويضيف الحصرى الى ذلك قائلاً : انه راجع الملك في هذه القضية وبين له الاضرار التي تتبع عنها فأجابه الملك : « أنا ماقلت لهم أن يقبلوا أيا كان ، ولا أن يقبلوا شهادات مزورة . كل مافي الامر أني خلال حديثي مع الوزراء قلت لهم نحن امام مشكلة . الجمفرية يشكون من قلة الموظفين من مذهبهم . وتعرف ان السبب الاصلی في ذلك هو قلة حملة الشهادات

(٣٧) المصدر السابق - ص ٧٧

(٣٨) ساطع الحصرى (مذكراتي في العراق) - بيروت ١٩٦٧ - ج ١
ص ٤٠٨ .

منهم ، والحكومة تضطر إلى تعيين أشخاص ناقصي الدراسة ، إلا يمكن أن يجدوا طريقة لحل هذا الإشكال ، وضمان دراسة الشبان الجعفرية الذين فات عليهم وقت الدراسة سابقاً ، وقد اقترح الحصري على الملك لحل المشكلة أن يفتح ثانوية مسائية يستطيع الكسبة والموظفو ان يدرسوها فيها لكي يتسلّكوا بعدها من دخول المعاهد العالية ، وقد أُعجب الملك بهذا الاقتراح وأسست الثانوية المسائية على الفور^(٣٩) .

الملك في محرم :

حل شهر محرم عامذاك في ٤ أيلول ، وهو الشهر الذي يعلن التشيع فيه حدادهم على مقتل الحسين بن علي ، وقد اهتم الملك فيصل بهذا الشهر على نحو ماقبل الانكليز عقب احتلالهم بغداد ، حيث ساعد المواكب الحسينية بعبالغ من المال وأهدى صفائح النفط لمشاعل المواكب الليلة ، كما اوعز ان يقام باسمه وعلى نفقته الخاصة مجلس تعزية في صحن الكاظمية ففى العشرة الثانية من محرم ، وحضر الملك بنفسه مجلس التعزية غير مرّة ، وجلس في أحد اواني الصحن بين رجال الدين .

وفي اليوم العاشر من محرم وهو اليوم الذي تقام فيه تمثيلية مقتل الحسين في صحن الكاظمية ، حضر الملك الى الصحن مع حاشيته ، وكانت قد أعدت له المقصورة الكبيرة التي تقع فوق باب القبلة ، فجلس فيها وأخذت المواكب تمر من أمامه ، وأمر باهداء الخلع الى التواحين في المواكب والى القائمين بتمثيل المقتل .

ومما لفت الانتباه في ذلك اليوم وجود العلم العراقي الجديد ذي الألوان الاربعة بين اعلام المواكب ، وكانت تلك اول مرة يرفع فيها العلم العراقي في المواكب الحسينية ، والظاهر ان بعض القائمين بشؤون المواكب امتنعوا من وجود هذا العلم بين الاعلام في ذلك اليوم ، فهو في نظرهم

(٣٩) المصدر السابق - ج ١ ص ٤٠٩ .

العلم الذى رفعه الشريف حسين عند تحالفه مع الانكليز الكفار ضد الدولة العثمانية المسلمة بينما كان المجتهدون فى العراق يرفعون علم الجهاد لنصر الدولة العثمانية . ولهذارأينا حامل العلم يسير في أثناء التمثيل الى جانب ممثل عمر بن سعد وليس الى جانب ممثل الحسين أو أخيه العباس أو غيرهما من أهل البيت .

كان ساطع الحصري حينذاك جالسا في المقصورة الصغيرة المجاورة لمقصورة الملك . وقد لفت نظره هذا المنظر، كما أشار الى ذلك في مذكرةاته فهو يقول فيها : انه لاحظ العلم العراقي محمولا الى جانب ممثل عمر بن سعد وهو قائد الجيش الاموي المعادى للحسين ، فكان العلم يسير معه اينما سار ، وكانت اللعنات تطلق من خانجر الناس - ومن النساء بوجه خاص - كلما ظهر ممثل عمر بن سعد . ومعنى هذا ان العلم العراقي كان يسير في موكب القائد الذى يلعنه الناس .

أخذ الحصري يفكر بالمحاذير العظيمة التى تنتجم عن ذلك ، فالتفت الى الخلف فرأى بين المرافقين صيبح نجيب ، وهو يعرفه من ايام دمشق لانه كان مرافقا للامير زيد ، فقال له : ان حامل العلم يجب ان يسير الى جانب ممثل الحسين وليس الى جانب ممثل عمر . فنزل صيبح نجيب من المقصورة ليعطي التعليمات للمسؤولين عن تنظيم الاحتفال . وقد أطاع حامل العلم ما أمر به فصار يتبعه عن ممثل عمر ، ويتجه نحو ممثل الحسين . ولكنه لم يكدر يقترب من ممثل الحسين حتى أخذ الممثل يدفعه بشدة ، وكلما حاول حامل العلم السير بجانبه كان هو يكرر الدفع له ، ويظهر علامات الغضب والتأنيب . وجاء صيبح نجيب الى الحصري يسألة : « ما العمل ؟ » فقال الحصري : « أحسن طريقة ، الآن ، أن ينسحب حامل العلم من الميدان بهدوء ، دون أن يلتف أنفاس الناس . والمهم أن لا يسير بجانب الفارس الذى يمثل عمر . وهكذا تم انسحاب حامل العلم من الصحن الشريف .

ويقول الحصري : انه بعد العودة الى بغداد روى القصة الى الملك ، فاستغرب الملك منها وقال « ان ذهني كان مشغولا بسماع بعض الشروح وتتبع حركات المواكب وأصوات الجماهير ، فلم اتبه الى اوضاع العلم » وقد استصوب الملك الطريقة التي عالج الحصري بها ذلك الامر ^(٤٠) .

قائممقام سامراء :

كان الشيخ مهدي الخالصي ي يريد ان يكون لسامراء قائممقام يداري زوار الشيعة ويدرأ الأذى عنهم ، وقد وقع اختياره على رجل من أهل الكاظمية يحمل الجنسية الهندية اسمه أغا محمد . وكتب بذلك كتاباً أرسله الى الملك ف يصل . وحين تلقى الملك رسالة الخالصي صادف أن دخل عليه علي البازر كان فأخذ يشكو اليه من هذا الطلب الذي يريده الخالصي ومن صعوبة تحقيقه . يقول علي البازر كان في ذلك مانسه :

« ٠٠٠ ذهبت في ذات يوم لزيارة جلاله الملك ف يصل الاول في قصر شعشوخ ، وكانت أدخل عليه بلا استئذان ، فشاهده في غرفته وهو يتناول الشاي فلما رأني قال لي : أنظر ياعلي ، وأعطاني رسالة وإذا بها من الامام الشيخ مهدي الخالصي الى الملك ف يصل يطلب فيها أذ بعين المرزا محمد الهندي معاون حاكم الكاظمية السياسي قائممقاما لقضاء سامراء لخدماته التي قدمها للمسلمين . ثم علق جلالته على تلك الرسالة : ماذا سيقول الناس عنني اذا عينت هنديا في هذا المنصب ، ولماذا قمت بثورتكم ضد الانكليز ألاجل ان اعين لكم الهنود في مناصب الدولة ، وهل ليس في العراق من يصلح لهذه المناصب ؟ فقلت له : سيدى ، انتي سأعمل لك عملا يرضيك في هذه المشكلة . فابتسم جلالته وقال لي : إن استطعت ان تعدل الشيخ مهدي الخالصي عن تعيين هذا الهندي فستجعلنى ممنونا لك » ^(٤١) .

(٤٠) المصدر السابق - ج ١ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٤١) علي البازر كان (الواقعية) - بغداد ١٩٥٤ - ص ١٧٧ .

وأخذ البازركان من جانبه يعمل لاقناع الخالصي بالعدول عن رأيه . فذهب أولاً لمقابلة الحاج كاظم ابو التمن في محله في السوق ، ثم ذهبما معاً الى الكاظمية لمقابلة الشيخ مهدي الخالصي . ولما تحدثنا الى الخالصي في الموضوع قال لهما : « نعم أنا الذي طلبت تعيين المرزا محمد من الملك فيصل الاول لانه من الاخيار » . فقال له البازركان : « وهل خلا العراق من الاخيار والخلصيين حتى نطلب تعيين الهنود ؟ » ، فقال الخالصي : « انتي لا تعرف رجلاً يصلح لهذا المنصب غيره » ، فقال البازركان : « أنا اعرف شخصاً وأظنه سيكون عند حسن ظنك » ، ولما تسامل الخالصي عن هذا الرجل من هو ، أجباه البازركان بأنه جلال بابان .

وفي اليوم التالي جاء علي البازركان الى الخالصي وبصحبته جلال بابان لتقديمه اليه فأمر الخالصي ابنه الشيخ محمد بأن يحرر كتاباً الى الملك يطلب فيه تعيين جلال بابان بدلاً من أغا محمد . وأسرع البازركان فأخذ الكتاب وذهب به الى الملك . وحين تسلم الملك الكتاب قال يخاطب البازركان : « بارك الله فيك يا علي انقذتني » . ثم تناول الملك قلمه وأحال الكتاب الى وزير الداخلية حيث كتب عليه : « انتي مستظر القرار كما جاء في هذا الكتاب » . وقد حمل البازركان الكتاب الى وزير الداخلية، فلما قرأه الوزير قال : « يا علي انك لم تنقذ جلاله الملك من هذه المشكلة فقط بل أنقذتنا جميعاً » .^(٤٢)

وفي ٤ كانون الاول ١٩٢١ باشر جلال بابان بوظيفته في سامراء^(٤٣)، وأخذ يبذل جهده في مدارة الزوار ودرأ الاذى عنهم .

(٤٢) المصدر السابق - ص ١٧٧ - ١٧٩ .

(٤٣) يونس ابراهيم السامرائي (تاريخ مدينة سامراء) - بغداد ١٩٧٣ - ج ٣ ص ٨٢ .

غارة « الأخوان » :

بينما كان الملك فيصل يتقارب الى الشيعة ويتحجب اليهم على التحول الذي ذكرناه وقعت حادثة كانت بمثابة القنبلة هزت المجتمع العراقي وكانت سبباً في ازدياد التقارب بين الملك والشيعة .

ففي ١١ آذار ١٩٢٢ بينما كانت بعض العشائر العراقية ترعى مواشيهما في موقع جنوب الناصرية على بعد ثلاثة ميل من سكة الحديد أغارت عليها قوة كبيرة من « الأخوان » الوهابيين التابعين لابن سعود بقيادة فيصل الديويش ، فأوغلت فيها نهباً وتقتيلاً . وقد قدرت المصادر العراقية عدد القتلى بما يقارب السبعمائه ، كما قدرت المنهوبات بـ ١٣٠ فرساناً و ٢٥٣٠ بعيراً ، و ٣٨١١ خماراً ، و ٤٣٠١٠ شاة ، و ٧٨١ بيتاً^(٤٤) .

أثارت الحادثة رعباً شديداً في العراق ولا سيما بين عشائر الفرات الأسفل والأوسط ، وظن الكثيرون أنها مقدمة لهجوم وهابي عام على العراق وإن الأخوان سيدبحون البشر كما يذبحون القنم وسيهدمون القبابات المقدسة ويتهكّون حرمات النساء ويهلكون الحرج والنسل . ومما يجدر ذكره أن العراق كان قد عانى في الماضي من غارات الوهابيين وشهد مانى تلك الغارات من نهب وسفك . أضف إلى ذلك ان العشائر العراقية وصلتها أخبار مبالغ فيها عن ضراوة « الأخوان » وشدة ميلهم إلى النهب وسفك الدماء . فلدى ذلك إلى انتشار موجة من الذعر بين الناس وساد الهلع .

يجب أن لانسى ما كان بين العائلتين الهاشمية والسمودية من عداء قديم ، وعندما حدثت غارة « الأخوان » تآلم الملك فيصل منها ألمًا شديداً ، وقد زاد في ألمه ما وجد لدى كوكس من فتور وتردد في اتخاذ التدابير الرادعة ضد « الأخوان » .

(٤٤) عبد الرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٥٩ .

الواقع ان الانكليز كانوا قد أرسلوا طائرة استطلاع الى موضع الغارة حال سماعهم بها ، فأطلق « الاخوان » الرصاص عليها وأصابوها مما ادى بالانكليز الى توجيه أربع طائرات أخرى اليهم ، فقد قتلت تلك الطائرات بعدد من القنابل ووجهت عليهم رصاص الرشاشات . وقد اصيي أحدى الطائرات أثناء ذلك وسقطت على الارض غير ان الطيار ومساعده نجحا وتمكنا من الوصول الى سكة الحديد بعد سير على الاقدام لمسافة خمسة وعشرين ميلا . وفي صباح اليوم التالي أرسل الانكليز أربع طائرات أخرى ، فلحقت « الاخوان » وأمطرتهم بالقنابل والرصاص ، وقد اصيي طائرتان منها ، ولكنها عادتا سالمتين .

كان الشائع في العراق آنذاك ان غارة « الاخوان » جرت بيايعاز من الانكليز ، او بربما منهم على الأقل ، على أساس ان الصداقة التي تربط بين كوكس وابن سعود وثيقة جدا وليس من المقبول أن يفعل ابن سعود ما يفضي صديقه كوكس . وقد حاول كوكس ان يدراً هذه التهمة عنه فكتب الى الملك رسالة يخبره فيها بما اتخذه القوة الجوية البريطانية من اجراءات ضد « الاخوان » . فأرسل الملك اليه جواباً يبدى فيه شكره على ما فعلت الطائرات البريطانية ولكنه أعلن عن رأيه في ضرورة اتخاذ اجراءات أشد ، وأشار الى ان الحكومة العراقية لا تملك السلطة او الصلاحية الكافية للدفاع عن حدود البلاد وان العشائر أصبحت غير واثقة من مقدرة الحكومة على حمايتها وهذا يؤدي الى افخح الضرر بالدولة العراقية الناشئة^(٤٥) .

كان الملك يريد من كوكس أن يكون مثله متحمساً في تأديب « الاخوان » ، غير أن كوكس كان ينظر في الامر نظرة أخرى ، وأخذ يعتقد بأنه يتمنى وصول التعليمات اليه من لندن كما يتمنى جواب ابن

(٤٥) عن وثائق البلاط الملكي - رقم الاضبارة ٤/٢٥ ، رقم الوثيقة ٤٥ ،

سعود على برقته التي ارسلها اليه . وقول المسيل ان جواب ابن سعود تأخر عدة ايام لأن ابن سعود يرسل برقاته عادة على بعير الى البحرين لتبرق من هناك الى بغداد ، وهذا يحتاج الى وقت^(٤٦) .

ازمة وزارية :

عندما استيأس الملك من مساعدة كوكس له في أمر الدفاع عن العراق تجاه « الاخوان » ، أخذ يفكر في خطة أخرى هي استئثار العشائر العراقية وتجهيزها بالسلاح من جهة ، وتنمية الجيش العراقي من الجهة الأخرى . ولكن هذه الخطة لم تزل قبولاً من كوكس ، ولمله خاف منها . إذ كان يعتقد ان تجهيز العشائر بالسلاح - ولا سيما تلك العشائر التي قامت ثورة العشرين - يعني تشجيعها على القيام بشورة أخرى .

ومن العجدير بالذكر في هذا الصدد ان الملك كان في ذلك الحين يحفل به عدد من رؤساء العشائر الذين شاركوا في ثورة العشرين من أمثال عبد الواحد الحاج سكر وشعلان أبو الجون ومحسن ابو طينخ وعلوان الياسري وقاطع العوادى . وكان هؤلاء يؤكدون للملك ان العشائر العراقية قادرة على محاربة « الاخوان » . وكسرهم لو كان لديها السلاح الكافي ، و كانوا يشجعون الملك على الصمود تجاه كوكس وعلى اعلان الجهاد على « الاخوان » .

أرسل الملك في ٢٧ آذار الى مجلس الوزراء يطلب منه الموافقة على زيادة حصة وزارة الدفاع من الميزانية لتنمية وسائل الدفاع عن العراق تجاه تجاوزات اتباع ابن سعود . ولما عرض هذا الطلب على المجلس انبرى له ناجي السويدي يعارضه ، حيث أشار الى أن غارة « الاخوان » هي تتاج العداء التقليدي بين العائلتين الهاشمية والسعوية ، وان الدفاع عن العراق

(46) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 260.

موكول الى بريطانيا إذ هي التي أخذت على عاتقها صيانة الامن الداخلي في العراق مع درء الاخطار التي تهدده من الخارج ٠ وقد رد جعفر العسكري على السويدي قائلاً : بأن الاتفاق قد حصل سابقاً بين الملك والمندوب السامي على ان تكون الحكومة البريطانية مسؤولة عن الدفاع عن جانب دجلة الأيسر وعن العمارة والبصرة ، أما الحكومة العراقية ف تكون مسؤولة عن جانب دجلة اليمين وعن جانبي الفرات اليمين واليسرى ، بشرط أن تؤازرها قوة الطيران الانكليزية ، وعلى هذا فان الدفاع عن حدود العراق تجاه « الاخوان » يقع على عاتق الحكومة العراقية ٠

كانت معارضة ناجي السويدي مفاجأة غير سارة للملك ، إذ كان ناجي معذوباً من انصار الملك ومؤيديه ، فما هو السبب الذي جعله يغير موقفه الآن ٠ وما زاد في استياء الملك ان أربعة وزراء أيدوا ناجي السويدي في معارضته لهم : عرت الكركوكلي وحنا خياط وعبداللطيف المنديل وال الحاج سرى ٠ وكان رئيس الوزراء يؤيدهم من طرف خفي كما ان ساسون حسقيل تفوه بما يشبه التأييد لهم^(٤٧) ٠

أرسل الملك يستدعي اليه الوزراء المعارضين وأعلن لهم أنه فقد ثقته فيهم وأنهم يجب أن يستقيلوا ٠ وقد ذهب كوكس وكورنواليس الى الملك في محاولة لتهيئة غضبه دون جدوى^(٤٨) ٠ وبعد هذا أرسل سكريير الملك الى رئيس الوزراء كتاباً شديد اللهجة نقل منه ما يلي :

« كان أمل صاحب الجلالة ان يتتخذ المجلس الموقر في جلسته المنعقدة في ٢٧ آذار ١٩٢٢ قراراً جلياً يكفل العمل به صيانة حدود العراق ورعايته من تجاوزات قبائل البادية ٠ ولقد آسفه رأى وزير العدلية ومن أخذ مأخذة من حضرات الوزراء بعد أن أوضح لهم وزير الدفاع حراجة الموقف في

(٤٧) عبد الرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٦١-٦٤ ٠

(٤٨) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 288.

وادي الفرات وان مسؤولية الدفاع عنه واقعة على الحكومة العراقية ،
ولاحل ذلك يبني أن تقام مخافر ومحارس في مواضع معينة لمراقبة القبائل
المناولة وصد اعتماداتها من أية جهة جاءت ٠٠٠ فبناء على ما تقدم أُمرت أن
أعبر لفخامتكم عن أسف صاحب الجلاله على ما ارتاه وزير العدليه وبعض
زملائه ،^(٤٩) ٠

وصل جواب ابن سعوـد الى كوكـس في ٢٩ آذـار ، وقد أـعرب فيه
ابن سعـود عن أـسفه لما حـدث وقال ان فيـصل الدـويـش فعل ما فعل بـغير
اذـن منه ، وسوف يـنال المـذنب عـقابـه ٠ فـعرض كـوكـس الجـواب عـلى الـملك
وعـلى رـئـيس الـوزـراء كما اوـعزـ بشـنـره فيـ الجـرـائـد بـقـيـة تـهـدىـة الرـأـيـ الـعامـ ،
ولـكـنـ الرـأـيـ الـعامـ لمـ يـهـدـأـ بلـ اـزـدـادـ هـيـاجـاـ ٠ يـقولـ غـريـفـزـ : «ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ
مـنـ اـبـداـ اـبـنـ سـعـودـ لـأـسـفـهـ فـانـ الـبـلـادـ كـانـ غـاضـبـةـ وـفـيـ هـيـاجـ ،ـ وـكـانـ
الـاشـاعـةـ الـقـائـلـةـ بـأـنـ الـانـكـلـيـزـ هـمـ الـمـسـؤـلـونـ عـنـ الـحـادـثـةـ قـدـ نـالـتـ روـاجـاـ بـينـ
الـسـكـانـ الـجـهـلـةـ ،ـ فـأـسـتـخدـمـهـاـ الـمـهـيـجـونـ لـأـتـارـةـ الـشـاعـرـ ضـدـ الـانـكـلـيـزـ ٠ـ وـاتـهـزـ
عـلـمـاءـ الشـيـعـةـ الـفـرـصـةـ لـلـمـزـاـيدـةـ مـنـ أـجـلـ السـلـطـةـ السـيـاسـيـةـ تـحـتـ دـعـوـيـ
الـوطـنـيـةـ ،ـ ٠٠٠ـ ،ـ (٥٠)ـ ٠ـ

استفحـالـ الـازـمةـ :

كان مجلس الـوزـراءـ قدـ قـرـرـ فيـ ١٨ آذـارـ اـرـسـالـ لـجـنةـ إـلـىـ التـاـصـرـيـةـ
لـلـتـحـقـيقـ فيـ غـارـةـ «ـ الـاخـوانـ »ـ مـؤـلـفـةـ مـنـ نـورـيـ السـعـيدـ مـمـثـلاـ عـنـ وزـارـةـ
الـدـاخـلـيـةـ ،ـ وـداـودـ الـجـيـدـرـىـ مـمـثـلاـ عـنـ وزـارـةـ الـعـدـلـيـةـ ،ـ وـرـئـيسـ الـأـوـلـ
الـحـاجـ رـضـيـانـ مـمـثـلاـ عـنـ وزـارـةـ الدـفـاعـ ،ـ عـلـىـ أـنـ يـنـضمـ إـلـيـمـ الـمـيـجـرـ يـيـتسـ

(٤٩) عن وثائق البلاط الملكي - رقم الأضبارة ٤/٥ ، رقم الوثيقة ٦٠

(50) Graves (op. cit.) - p. 810.

مستشار لواء المتفق . وفي ٢٩ منه عادت اللجنة الى بغداد وقدمت تقريرها الى مجلس الوزراء ، وقد تضمن التقرير تقديرات للمخسائر « الفظيعة » التي تكبدتها العشائر العراقية من جراء غارة « الاخوان » ، كما اشار التقرير الى ان الحكومة العراقية مسؤولة عن وقوع الحادثة لأن متصوفة المتفق كانت قد شعرت بقرب وقوع الخطر في حينه وطلبت التجدة من الحكومة غير أن الحكومة لم تتجدها^(٥١) .

وفي صباح اليوم التالي - أي ٣٠ آذار - طلعت جريدة « العراق » وفي صدرها مقالة افتتاحية بعنوان « حول اعتداء الاخوان على عشائر المتفق » ، أشارت فيها الى ان صاحب الجريدة قابل نوري السعيد على اثر عودته مع زملائه اعضاء اللجنة من الناصرية ووجه اليه عدة اسئلة . وقد نشرت الجريدة أجوبة نوري وكان فيها تهجم شديد على الوهابيين مع انتقاد لاذع للوزراء الذين لم يوافقوا على تقوية الجيش العراقي . وقد ذكر نوري السعيد بصرامة انه عند عودته وجد بعض كبار الموظفين لا يمليون الى توسيع الجيش بحجج قلة الموارد المالية ، وأعلن ان ذلك أمر مؤسف ، وسيبه أنهم لم يطلعوا على حرارة الوضع ولو انهم اطلعوا عليه حقا لنغيروا رأيهم^(٥٢) .

وفي اليوم نفسه صدرت جريدة « الاستقلال » ، وفي صدرها مقالة افتتاحية عنيدة جدا مذيلة بتوقيع « العلوى » وعنوانها : « الدفاع ! الدفاع ! » وتحتها البيت التالي :

ومن لم ينذر عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يتقى الشتم يستسم

(٥١) عبدالرzaق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٦١-٦٠ .

(٥٢) جريدة « العراق » - في عددها الصادر في ٣٠ آذار ١٩٢٢ .

وقد حملت المقالة حملة شعواء على ابن سعود واتباعه وعلى الذين يؤيدونه في العراق ، وأطلقت على ابن سعود لقب « زعيم بشيفيك الجزيرة » و « لنين نجد !! » ، وقالت ان هناك أشخاصا لا علاقه لهم بهذا القطر يبثون اشاعات مؤداها ان غارة « الاخوان » بسيطة وذلك لكي تبقى الامة غافلة فتؤخذ على حين غرة مع العلم ان الغارة كانت هجوما كبيرا سفكت فيه الدماء الغزيرة وترملت النساء وتشرد الاطفال ، فهل قبل ذلك أمة كالاًمة العراقية المعروفة بشدة ابائها وأنفتها ٠٠٠ (٥٣) ٠

ان هاتين المقالتين وما فيها من تهجم ضمني على الوزراء المعارضين كان لهما اثر شديد على مجلس الوزراء الذي انعقد في ذلك اليوم ٠ فلما استهى سكرتير المجلس من تلاوة تقرير اللجنة اسرع ناجي السنويدي فقدم استقالته ، وتبعه في ذلك الحاج رمزي وعبداللطيف المنديل وعزت الكوكلي وحنا خياط ٠ وأسرع الملك فأصدر ارادته في اليوم التالي بقبول استقالتهم ، وبتعيين توفيق الخالدي وزيرا للداخلية ، وصبح نشأت وزيرا للأشغال والمواصلات ٠ وكان ساسون حسقيل قد قدم استقالته أيضا تضامنا مع الوزراء الخمسة الذين استقالوا غير أن رئيس الوزراء رفض استقالته بايعاز من كوكس ٠

غضب كوكس على الملك لانه لم يستشره في قبول استقالة الوزراء الخمسة ، كما غضب على نوري السعيد وعلى جريدة « الاستقلال » ٠ أرسل كوكس الى رئيس الوزراء كتابا يلفت نظره فيه الى تصريحات نوري السعيد في جريدة « العراق » ويعتبرها خرقا خطيرا للآداب الرسمية إذ كيف يمكن ان يتصدى موظف في الحكومة لاتقاد الوزراء بتلك الصورة ٠ وطلب كوكس من رئيس الوزراء وضع قوانين تمنع من ذلك في

(٥٣) جريدة « الاستقلال » - في عددها الصادر في ٣٠ آذار ١٩٢٢ ٠

المستقبل^(٥٤) . وكذلك أرسل كوكس كتابا آخر إلى رئيس الوزراء يقول فيه عن مقالة « الاستقلال » بأنها في غاية الخطورة وانها تؤدي إلى ارباك الحكومة وعرقلة أعمالها بالنظر إلى ما ورد في جواب ابن سعود من لهجة معتدلة . وطلب كوكس تبليغ جريدة « الاستقلال » بوجوب نشر مقالة تعلن فيها عن اسفها عن مقالتها السابقة وتشير إلى موقف ابن سعود السلمي تجاه العراق . وأرسل كوكس نسخة إلى الملك من كل من الكتابين^(٥٥) .

وفي ١ نيسان أرسل كوكس إلى تشرشل في لندن برقة يشكو فيها من تصرفات الملك ف يصل وقال فيها ما يلى :

« ان هذا الاجراء المتهور الذى اتخذه في سورة من التهيج ، دون استشارتي أنا أو أي شخص آخر ، كان مؤسفا جدا ، ولا سيما بالنسبة للمنديل حيث سينثر رأي البصرة بشكل سلبي باستقالته الاجبارية ٠٠٠ وفي الوقت الذى أسفت بشدة لتصرف الملك المتهور فقد نصحته عند سماع ماحدث بأنه سيكون من الاكثر ملائمة في الظروف الراهنة أن يقدم التقيب استقالة الوزارة كلها وان يدعى فورا إلى تشكيل وزارة جديدة . الا ان الملك فضل المطالبة باستقالة خمسة وزراء في القضية ، ومن سوء الطالع ان يتبع هذا استقالة ساسون التي لم تقبل على أية حال ٠

رد تشرشل على كوكس قائلا : « ٠٠٠ انتي مندهشن من أن يكون فيصل قد طرد أربعة وزراء دون استشارتك ، ومن المؤكد ان هذا التصرف لم يكن منطبيا مع روح تمداته الشخصية بأخذ نصيحتك في المسائل الهامة . وساكون آنسفا جدا اذا أصر ساسون أ scandi على الاستقالة . ان بامكانك اذا شئت أن تخبره بأنني أبرقت شخصيا بشأنه ٠

(٥٤) عن وثائق البلاط الملكي - رقم الاضبارة ٤/٤/٢٥ ، رقم الوثيقة ٦٦

(٥٥) عن وثائق البلاط الملكي - رقم الاضبارة ٥/٥/٢٥ ، رقم الوثيقة ٦٣

الظاهر أن الملك أحسن بضرورة الاعتدال في موقفه تجاه كوكس ، فأخذ يخفف من شدته . نلاحظ ذلك في البرقية التي أبرقها كوكس إلى تشرشل جواباً على برقيته السابقة . حيث قال مانسه :

“ .. يبدو الآن أن فيصل يدرك أنه كان متوراً جداً ، ويميل إلى السعي وراء ايجاد وسائل لتمكين واحد أو اثنين من العودة بعد فترة قصيرة اذا كان يستطيع ذلك دون ان يفقد كرامته . واعتقد ان من الأفضل ان تكون رسالتك اليه بقصد تلك المسألة رسالة شخصية معبرة عن خيبة ذلك من انه قد سلك هذا الطريق المقلق دون تشاوره معى أو مع مستشاريه الطبيعيين .. ان وجهة نظرى هي أنه ليس من سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطانية ولا اتجاهى الشخصى أن تدمى مكانته كملك وأن ينجبر على التنازل عن طريق اضطراره الى ابطال تصرفات متوردة او منصوح بها على نحو سيء . كان قد اقدم عليها دون تشاور .. ولكن اذا ظهر ميلاً مفرطاً في ذلك الاتجاه فان علاجى هو طلب اعفائة وان يعلن سبب ذلك ”^(٥٦) .

الدعوة الى مؤتمر كربلاء :

بينما كانت الازمة في بغداد على اشدها كان الفرات الاوسط يتمضمض عن حركة قوية أريد بها جمع العشائر واثارتها للدفاع عن العراق تجاه هجمات « الاخوان » . وكان وراء هذه الحركة بعض رؤساء العشائر كعبد الواحد الحاج سكر وعلوان الياسري وقاطع العوادي .

وقد عقد علماء النجف عدة اجتماعات للتداول في هذا الموضوع كان على رأسهم السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين الثاني . وقرروا أخيراً عقد مؤتمر في كربلاء يحضره رؤساء العشائر ووجهاء المدن للمباحثة في

(٥٦) صالح جواد كاظم (محاولة استجلاء جديدة) - مجلة «المثقف العربي» - في عددها الصادر في شهر حزيران ١٩٧٤ .

وضع خطة للدفاع عن البلاد . ثم ارسلوا الى الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية البرقية التالية وهي مذيلة بتوقيع السيد أبو الحسن والمرزا حسين :

« جناب حجۃ الاسلام محمد مهدي الخالصي دامت برکاته . انه لا ينبغي الاتكال على وعد السلطة البريطانية في دفع شر الخوارج الاخوان عن المسلمين فبناء عليه نأمل حضوركم في كربلاء قبل الزيارة بأيام وتأمرون رؤساء العشائر كالسيد نور وأمير ربيعة وسائر الرؤساء بعد ابلاغهم سلامنا بالحضور كما اتنا نحضر مع من في طرفنا من الرؤساء لاجل المذكرة في شأنهم ان شاء الله »^(٥٧) .

تقرر أن يكون عقد المؤتمر من ١٠ إلى ١٥ شعبان ، ويوفق ذلك من ٨ إلى ١٣ نيسان . وقد اختير هذا الوقت بمناسبة زيارة «المحیه» ، التي تقع في منتصف شعبان . وأرسل الشيخ مهدي الخالصي ولده الشيخ محمد الى الملك يدعوه لحضور المؤتمر فلبى الملك الدعوة وقال انه سيحضر الى كربلاء في يوم ١٤ شعبان . وكذلك أرسل الخالصي الى مائة وخمسين رئيسا من رؤساء العشائر برقية هذا نصها :

« بمناسبة تجاوز الاخوان على حدود العراق تقرر ان يحضر العلماء وجميع رؤساء القبائل في اليوم العاشر من شهر شعبان المعلوم فلزم حضوركم في اليوم المذكور الى كربلاء » .

وفي أوائل نيسان تألفت في الكاظمية بائز من الشيخ مهدي الخالصي لجنة للاشراف على المؤتمر وتنظيم السفر اليه ، وكان أعضاؤها : نور الياري وكاظم ابو التمن وقاطع العوادي وعلوان الياري وباقر الشيباني

(٥٧) محمد مهدي البصیر (تاريخ القضية العراقية) - بغداد ١٩٢٣ - ج ٢ ص ٣٩٢-٣٩١ .

وعبدالحسين الجلبي . وقد اجتمعت اللجنة ووضعت منهاجا من ثلاث عشرة مادة طبعته في احدى مطابع بغداد ، وكان أهم ماورد في المنهاج اختيار أربع لجان فرعية هي كما يلي :

اللجنة الأولى تألف من محمد الخالصي وعبدالحسين الجلبي وأبو طالب الاصفهانى ومهمتها بث النصح في وجوب المحافظة على الراحة التامة والسكنية في الاجتماعات . وتسافر اللجنة إلى كربلاء عن طريق الحلة والنجف .

اللجنة الثانية تألف من صادق الاستريابادى ومحمدى الباچچى وعبدالرسول كبة وادريس الكاظمى وعبدالهادى الجلبي ، ويكون كاظم ابو التمن المسؤول عنها والموكل بإدارة شؤونها ، ومهمتها اعداد العدة لسفر الشيخ مهدى الخالصي ومن معه من أهل الكاظمية وبغداد الى الحلة فكر بلاء .

اللجنة الثالثة تألف في كربلاء من محمد حسن ابو المحاسن وعيسى البزار وخليل الاستريابادى وهاشم شاه ومحمد الكشميرى ومحمد رضا نصر الله وعمر العلوان وعبدالكريم عواد ومهمتها تنظيم الاجتماعات في كربلاء .

اللجنة الرابعة تألف من رؤسائه وخدام المتبات المقدسة في كربلاء ، ومهمتها التعرف على القادمين وتعيين محل سكناتهم وتمهيد طريق اتصالهم إلى الاجتماعات .

وفي صباح ٥ نيسان غادر الكاظمية حسب الموعد المعين أعضاء اللجنة الأولى وهم محمد الخالصي وعبدالحسين الجلبي وأبو طالب الاصفهانى فذهبوا إلى النجف حيث اتصلوا بالسيد أبو الحسن الاصفهانى والمرزا حسين الثاني من أجل تمهيل سفرهما إلى كربلاء . وقد استجاب الاصفهانى لطلبهما حالا ، أما الثاني ف قد امتنع عن السفر . ويحدثنا الشيخ محمد الخالصي في مذكراته عن امتناع الثاني فيقول مانسه :

« ٠٠٠ ولقيت المرزا الثانيي فامتنع من الحضور متذرًا بأنه بلغه أننا ربنا منهاجاً لهذا الاجتماع ٠ وهو لا يوانق على ذلك لأن المنهاج من أعمال دعوة المنشروطية على ما يقول ، فسجّلت من ذلك أشد العجب لأن المرزا الثانيي كان من أصلب دعوة المنشروطية وهو الذي كتب كتاب تيه الامة يدعو فيه الى المنشروطية والقانون الاساسي والتتجدد ٠ في حين أننا كنا ننكره عليه ولم نزل ننكر ذلك بالمعنى الذي كان الثانيي يقصده منه ، على ان المنهاج لاربط له بالمنشروطية بوجه ٠ وكان ذلك الرجل الحازم يتتجاهل ويتبته ، فلم أزل أناظره ويسر على امتناعه حتى قلت له إنك أنت الذي أبرقت بذلك فما وجه امتناعك وكيف نجيب الناس اذا سألا عن سبب عدم حضورك وما هو العذر عنه ، فلم يؤثر عليه ذلك ولم يزدأه اصرارا على عدم الاشتراك في الاجتماع وعدم المضي الى كربلاء ٠ فلما يئست منه فارقه منكرا عليه أخلاقه وأعماله ٠٠٠ وأخذ الشيخ محمد بعد ذلك يند المرزا الثانيي ذمًا قيحاً لامجال لذكره هنا^(٥٨) ٠

وفي صحي الجمعة ٧ نيسان تحرك موكب الشيخ محمد الخالصي من الكاظمية ٠ وخرج أهل الكاظمية لتوديعه ، فامتلأت ساحة باب الدروازة بالناس وهم يهتفون بالصلوة على محمد وآل محمد ٠ فاتجه الموكب نحو جانب الكرخ حيث التحق به الكثيرون من أهل بغداد ، وعند وصوله الى الحلقة جرى له فيها استقبال عظيم ، وأغلقت الأسواق له ٠ وبات الخالصي في الحلقة في بيت الشيخ محمد سماكه ، ثم غادرها صباحاً متوجهاً الى كربلاء ٠ وكان رؤساء كربلاء قد خرجوا لاستقباله الى طويريج في أربعة عشر سيارة ، وكان معهم من التجفيين الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ عبدالرضا الشیخ راضی والشيخ باقر الشیبی ٠ كما خرج لاستقباله أربعمائة فارس منعشيرة المسعود وغيرهم ٠ وعند وصوله الى كربلاء أدى الزيارة ثم نزل في دار المرحوم المرزا محمد تقى الشيرازي^(٥٩) ٠

(٥٨) نقلًا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة ٠

(٥٩) جريدة « الرافدان » - في عددها الصادر في ١٢ نيسان ١٩٢٢ ٠

مشاركة أهل السنة :

كان الشيخ عبد الوهاب النائب قد وجه الدعوة الى عدد من علماء السنة ب بغداد لحضور اجتماع يعقد في تكية الخالدية للتداول في أمر « الاخوان » وهل يجوز حربهم . وفي صباح ٥ نيسان تم عقد الاجتماع وحضره اكثر المدعويين بينما تخلف البعض منهم ، وكان من بين المخالفين محمود شكري الالوسي وعبد الحليم الحافاتي ويونس العطا وحمدى الاعظمى وسلیمان السنوى وقاسم المقى .

افتتح عبد الوهاب النائب الاجتماع ، وأخذ يذكر الفظائع التي اقترفها الوهابيون في المسلمين العراقيين ، ثم تساءل قائلا « ما تقولون في هذه الطائفة المسماة بالاخوان » هل ترون وجوب قتالهم وردعهم عن امثال هذه التجاوزات نظرا لكونهم هتكوا حرمات المسلمين واستباحوا دماءهم وأموالهم بغير ذنب وتأويل ؟ ، ثم استشهد بما فعل أبو بكر بأهل الردة ، وما فعله الامام علي بالخارج الذين كانوا أكثر من هؤلاء صلاة وصياما . واقتصر ان يقرأ الفصل الخاص بالوهابية في كتاب ابن عابدين . فقرأ أحد الحاضرين فقرة من الكتاب مفادها ان من يستبيح دماء المسلمين كافر يجب مقاتلته ، فوافق الحاضرون على ذلك واجمعوا رأيهم على وجوب الدفاع العام . ثم نهض احمد الشيشاني داود فتكلم بما يؤيد ذلك . وحصلت محاورة فقهية بين عبد الوهاب النائب وأحمد الشيشاني داود في هذا الشأن ، إذ سأله النائب : « ماذا نسمي هؤلاء أبناء أم خوارج ؟ » فقال أحمد : « انهم الخارج بعينهم » . وأشار النائب الى ماقيل الامام علي بالخارج وهو ابن عم المصطفى . فقال الحاضرون : « وأنتم به قدوة » . وذكر أحمد كيف انهم سبوا النساء ووطأوهن مع أنهن من نساء المسلمين . فقال أمجد الزهاوى : « يجب تأديبهم بكل صورة » . وعند هذا قال النائب : « ان اخواننا الجعفرية قد صسوا على الاجتماع واعطاء القرار بهذاخصوص ولما لم يكن بيننا وبينهم خلاف في أي شيء فكللتني واحدة » . فقال الحاضرون : « لاشك في ذلك » .

استقر رأي الحاضرين على انتخاب وفد منهم لحضور مؤتمر كربلاء فاختير النائب رئيساً للوفد ، واختير احمد الشیخ داود وابراهیم الروای وعبدالجلیل الجمیل اعضاء ، وباتسروا بكتابه القوی ، وهذا نصها « ماقول علماء المسلمين الاعلام فيمن يدعى الاسلام ويحكم بشرک من خالف معتقدهم من جماعات المسلمين مستحلين قتالهم ودماءهم وأموالهم وسيبي ذرارتهم بغير سبب وقد هجموا على بلاد المسلمين عداءً وبداءً فهل يجب قتالهم ودفعهم أم لا ؟ افتونا مأجورين ! الجواب والله سبحانه وتعالى أعلم : نعم يجب قتالهم والحاله هذه » . وقد وقع على هذه القوی عبد الوهاب النائب وعبد الملك الشواف وابراهیم الروای وحضر القاضی ومنیر القاضی وعبدالجلیل الجمیل وطه الروای ونعمان الاعظمی وعلى القرداغی وأمجد الزهاوی ومحمد رشید الشیخ داود وخیلیل حسن التقی وبهاء الدین التقشنبی وأحمد الروای ومحمد رؤوف^(٦٠) .

وفي الساعة الثامنة من صباح ١٠ نيسان خرج موكب علماء السنة من جامع الفضل ببغداد، يتقدمهم عبد الوهاب النائب وابراهیم الروای وأحمد الشیخ داود وعبدالجلیل الجمیل ، ومعهم عدد من الشباب المثقف . وخرج الجمهور لتوديعهم بأعلامهم وطبلولهم . وساروا حتى وصلوا العجسر فعبروه متوجهين الى مقرية من محطة القطار في الكرخ ، ومن هناك ركبوا السيارات متوجهين الى كربلاء حيث وصلوا في الساعة الرابعة بعد الظهر . وبعد أن اجتمعوا بالخاصی في دار الشیرازی توجهوا الى دار قاسم الرشیدی فنزلوا عليه ضيوفاً .

وفي مساء ذلك اليوم نفسه وصل الى كربلاء وفدمن الموصل مؤلف من مولود مخلص وسعيد الحاج ثابت وأیوب عبد الواحد وعبد الله النعمة وثابت عبد النور وعبد الله آل رئيس العلماء وعجیل الیاور ومحمد أغرا رئيس

^(٦٠) جريدة « الاستقلال » - في عددها الصادر في ٦ نيسان ١٩٢٢ .

الگرگرية ٠ ونزلوا في دار عمر العلوان ٠
 ووصلت الى الخالصي برقة من أهل تكريت وشرقاً ط يذكرون فيها
 انهم اتدبوا مولود مخلص ليمثلهم في المؤتمر وأنهم مستعدون لتنفيذ أي
 قرار يصدر منه بأموالهم وأنفسهم^(٦١) ٠ ثم وصلت الى الخالصي من
 تكريت مضبوطة بهذا المعنى وهي تحمل التوقيع التالية : النقيب السيد أحمد،
 رئيس عشيرة تكريت محمد عرب ، رئيس عشيرة تكريت مصطفى الحاج
 حسن ، رئيس عشيرة اليكبات أحمد الخطاب ، رئيس عشيرة اليكبات ندا
 الحسين ، رئيس عشيرة تكريت زيدان الخلف ، رئيس عشيرة الحديثيين
 مقيم ، رئيس عشيرة الحديثيين سلمان الحاج حميد^(٦٢) ٠

لم يهن على البعض قيام هذا التضامن الطائفي في كربلاء فأخذوا
 يتقولون عليه وينشرون عنه اشاعات غير حسنة ٠ وقد أشارت الى ذلك
 جريدة « الاستقلال » حيث قالت : ان بعض المغرضين هالهم مارأوا من
 تضامن الأمة ووقفها صفا واحداً تجاه الوهابيين فأخذوا ينتقدون سموهم ،
 وقد اتهزوا فرصة اتفاق الزعماء على الاجتماع في كربلاء فأخذوا ينشرون
 الاشاعات الباطلة ويختلقون الاحتمالات التي لا تخطر بال عاقل^(٦٣) ٠ ولم
 تحمل وزارة الداخلية هذا الكلام فأصدرت أمرها باغلاق جريدة
 « الاستقلال » ثلاثة أسابيع بتهمة أنها تنشر أخباراً مشوشة للاذهان^(٦٤) ٠

انعقاد المؤتمر :

اعتذر الملك عن حضور المؤتمر تحت ضغط من كوكس ، ووافق
 على أن يمثله في المؤتمر وزير الداخلية توفيق الخالدي^(٦٥) ٠ ولم يكن

(٦١) جريدة « دجلة » - في عددها الصادر في ١٣ نيسان ١٩٢٢ ٠

(٦٢) جريدة « الرافدان » - في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٢٢ ٠

(٦٣) جريدة « الاستقلال » - في عددها الصادر في ٦ نيسان ١٩٢٢ ٠

(٦٤) جريدة « الاستقلال » - في عددها الصادر في ٥ آيار ١٩٢٢ ٠

(٦٥) عن وثائق دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف. أو. ٣٧١ - ٧٧٧) ٠

الملك يطمئن الى الخالدى ، كما رأينا ، ولهذا أرسل الى كربلاء نوري السعيد لكي يمثله بصفة شخصية . وحين وصل نوري الى كربلاء خلع لباسه الرسمى ولبس النعال وأخذ يتصل بالوطنيين من أمثال عثمان الملوان واخوه عمر وقاطع العوادى وقاسم الرشدى . وكان يعاونه فى ذلك مدير شرطة كربلاء هاشم العلوي^(٦٦) .

بلغ زوار كربلاء حينذاك زهاء مائى ألف ، ولم يسبق أن شهدت كربلاء مثل هذا الزحام في زيارة «المحية» . وقد أرسلت الحكومة الى كربلاء قوة من الجنود للمحافظة على الامن مؤلفة من ٢٠٠ جندي من المشاة و ٣٠٠ من الخيالة ، بقيادة محيي الدين السهوروبي . وذهب الشيخ محمد الخالصي لزيارة الجنود في مقرهم بصحبة محمد حسن أبو المحاسن ، وألقى عليهم كلمة أشار فيها الى مطالب العراق وحذرهم من أن يخدعهم الانكليز فيستعملوا السلاح ضد اخوانهم المسلمين . وقد رد أحد الضباط عليه بكلمة حماسية أشعرته بأن الجيش سيقف الى جانب الوطنيين اذا قامت الحرب بينهم وبين الانكليز^(٦٧) .

وفي صباح ٩ نيسان افتتح المؤتمر باجتماع تمهدى حضره الشيخ مهدي الخالصي والسيد أبو الحسن الاصفهانى وتوفيق الخالدى وكبار المدعوين . وقد تقرر في ذلك الاجتماع تنظيم مضابط يوقعها الرؤساء والوجاهات وتتضمن مبادىء الشعب ومقداره الاساسية المتعلقة بقضية «الاخوان» . وفي الاجتماعات التي عقدت في الايام التالية جرى تنظيم المضابط والتوفيق عليها . وهذه صورة لواحدة منها :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الموقعين أدناه سادات وزعماء ورؤساء قبائل العراق أصالة عن

(٦٦) صالح جواد كاظم (المصدر السابق) - ص ١٧٨ .

(٦٧) نقلًا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .

انفسنا وتمثيلا عن افراد قبائلنا تلبية لدعوة حجج الاسلام دامت بر كاتهـم
 الذين يجب علينا اطاعتهم وهي فرض دياتنا الازمة في اعناقنا كل وقت
 وحين ، قد حضـرنا كـربلاـء المـشرفة في اليوم الثـانـي عشر من شـهـر شـعبـان
 ١٣٤٠ وبـارـشـاد رـؤـسـاء الـدـين الـعـلـماء وبنـاءـاً عـلـىـ ما أـوـقـعـهـ الخـوارـجـ الـاخـوانـ
 بـأـخـوانـاـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ الـافـعـالـ الـوـحـشـيـةـ مـنـ القـتـلـ وـالـسـلـبـ وـالـنـهـبـ ،ـ فـقـدـ
 تـعـاهـدـنـاـ وـتـعـاقـدـنـاـ وـاتـقـفـتـ كـلـمـتـنـاـ بـحـيثـ لـاـ يـخـالـفـ بـعـضـنـاـ بـعـضـاـ فـيـماـ تـقـضـيـهـ
 مـصـلـحـةـ بـلـادـنـاـ وـحـفـظـ الـمـشـاـهـدـ الـمـقـدـسـةـ وـقـبـورـ الـأـوـلـيـاءـ فـقـرـنـاـ مـدـافـعـةـ الـخـوارـجـ
 الـاخـوانـ وـمـقـاتـلـهـمـ بـمـعـاضـدـةـ جـيشـ مـلـيـكـنـاـ النـظـامـيـ بـكـلـ مـاـ فـيـ وـسـعـنـاـ وـاسـطـاعـتـنـاـ
 وـاتـخـاذـ التـدـابـيرـ الـلـازـمـةـ ،ـ وـبـنـاءـاـ عـلـىـ تـعـلـقـنـاـ بـعـرـشـ جـلـالـةـ مـلـيـكـنـاـ الـعـمـمـ فـيـصـلـ
 الـأـوـلـ دـامـتـ شـوـكـتـهـ فـأـمـرـ كـيـفـيـةـ دـفـاعـ الـخـوارـجـ الـاخـوانـ وـمـقـاتـلـهـمـ وـعـدـ
 الـمـدـافـعـينـ مـنـ الـقـبـائـلـ وـسـلـاحـهـمـ وـاعـاشـتـهـمـ وـمـكـانـهـمـ وـزـمـانـهـمـ وـتـنـظـيمـهـمـ عـائـدـ
 لـأـرـادـةـ صـاحـبـ الـجـلـالـةـ مـلـيـكـنـاـ وـتـدـبـيرـهـ الصـائبـ غـيرـ أـنـاـ نـطـبـ اـسـتـرـدـادـ الـأـمـوـالـ
 الـمـنـهـوـبـةـ وـتـأـديـةـ دـيـاتـ قـتـلـانـاـ الـتـىـ سـفـكـتـ دـمـائـهـ ظـلـيـاـ وـعـدـوـانـاـ .ـ وـقـدـ نـظـمـنـاـ
 بـذـلـكـ نـسـختـيـنـ قـدـمـنـاـ وـاحـدـةـ لـعـرـضـهـاـ لـاعـتـابـ صـاحـبـ الـجـلـالـةـ وـالـثـانـيـةـ تـبـقـىـ
 تـحـتـ اـشـرـافـ الـعـلـماءـ الـاعـلـامـ وـالـلـهـ الـمـسـتـعـانـ (٦٨) .

وفي صباح ١٣ نيسان ، وهو يوافق منتصف شـعبـانـ ، انعقد الاجتماع
 النهائي في دار الشـيرـازـيـ ، وـكـانـ اـجـتـمـاعـاـ عـامـاـ كـبـيرـاـ .ـ فـأـقـتـحـمـ جـعـفـرـ أـبـوـ
 التـنـ حـيـثـ قـرـأـ بـرـقـيـةـ وـصـلـتـ مـنـ الـمـلـكـ فيـ شـكـرـ الـقـائـمـينـ بـالـمـؤـتـمـرـ ،ـ فـوـقـفـ
 الـحـاضـرـونـ اـحـتـرـاماـ لـهـ .ـ ثـمـ أـلـقـىـ أـبـوـ التـنـ خـطـابـاـ أـثـنـيـاـ فـيـ عـلـمـاءـ الـدـينـ
 لـنـتـائـيـهـ بـأـمـرـ سـلـامـةـ الـبـلـادـ وـبـسـطـ فـيـ الـفـطـائـمـ الـتـىـ اـقـرـفـهـ الـاخـوانـ فـيـ
 الـحـجـازـ وـالـعـرـاقـ ،ـ وـخـتـمـ خـطـابـهـ بـالـدـعـاءـ لـلـمـلـكـ وـلـعـلـمـاءـ الـدـينـ وـالـبـنـاءـ عـلـىـ
 أـعـضـاءـ الـمـؤـتـمـرـ .ـ ثـمـ انـفـضـ الـمـؤـتـمـرـ قـيـلـ الـظـهـرـ (٦٩) .

(٦٨) جـريـدةـ «ـالـعـرـاقـ»ـ -ـ فـيـ عـدـدـهـ الصـادـرـ فـيـ ١٥ـ نـيـسـانـ ١٩٢٢ـ .ـ

(٦٩) محمدـ المـهـدىـ الـبـصـيرـ (ـالـمـصـدرـ السـابـقـ)ـ -ـ جـ ٢ـ صـ ٣٩٦ـ -ـ ٣٩٨ـ .ـ

وما يلفت النظر انه فى الوقت الذى كان فيه المؤتمر منعقدا خرجت جريدة « العراق » وفيها خبر مفاده ان جعفر أبو التمن مرشح لوزارة التجارة^(٧٠) . وفي ١٥ نيسان صدرت الارادة الملكية باسناد الوزارة الى أبو التمن فعلا . ويعلق غريفز على ذلك قائلا : إن تعيين أبو التمن كان بمثابة ترضية من النقيب للمطرفين^(٧١) .

ولكننا يجب ان لا ننسى في هذا الصدد ان دخوله أبو التمن في الوزارة أعقبه بعد تسعه ايام دخول رجل آخر يعد مناقضا له في موقفه السياسي ، هو عبدالحسن السعدون . فقد أنسنت الى السعدون وزارة العدالة . وقد لعب هذا الرجل فيما بعد دورا مهما جدا في السياسة العراقية المؤيدة للإنكليز . كما سأتأتي اليه تفصيل في الفصل القادم .

الرؤساء المشقون :

كان مؤتمر كربلاء في ظاهره هادئا غير أنه في الحقيقة لم يكن كما يبدو في الظاهر ، فقد حصل انشقاق بين رؤساء العشائر في أثناء المؤتمر حيث امتنع بعضهم عن توقيع المضابط وكان على رأسهم عدائي الجريان رئيس أبو سلطان ، ورشيد العزيزان رئيس عشيرة اليسار ، وعمران الزنبوور رئيس بنى عجيل ، وشمران الجلوب رئيس آل قتلة الهندية ، ومراد الخليل رئيس الجبور^(٧٢) .

وقد اجتمع هؤلاء المشقون في الجلة عقب انفصال مؤتمر كربلاء ، وقرروا تنظيم مضيطة مضادة للمضابط المؤتمر يبحثون فيها على تدخل علماء الدين في أمور السياسية ويعلنون تمكّهم بالاتداب البريطاني . وقد اتصل ثلاثة منهم بعلي السليمان رئيس الدليم ، فقال لهم انه سوف يذهب

(٧٠) جريدة « العراق » – في عددها الصادر في ١٢ نيسان ١٩٢٢ .

(71) Graves (op. cit.) - p. 810.

(72) جريدة « العراق » – في عددها الصادر في ١٧ نيسان ١٩٢٢ .

الى بغداد لمقابلة كوكس والحصول على رأيه في هذا الموضوع وطلب منهم
ملاقاته في بغداد .

وفي ١٩ نيسان وصل علي السليمان الى بغداد وقابل كوكس ليسأله
عن رأيه في أمر تنظيم العريضة المضادة ، فنصحه كوكس بأن
لا يفعلوا ذلك حيث قال ان أية مضبطة تصدر منهم بعد التشاور معه
سيعتبرها الناس دسيسة بريطانية وتكون اذن بلا فائدة . وأرتأى كوكس
أن من الأفضل لهم أن يذهبوا لمقابلة الملك ويوضحوا له الاخطار التي
يقوده المطربون اليها ويقودون البلاد معه .

وفي ٢٣ نيسان ذهب علي السليمان ومعه أربعون من رؤساء العشائر
ل مقابلة الملك . وأخذوا يتتحدثون اليه بما أوصاهم به كوكس فذكروا له
بعبارات واضحة انهم لم يقسموا بالولاء له الا بشرط أن يصنفي للنصائح
البريطانية . وفي اليوم التالي ذهبوا جميعا لمقابلة النقيب ، وقد جذب لهم
النقيب تنظيم المضبطة المضادة وشجعهم عليها . فقرروا الأخذ برأيه ،
ونظموا مضبطة طويلة ملأوها بالشتائم على المؤتمر وعلى القائمين به .
وهذا نصها :

« كنا قد دعينا الى الاجتماع في كربلا المشرفة الذي كان ميعاده من
يوم ١١ الى ١٤ شعبان ١٣٤٠ فللينا الدعوة . وبعد أن اجتمعنا بحجة
الاسلام الشیخ مهدي الخالصی واطلعتنا على الورقة التي يراد توقيعها
فوجدنا ان تلك المطالیب المدرجة فيها لا فائدة منها للحكومة والبلاد ولمن
من وراء الستار أن نوایا الذين وقعوا تلك الورقة هي نوایا مضره بمصالح
الحكومة العراقية وجالبة للويارات والمصائب على هذه البلاد كما جربنا ذلك
من قبل . ومن حيث انا في بادئ الأمر كنا باياعنا سیدنا المقدى جلالـة
الملك فيصل الاول بصورة معروفة وشرائط معلومة مما لا يتزلزل أبدا
لذلك رفضنا الاشتراك بتوقيع تلك الورقة حفظا لهذه البلاد وشرف

الحكومة العراقية من القلاقل والمشاغب التي تؤول الى الخراب والدمار . ولقد اجتمعنا نحن الموقعين أدناه رؤساء قبائل العراق وبحثنا فيما يسعد هذا الوطن ويدعم أركان حكومته ويجلب الخير والرّفاه والاطمئنان لاهل البلاد والبادية من سكانه فرأينا ذلك منحصرا في المواد الآتية :

(١) من حيث ان حكومتنا العراقية هي الان في الدور الابدايى ومحتجة الى من يمد اليها يد المساعدة ماديا وأديما فالى أن تبلغ درجة الكمال والاستفناه عن الغير يجب أن يطلب من حكومة بريطانيا المتدببة من قبل عصبة الأمم على العراق كل المساعدات المطلوبة والتي يتوقف عليها توسيع اركان حكومة العراق كحفظ النظام وتوسيع الامن واعمار البلاد ويجب أن يعتمد عليها كصديق مخلص للبلاد وأهل البلاد .

(٢) من حيث أن أغلب رجال هيئة الحكومة الحاضرة ليسوا من العرب الخلص الذين تشكل منهم اكثريه العراق الساحقة وليس لهم تجربة ولا علم في شؤون البلاد وأحوال العباد بل هم لغيف من عناصر مختلفة لا يمكن أن تتق العشائر بهم أو تضع اعتمادها فيهم يجب أن يستبدلوا برجال البلاد المعروفين الذين يمكن أن يوثق بهم ويعتمد عليهم وتخلوهم في هذه البلاد مراكز اجتماعية خاصة بين العشائر .

(٣) اذا تم تشكيل هيئة الحكومة العراقية من الذين مر وصفهم في المادة الثانية يجب تشكيل مؤتمر عراقي يبت شكل الحكومة ونوع الادارة في هذه البلاد .

بناء عليه نسترحم الاسراع في تطبيق هذه المواد الثلاثة لتهاً الافكار وطمئن القلوب والله الموفق للإصلاح^(٧٣) .

(٧٣) عثرت على هذه الوثيقة من بين وثائق البلاط الملكي وهي مكتوبة على ورقة مفردة خالية من التاريخ والتواقيع . ومن الواضح أنها ليست المضبطة الأصلية بل هي نسخة عنها كتبت لتحفظ في وثائق البلاط في حينه .

وبعد تنظيم هذه المضبطة اعرضوها على كوكس فنصحهم بعدم تقديمها على أساس ان موقفهم معروف وقد حقق الاثر المطلوب . وكان كوكس يخشى أن يؤدي تقديم هذه المضبطة الى تنظيم مضابط مضادة من قبل خصومهم . الواقع ان ما كان يخشاه كوكس قد حصل فعلا . فان أفراد بعض العشائر التابعين لاصحاب المضبطة بدأوا ينظمون مضابط يعلنون فيها أنهم لا يتصرفون بروسائلهم الحالين وانهم يريدون اختيار رؤساء غيرهم . وأرسل هؤلاء الأفراد مضابطهم الى الخالصي بنسختين لكي يحتفظ الخالصي بنسخة منها ويقدم الأخرى الى الحكومة (٧٤) .

وفي الوقت نفسه وصل الى الحلة السيد جعفر أبو طييخ ومعه عدد من رؤساء العزاء للتوقيع على المضبطة الأولى المعادية للمؤتمر . وصرح السيد جعفر ان جميع عشائر الشامية يقفون وراءهم باستثناء السيد نور الياسري وأبن عميه السيد علوان وعبد الواحد الحاج سكر ، وان سالم الخيون وخيون العيد وبعض رؤساء المتنفق يؤيدونهم أيضا . ثم عقدوا اجتماعاً كبيراً في الحلة حضره مستشار اللواء حيث أبلغوه ان الفرات كله متكتل بحزم لمقاومة أي تدخل ضد الانتداب البريطاني (٧٥) .

بين كوكس وفيصل :

ان الوثائق السرية التي أمكن الحصول عليها مؤخراً تدل دلالة واضحة على ان صراعاً شديداً حدث بين كوكس والملك فيصل حول مؤتمر كربلا ، فقد كان الملك يؤيد المؤتمر كما لاحظنا، بينما كان كوكس يرتاب من المؤتمر ويخشى من عواقبه ويعتبره دسيسة من البلاشفة والاتراك لاتهارة العراقيين ضد الانكليز . ففي ٤ نيسان - أي قبل انعقاد المؤتمر بخمسة ايام - كتب كوكس الى سكرتير الملك رسالة مكتومة طويلة قال فيها ما يلي :

(٧٤) محمد المهدى البصیر (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٧٥) صالح جواد كاظم (المصدر السابق) - ص ١٨٣ .

« ان السلطات العسكرية لديها معلومات محددة مفادها ان البلاشفة والكماليين ينسقون الخطة لخلق المcause للحكومة العراقية وللسياسة البريطانية في العراق ٠٠٠ وقد تسللت قبل أيام قليلة من الوزير المفوض البريطاني في طهران نسخة من نداء موجه من النجف في ١٥ ربيع الاول - تشرين الثاني ١٩٢١ - الى الوزير المفوض الروسي وهو يتضمن تهجمها على السياسة البريطانية في العراق وعلى الملك فصل ٠٠٠ ان الخطط التركية البلاشفية كما يعلم جلاله الملك لا تزال مستمرة وهي تجري في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الحركة المبعثة من النجف بسبب غارة الاخوان على العشائر العراقية والتي استغلت التذمر العام الناتج عن تلك القارة ٠٠٠ وقد وصلتني اخبار من مصدر اعتقد أنه حسن الاطلاع مفادها أن الدفاع ضد هجمات الاخوان ليس سوى حجة ظاهرية وأنه ليس السبب الحقيقي للجتماع الذي سيحضره الشیوخ والعلماء في كربلاء ، والمظنون ان هذه الحركة هي في الواقع نتيجة ما دار في الاوساط المطلعة عن وجود تغطية في مفاوضات المعاهدة حول موضوع الاتداب ، وان في النية ترغيب الملك لحضور الاجتماع في كربلا لكي يجبروه على طلب الاستقلال التام فورا من الحكومة البريطانية . وفي حالة عدم اجابة الطلب فان المتطرفين في بغداد يؤيدهم شيوخ الفرقـت الذين شاركوا في ثورة العشرين سوف يقومون بتجمع وطني لارغام الحكومة البريطانية على ما يريدون . ومن أجل الوصول الى اهدافهم فانهم سيحاولون فى البداية الحصول على الاسلحة من السلطات البريطانية بحجـة الدفاع ضد الاخوان ٠٠٠ . ويختتم كوكس رسالته بقوله : « ان المعلومات التي تضمنتها هذه الرسالة بالإضافة الى الاتجاه العام للاستجئارات العسكرية ربما أعطت جلالـه الملك وحكومته مادة للتأمل الجدي الشـيـطـ » وخاصة بالنظر لما ذكرته الجرائد من ان ضفتـا سلطـ على جلالـه الملك المـفـسـدـ الى حضور المؤتمر الذي سيعقد في كربلا تحت رعاية الشـيـخـ جـهـنـدـيـ

الخالصي » ٠ ثم يقول كوكس : « ان مقصود هذه الرسالة ومحفوبياتها من الضروري ان تعامل بسرية ، ولكنني مع ذلك لا أمانع من ايصالها بصورة مكتومة الى الوزارة والى صاحب الفخامة رئيس الوزراء » ٠

وبعد يومين من كتابة هذه الرسالة أرسل كوكس برقة الى لندن كرر فيها ما ذكره في تلك الرسالة من كون المؤتمر من تدبير البلاشفة والاتراك ، ولكنه أضاف الى ذلك ما يدل على أنه متذر من سلوك الملك حيث قال ما نصه :

« ان كل المعلومات التي في حوزتي وحوزة المقر العام في هذا الشأن قد قدمتها الى الملك والى النقيب ، غير أن الملك ظل متمسكا برأيه في أن اهداف المؤتمر غير مصرة وانه قادر على السيطرة على المؤتمر ٠ أما النقيب فهو مضطرب بشكل لا يقل جدية عما أنا عليه من احتمال سقوط الملك في أيدي المتطرفين والشيعة ٠ وقد بذلنا أنا وكورنواليس جهداً لاقناع الملك بأن حضور المؤتمر سيكون خطأً كبيراً منه ، فوعد بأنه سيراقب التطورات في الايام القليلة القادمة قبل أن يتخذ قراره النهائي ٠ ان خوفاً حقيقياً من التطورات يوجد لدى المعتدلين ٠ ويعزو الكثيرون الحركة كلها الى الملك نفسه باعتبار أنه يتهزز الذعر من الاخوان (وهو الذعر الذي يجري استغلاله إلى أقصى حد) للحصول أولاً على دعم شعبي له في موقفه من الاتداب ، وثانياً لارغام وزرائه على الموافقة على توسيع الجيش وتوفير ما يلزم لذلك من أموال ٠ ان الملك يعترف بقيام المجاهدين بتوجيه دعوات الى شيخوخ العراق ٠ وهو لم يستشرني أو يستشير كورنواليس ناهيك عن النقيب قبل أن يساعد الحركة ٠ واعتقادي انه فعل ذلك من غير ان يدرك ندر الحركة او احتمالاتها الكاملة » ٠

وفي ١٩ نيسان أرسل كوكس الى لندن برقة أخرى هذا نصها : « ان الاجتماع فى كربلاء قد انقضى والزوار غادروا البلدة ٠ وقد اخبرتكم

قبل هذا بالنتائج السياسية للمؤتمر ، ولكن من الواضح ان المؤتمر تضمن بالإضافة الى اجتماعاته التشكيلية شيئاً كثيراً من النقاش الحاد . وعندى معلومات وافية عن هذا النقاش بالنسبة الى طبيعة العزبين اللذين حصل بينهما النقاش . ان المتطرفين والعلماء قد شعروا بالخيبة والاحق لفشلهم في اتاج الهياج الذي أرادوه من جراء ما أبداه الشيوخ من تعلق وما فرضته السلطة من قيود رسمية . ومن الناحية الاخرى كان هناك تجمع يمثل الشيوخ الذين كرهوا أن يجرهم العلماء الى السياسة مرة أخرى . يضاف الى ذلك أن هناك كثيراً من الشيوخ كانوا أقوياء بدرجة استطاعوا بها أن يربوا عن رأيهم بقوة في هذا الموضوع ويستعنوا عن المشاركة فيه . إن جزءاً كبيراً من «الهواء الساخن» يصلينا الآن من كلام العزبين وسوف لا يزول إلا بعد مضي بعض الوقت . وتدعى جرائد المتطرفين ان المؤتمر قد دعم موقف الملك كثيراً في مفاوضاته مع الانكليز حول المعايدة على أساس رفض الاتداب والحماية والحصول على الاستقلال التام . وفي الحقيقة ان هذا هو ما كان يأمله المتطرفون ، ولكنهم لم يحصلوا عليه . ومن الناحية الاخرى هناك علامات تدل على ان من نتائج مؤتمر كربلا هبوط سمعة الملك وأعوانه في نظر أولئك الذين يريدون إبقاء الاتداب . وينهي كوكس برقيته بقوله : « ظهرت عدة نظريات لتعديل هدف مؤتمر كربلا وكيف انبثت فكرته تعليلاً دقيقاً ، حيث عزت دوافعه الى البلاشة او الملك حسين أو مصطفى كمال أو غيرهم . غير أنه ليس من الصواب الاطمئنان الى أية نظرية من هذه النظريات الا بعد أن يهدأ الوضع ويستقر » .

يبدو ان الملك لم يشاً ان يستمر في صراعه مع كوكس ، ولعله خاف من العاقب ، فأخذ يظهر شيئاً من التراجع تجاه كوكس . فقد كتب كوكس في ٢٥ نيسان برقية الى لندن هذا نصها :

« ان فيصل قد تأثر كما اعتقد باتجاه الرأي العام الذي ظهر منذ مؤتمر كربلا وبموقف عدد من الشيوخ الذين تجمعوا هنا ، فاستدعاني اليوم بصورة مستعجلة لبحث الوضع العام ، وكان كورنواليس حاضرا ، وتحدث باسهاب كبير قائلا انه يشعر بان علاقاته معنا في الشهر الماضي كانت تعخللها الشكوك ، وبأن الوضع الناجم مقلق وليس مرضيا ، وأنه يشعر بان من الضروري تصفية الجو وأكذب تعلقه ببريطانيا الذي لا ينفص . وأضاف قائلا انه يدرك انه ربما ارتكب بعض الاخطاء غير أنه لم يفعل ما فعل الا وهو مقتند بأنه يسعى لانجاح السياسة. التي جاء من أجلها الى العراق بدعوة منا . وقال ان عليه ان يتذكر دائما بأننا أعزبنا عن عجزنا عن مساعدته بالأموال والقوات خارج نطاق برنامج التخفيف ، وان عليه أن يعتمد على جهوده الخاصة قدر الامكان » .

وفي ٢٩ نيسان أبلغ كوكس الى لندن مرة أخرى يقول : «لاشك أن الاحداث الأخيرة كان لها تأثير ممتاز في المعتدلين وفي تأديب فيصل معا . فقد جاء الملك اليوم لرؤيتي راجيا ان لا يحصل لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية انتطاع بأنه يعمل ضدها أو يعارض سياستها في أي حال من الاحوال ، وإذا وجد أنه قد أخذ على عاتقه مهمة ليس في مقدوره انجاحها فإنه سيعتزل الحياة في بريطانيا ، غير أنه لن يخسر صداقتنا ٠٠٠ انه أخذ يدرك الآن قوة المناصر المعتدلة ٠٠٠ وان هذا تقدم كبير ، واعتقد انه جدير بأن أبلغك به بلا تأخير » (٧٦) .

الاتفاق مع ابن سعود :

يعتبر مؤتمر كربلا فاشلا بوجه عام ولكنه مع ذلك لم يكن خاليا من بعض الفوائد للعراق . ومن هذه الفوائد أنه جعل كوكس يبذل جهده

(٧٦) نقلنا هذه البرقية وما قبلها عن وثائق دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (اف . او . ٣٧١ - ٧٧٧٠)

لتسوية النزاع بين العراق وابن سعود بشكل ينسجم مع مصلحة العراق
إلى حد غير قليل .

في أيار ١٩٢٢ - أي بعد مرور نصف شهر على مؤتمر كربلا -
عقد في المحمرة مؤتمر بتدبر من كوكس حضره وزير المواصلات
والأشغال صبيح نشأت مندوباً عن العراق ، وأحمد بن ثنيان مندوباً
عن ابن سعود ، كما حضره الميجر بورديلون سكرتير كوكس مندوباً عنه .
وفي ٥ أيار تم التوقيع على معايدة لتحديد الحدود بين الدولتين السعودية
والعراقية ، وهي المعايدة التي هررت باسم «معايدة المحمرة» .

لم يكدر ابن سعود يططلع على معايدة المحمرة حتى تار به الغضب
وأعلن أنه يرفض توقيع المعايدة بحجج أنه مندوبه في مؤتمر المحمرة كان
متواهلاً وأنه خرج عن نطاق توصياته التي أوصاه بها . وأخذ ابن سعود
يعلن تذمره من الانكليز بدعوى أنهم صاروا يميلون إلى العائلة الهاشمية
ضدال له .

كان الكاتب اللبناني المعروف أمين الريحاني في زيارة لابن سعود
في تلك الأيام ، وأخذ ابن سعود يتحدث له عن الانكليز وعلاقته بهم
حيث قال : « يظن الناس أنا نقبض من الانكليز مبالغ كبيرة من المال .
والحقيقة أنهم لم يدفعوا لنا إلا ما يسير مما تستحقه الاعمال التي قمنا بها أثناء
الحرب وبعدها . ونحن لا نختلف معهم قبل أن يخلفومنا . بينما وبينهم
عهد نحافظ عليه ولو تضررنا في أنفسنا ومصالحنا . الانكليز مديونون
لنا ، ترى الصحيح يا استاذ ، ونحن لا نطالبهم ، من العار أن نطالبهم .
ولكن ما هي سياستهم الآن ، تراهم ينزلون ويغزلون . تراهم يدسون
الدسائس علي - علي أنا صديقهم ابن سعود - أحاطوني بالاعداء .
أقاموا دواليات حولي ، ونصبوا من أعدائي ملوكاً ، وهم يبدونهم دائماً
بالمساعدات المالية والسياسية . الشريف في الحجاز ، وابنه عبدالله في شرق

الأردن ، وابنه فيصل في العراق . . . ما القصد من هذه الاعمال ؟ وما الداعي إليها ؟ أنا ابن سعود صديق الانكليز وهم في سياستهم الشريفية يعاملوني معاملة العدو . . . من هو ابن سعود في نظر الشريف وأولاده هو الجلف الكافر الخارجي . ترى الصحيح يا حضرة الاستاذ . قد قالوا ذلك . بل قالوا أكثر من ذلك . وهم مع ذلك يطلبون مني أن أحمل على الفرنسيين في سوريا لآخر جهم منها . ترى الصحيح » . وعند وصول ابن سعود في كلامه الى هذه النقطة نادى أحد كتابه وأمره أن يحضر بعض أعداد جريدة «القبلة» التي كان الملك حسين يصدرها في مكة يومذاك ، وكانت تحتوي على مقالات كلها مطاعن في ابن سعود وتطلاق عليه لقب بـ «الجلف الخارجي» . ثم عاد ابن سعود الى الكلام فقال : « لا نسلم بذرة من حقوقنا ، ولكننا لا نقول في أعدائنا ما يقولون فينا ، ولا نطلب غير ما كان لأبائنا وأجدادنا من قبلنا . لعلم ذلك الانكليز . . . ولعلم ذلك الشريف وأولاده . . . »^(٧٧)

طلب كوكس من ابن سعود الاجتماع للنظر من جديد في معاهدة الحمرة ، وتقرر أن يكون الاجتماع في «العقير» وهو موضع للكمرك على ساحل الخليج العربي مقابل البحرين . وقد وصل كوكس الى هناك في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٢ ومعه حاشية مؤلفة من ضييع نشأت وزيمر المواصلات والأشغال ، وفهد الهذال رئيسعشيرة عنزة ، والميجر سور القنصل البريطاني في الكويت ، والميجر ديكسون الوكيل السياسي البريطاني في البحرين .

بدأت المفاوضات بين الفريقين في اليوم التالي ، واستمرت ستة أيام ، وكان ابن سعود يصر على أن تكون حدوده عند نهر الفرات ، بينما كان ضييع نشأت يريد أن يجعل الحدود على بعد مائة ميل الى الجنوب

(٧٧) أمين الريحاني (ملوك العرب) - بيروت ١٩٥١ - ج ١ ص ٦١-٦٢

من الفرات . وحاول كوكس ان يوفق بين المطلعين غير أن ابن سعود كان متصلبا في موقفه لا يتزحزح . وفي اليوم الاخير من المفاوضات نفذ صبر كوكس من تصلب ابن سعود وظهر الغضب عليه ، وحين رأى ابن سعود ذلك غير موقفه فجأة ووافق على ما كان يريده كوكس منه . يروي الميجر ديكسون ما جرى في اليوم الاخير من المفاوضات فقال ما نصه :

« وفي التيجنة عندما حصل الاجتماع الاخير لم يكن حاضرا سوى كوكس وابن سعود والميجر مور وأنا . وقد اشتد غضب كوكس على ابن سعود واصفا موقفه بالطفولي ، فشاهدنا منظرا عجيبا من ابن سعود حين وبخه كوكس . ان ابن سعود كان ينهار وأخذ يتكلم بشكل متير للشقة قائلا : ان كوكس هو الذي خلقه ورفه الى هذه المكانة التي هو فيها ، وانه سوف يتنازل عن نصف مملكته اذا أمر كوكس بذلك . وعند هذا تم الاتفاق على الحدود الموجودة حاليا . انها الحدود التي قام برسمها فعلا السر برسي كوكس نفسه ٠٠٠ »^(٧٨) .

كانت الحدود التي اتفقا عليها تتضمن بقعة حددت بشكل معين ، كأنها قطعة لوزينج أو بقلاء ، وتبلغ مساحتها ما يزيد على سبعة الاف كيلومتر مربع قليلا ، وقد عرفت فيما بعد دوليا باسم «البقلاء» ويقال ان صيغ نسأت هو الذي أطلق عليها هذا الاسم . وهي بقعة ذات أهمية كبيرة للقبائل العراقية والتجديبة لأنها تضم آبارا جيدة ، فكان الاتفاق عليها أن تكون محايدة حيث يجوز للقبائل من كلا الجانين ارتياها^(٧٩) . فأصبحت بذلك «قطعة بقلاء للجميع» - على حد تعبير أمين الريحياني^(٨٠) .

(٧٨) Graves (op. cit.) - p. 322 - 323.

(٧٩) صادق حسن السوداني (العلاقات العراقية السعودية) - رسالة جامعية غير مطبوعة - ص ١٢٥ .

(٨٠) أمين الريحياني (نجد الحديث وملحقاته) - بيروت ١٩٥٤ - ص ٣١٣ .

وبهذا حُلت مشكلة كانت تعتبر من أهم الأسباب التي تثير النزاع على الحدود بين الدولتين ٠

ويروى أن تحديد الحدود بتلك الصورة ترك شعوراً مريضاً في قلب ابن سعود ، فطلب مقابلة كوكس على انفراد ، فجاء كوكس إليه ومه ديكسون ، وأخذ ابن سعود يخاطبه بصوت كثيف قائلاً : « لقد وقت بك ولكنك حرمتي من نصف مملكتي ، والأفضل أن تأخذها كلها وتدعني أذهب إلى المنفى » ٠ وحين كان ابن سعود يتكلم كان الدمع يكاد ينفجر من عينيه . فتأثر كوكس من هذا المنظر وأمسك يد ابن سعود وقال له : « أني أدرك مدى تأثرك ، ولهذا السبب أعطيتك ثلثي مساحة الكويت ، ولست أدرى كيف سيتلقى ابن صباح هذه الصدمة » ١٨١ ٠

معنى هذا أن كوكس أخذ من ابن سعود ليعطي العراق ، ثم أخذ من الكويت ليعطي ابن سعود . ويقال أن أمير الكويت عاتب كوكس بعدئذ على مافعل معه ، فأجابه كوكس : « انه في تلك المناسبة السياسية كان السيف أقوى من القلم وأنه لو لم يسلم تلك الاراضي لابن سعود لكان بكل تأكيد أخذها وربما أخذ أكثر منها بقوة السلاح ، واني قد ارضيت جارك القوي وزرعت في نفسه شعوراً ودياً تجاه الكويت » ٠ فقال له أمير الكويت : « اذا كان الامر كذلك فاذا توفي ابن سعود في يوم من الايام وأصبحت انا قوياً كجدي مبارك فهل تمانع الحكومة البريطانية اذا رفضت خط الحدود هذا غير العادل واستعدت الاراضي التي فقدتها ؟ » فضحك كوكس وقال : « كلا وليارك الله جهودك » ١٨٢ ٠

(١٨١) حسين خلف الشیخ خزعل (تاريخ الكويت السياسي) - بيروت ١٩٧٠ - ج ٥ - ص ١٤٤ ٠

(١٨٢) المصدر السابق - ج ٥ ص ١٤٦ ٠

الفصل الرابع

الصراع بين كوكس وفيصل

رأينا في الفصل الماضي بعض مظاهر الصراع بين كوكس والملك ففصل حول تشكيل الوزارة وحول غارة «الاخوان» ومؤتمر كربلا الواقع ان الصراع بين الرجلين لم يقف عند حد معين بل كان مستمرا يعتمد تارة ويلتهب تارة أخرى . وكانت هناك اسباب متعددة تعمل عسل لتأثره من جديد كلما مال الى الخنود .

للحظ هذا الصراع بوضوح في منطقة الفرات الاوسط ، فقد كانت هذه المنطقة ذات أهمية خاصة بالنسبة للملك وللانكليز في آن واحد . فهي موطن ثورة العشرين وكانت عشائرها منقسمة الى فريقين متخاصمين : موالية للانكليز ومعارضة لهم . وكان الملك يتوجب للعشائر المعارضة ويقرب رؤسائها اليه و يجعلهم من مستشاريه وأعوانه . فكان ذلك ينفيض كوكس ويجعله دائم التذمر من الملك .

كان الملك حريرا على تعيين موظفين في الفرات الاوسط يسيرون على خطته في تقويم العشائر المعارضة ومساعدتهم . ففي منتصف تشرين الاول ١٩٢١تمكن من تعيين علي جودت الايوببي متصرف اللواء الحلة ، وكان هذا الرجل من الضباط الذين حاربوا مع فيصل في الحجاز وسوريا ، وحين تسلم وطيقته في الحلة أخذ يسير في ادارة اللواء سيرة ترضي الملك وتنقض الانكليز^(١) ، حيث أخذ يخابي الرؤساء الذين شاركوا في ثورة العشرين كما عين في الاقضية التابعة له قائممقامين يسيرون على خطته . وذكر الايوببي في مذكراته ان الشيخ مهدي الخالصي كان راضيا عنه وعن سلوكه في

(١) يوسف كركوش الحلي (تاريخ الحلة) - النجف - ١٩٦٥ - ج ١ ص ١٨٠

ادارة اللواء حتى أنه كتب له كتابا يشكره فيه . وقد نشر الايوبي فسي مذكراته صورة زنگنرا فية لكتاب الحالصي للتدليل على أنه كان في ذلك الوقت من الوطنيين .^(٢)

وقد حاول الملك أن يعين للواء كربلا متصرفا من طراز الايوبي ولكنه لم يوفق . فقد كان حميد خان يومذاك متصرفا في كربلا ، وهو رجل يحبه الانكليز ، فعزز له الملك وعيّن في مكانه رجلا من أعوانه اسمه الحاج سليم . ولكن هذا الرجل لم يكُن يصل إلى كربلا حتى لحق به رجل مرسلا من كوكس وأعاده إلى بغداد . فأحدث ذلك توترا شديدا بين الملك وكوكس . وقد توسط النقيب بينهما فاقترح حلّا وسطا هو تعيين عبد العزيز القصاب في كربلا بدلا من حميد خان أو الحاج سليم^(٣) . وكان القصاب حينذاك متصرفا في الكوت فانتقل إلى كربلا ووصلها في أوائل شباط ١٩٢٢ وسار فيها سيرة حيادية قيل عنها أنها لا ترضي الملك ولا تقضي المتذوب السامي .

مشكلة المعاهدة :

كانت المعاهدة أكبر سبب للصراع بين فيصل وكوكس ، ومن الممكن القول أنها كانت وراء جميع مظاهر الصراع بين الرجلين على وجه من الوجوه .

أشار كوكس في مذكرة له نشرت فيما بعد إلى مشكلة المعاهدة وكيف بدأ الخلاف حولها بينه وبين الملك ، فهو يقول انه هو الذي اقترح على الحكومة البريطانية ان تقوم العلاقة بينها وبين العراق على أساس معاهدة بدلا من الانتداب ، وذكر ان السبب الذي دعاه إلى ذلك هو أنه وجد العراقيين يتغرون من فكرة «الانتداب» ويفسروها بمعنى «الانقياد للسلطة المتبدلة» ،

(٢) على جودت (ذكريات) - بيروت ١٩٦٧ - ص ١٥٥ .

(٣) عبد العزيز القصاب (من ذكرياتي) - بيروت ١٩٦٢ - ص ٢١٧ .

وقد وافقت الحكومة البريطانية على رأيه غير أنها كانت ت يريد معايدة في حدود المقصود من الاتداب ، بينما كان الملك فيصل يريد الغاء الاتداب تماماً والتعويض عنه بمعاهدة تحالف بسيطة^(٤) .

أما الملك فقد أوضح موقفه من المعايدة في حديث له مع أمين الريحاني في وقت لاحق اذ قال له ما نصه :

ـ وعدني المستر تشرشل وعدين : أن يلغى الاتداب ، وان يعترف باستقلال العراق ـ وقد جاءنا الآن بمعاهدة طافية بذكر الاتداب وعصبة الأمم ـ فإذا كان الاتداب فيما الفائدة من المعايدة وما الغرض منها ؟ وإذا كانت المعايدة فيما الحاجة الى الاتداب ؟ غني عن البيان أن أحد الصكين غير لازم وغير مفيد ـ اننا مصرون على ما وعدنا به المستر تشرشل ، وهو ما يطلبه العراقيون ، المعتدلون منهم والمتطرفون ـ واني لازال أعتقد وأأمل أنه يبر بوعده ـ والا فالموقف حرج ، يا أخي ، حرج جداً^(٥) .

بدأت المفاوضات حول المعايدة في ٢٩ ايلول ١٩٢١ - أي بعد مرور ٣٨ يوماً على توقيع الملك - وذلك حين قدم كوكس الى الملك مسودة معايدة وصفها بأنها مسودة ليست نهائية بل هي مجرد محاولة تجريبية من أجل البدء بالتفاوضة ـ وفي ١٥ تشرين الاول وصل الى بغداد الميجير يونغ - وهو الذي عرف فيما بعد باسم السر هربرت يونغ - وكان مرسلاً من قبل الحكومة البريطانية لكي يساعد كوكس في المفاوضة ـ وأخذت مسودة المعايدة منذ ذلك الحين تتبدل مرة بـ مرة بين دار الاعتماد البريطاني ومجلس الوزراء والبلاط ، وكان الملك يحاول في كل مرة أن يجري تعديلاً على المسودة فيرجعها الى مجلس الوزراء لترجع من جديد الى دار الاعتماد ـ

(٤) كوكس ودوبيس (تكوين الحكم الوطني في العراق) - ترجمة بشير فرجو - الموصل - ص ٥٦ - ٥٨ ـ

(٥) أمين الريحاني (فيصل الاول) - بيروت ١٩٥٨ - ص ١٢٦ - ١٦٣ -

خللت المفاوضات تجاري في الخفاء دون ان يعلم الرأي العام عنها شيئاً حتى اواخر أيار ١٩٢٢ . ففي ٢٣ منه أعلن تشرشل في مجلس العموم البريطاني جواباً على سؤال وجه اليه اذ قال : « ان الملك فيصل وحكومته لم يخبرنا بريطانيا عن رفض الشعب العراقي للاتداب » . وحين نشر هذا التصريح في جرائد بغداد حدثت ضجة كبيرة في الرأي العام ، وأخذت المعارضة تحفز للعمل .

كان الوقت آنذاك في اواخر شهر رمضان ، وقد انتظرت المعارضة حلول العيد . وفي صباح ٢٨ أيار ، وهو اليوم الاول من عيد الفطر ، عقد اجتماع عام في جامع الوزير المقابل للفشلة ، فألقى فيه الخطيب الحماسية للاحتجاج على تصريح تشرشل . ثم تقرر عقد اجتماع آخر كبير في جامع العيدerek خانة عصراً . وأصدرت جريدة « الاستقلال » منشوراً تدعو الجماهير فيه الى حضور الاجتماع . وفي الوقت المعين من عصر ذلك اليوم تم عقد الاجتماع ، وخطب فيه محمد باقر الصليبي وأحمد الشيشاني داود ومهدى البصيري . وعند انتهاء الخطباء من القاء كلماتهم جرى انتداب ستة أشخاص لينبوا عن الشعب في الاحتجاج ضد تصريح تشرشل وهم : محمد الصدر ومحمد الخالصي وأحمد الشيشاني داود ومهدى البصيري وحمدى الياجوجى وياسين الهاشمى .

خرج المندوبون الستة من جامع العيدerek خانة وساروا متوجهين نحو الفشلة بنية مقابلة الملك ، وكانت الجماهير تسير خلفهم . وحين وصلوا الى الفشلة لم يجدوا الملك في مقره الرسمي . فحضر اليهم وزير الداخلية وقابلهم بلطف وبشاشة ، ثم اتصل بالملك في قصر شعبشوى طالباً تعيين موعد لمقابلة المندوبين ، فاجابه سكرتير الملك بان الملك مستعد لمقابلتهم في قصره غداً^(٦) .

(٦) منشور في جريدة « الاستقلال » الصادر في ٤ شوال ١٩٤٠ .

عقد المندوبون اجتماعاً تمهدياً في صباح اليوم التالي في بيت أحمد الشيخ داود ، ولم يختلف عنهم سوى ياسين الهاشمي اذ أرسل اليهم مذكرة صغيرة قال فيها : انه مضطر بكل أسف لاخبار زملائه بأنه لا يستطيع الاشتراك معهم في مذكراتهم وسائر مساعيهم الا انه غير مخالف لهم برأيه ومعتقده^(٧) . ومن الجدير بالذكر ان الهاشمي كان يومذاك قريب العهد بالعودة من سوريا اذ كان وصوله الى بغداد في اليوم التاسع من الشهر نفسه ، وكان قبل ذلك منعوا من العودة ولم يسمح له بها الا بعد أن ضمته القنصلية البريطانية بدمشق بأنه سيكون أميناً مخلصاً^(٨) . ولهذا فهو لم يحب أن يورط نفسه في مشكلة مع الانكليز ، ولعله آخر الابتعاد عن النشاط السياسي مؤقتاً حتى يتجلّي الموقف .

وفي الموعد المحدد ذهب المندوبون – بعد أن أصبح عددهم خمسة – مقابلة الملك فجرى بينهم حديث طويل لا نعرف عنه سوى ما ذكره اثنان من المندوبين هما مهدي البصیر ومحمد الخالصي . وقد أعطانا كل منهما صورة عن المقابلة تختلف عما أعطاها الآخر . ففي رواية البصیر : ان الملك قال انه يود أن يعلم الشعب بأنه لم يحدث حتى الآن شيء يضر بمصالح العراق وأنه ساهر كل السهر على صيانة منافع البلاد ومصالحها ، وعليه فإنه يود أن يطمئن بالشعب^(٩) . أما محمد الخالصي فيقول : اتنا طلبنا من الملك التصریح بأن العراق مستقل لا يشوبه أي تدخل أجنبی بأي اسم كان ، فأخذ يخادعنا على عادته بمهارة تفوق الحد ولكنها لم تؤثر علينا لمعرتنا بأساليب خداعه ، وقد وافق بعد الالحاح على أن نعلن رفض

(٧) محمد المهدي البصیر (تاريخ القضية العراقية) – بغداد ١٩٢٣ – ٢
ص ٤٦٢ .

(٨) سامي عبدالحافظ القيسي (ياسين الهاشمي) – رسالة جامعية غير مطبوعة – ص ٨٧ – ٩١ .

(٩) محمد المهدي البصیر (المصدر السابق) – ج ٢ ص ٤٦٣ .

الاتداب ونعلم عصبة الامم بذلك برقا (١٠) ٠٠٠

وعند خروج المندوبين من عند الملك أذاعوا بيانا نشرته جريدة «الاستقلال» قالوا فيه ان الملك لم يعمل ضد رغائب الشعب وانه ساهر على مصلحة البلاد وان الامور جارية على احسن ما يرام ، وانهم سيشارون بارسال البرقيات في رفض الاتداب الى المراكز الحرة في العالم المتمدن (١١) . ثم كتب المندوبون صورة البرقية ، وهذا نصها :

«لقد أثبتت العراقيون رغبتهم الاكيدة في الاستقلال التام ورفضهم أي اتداب كان رفصاً باتاً . وحركتهم الخطيرة سنة ١٩٢٠ أعظم شاهد على ذلك . وب المناسبة تصريح المستر تشرشل في البرلمان الانكليزي بشأن مسألة الاتداب في العراق أقام الشعب العراقي مظاهرة سلمية فوضنا فيها أن نعلن أمام مجلسكم الموقر ولدى البرلمانات الأخرى عن رأيه في رفض الاتداب . وعليه فإننا نرفض كل اتداب ونتحجج على كل قرار يعارض الاستقلال التام للعراق . التوقيع : محمد الخالصي ، السيد أحمد الداود ، السيد محمد الصدر ، حمدي بك البايججي ، محمد المهدي البصیر ، (١٢) .

حمل المندوبون هذه البرقية وذهبوا بها الى دائرة البرق لا يراقبها الى عصبة الامم وال المجالس النيابية في امريكا وبريطانيا وفرنسا و ايطاليا ، ودفعوا ١٥٠٠ روبيه اجرة لا يراقبها ، ولكن الرقابة أخرت ابراقها واتصلت بالملك تسأله هل يأذن بابراقتها أم لا . وهنا شعر الملك بأنه اصبح في موقف حرج لا يدرى كيف يخرج منه ، فهل يسمح بابراق البرقية وفي ذلك أغضاب للانكليز ، أو يمنعها وفي ذلك أغضاب للوطنيين .

كتب المسن بيل في ٦ حزيران تقول : ان البرقيات لا تزال نائمة

(١٠) نقلاب عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .

(١١) منشور جريدة « الاستقلال » الصادر في ٤ شوال ١٩٤٠ .

(١٢) محمد المهدي البصیر (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٦٤ .

في صندوق دائرة البرق ، والملك يحاول محاورة المندوبين حولها . ثم تعلق على ذلك قائلة : « آه من الملك ، الملك ! ياليته كان أكثر حزما وصلابة ! انه يضيع الآن فرصة العمر – ولكن ماذا في وسع الانسان أن يصنع ؟ » . ثم كتبت بعد يومين تقول : « اني أشعر الآن بكثير من السرور ، فلقد وافق الملك على منع البرقيات المذكورة نهايآ . ولما استأجر الحمير الخمسة – تقصد المندوبين – سيارة لارسال البرقيات الى ايسران بغية ابراقها من هناك أخبرهم الملك أن عملهم هذا سيؤدي الى أفحىضرر . فتوقفوا ، (١٣) »

مشكلة المتفق :

في الوقت الذي كان فيه الصراع يشتد حول المعاهدة كان لـ « سواء المتفق – الذي يسمى الآن بمحافظة ذي قار – في حالة شديدة من الاختصار والفوضى » وقد كان ذلك عاماً اضافياً في استفحال الخلاف بين فيصل وكوكس .

وصف التقرير البريطاني المرفوع الى عصبة الامم حالة لواء المتفق بقوله : « كانت قبائله تحتفظ بالسلاح الذي كان لديها ، وأخذت علاوة على ذلك تبذل جهدها للحصول على المزيد منه » بحيث أصبح هذا اللواء اليوم ربما من أكثر مناطق العراق تسليحاً . ولهذا أخذت القبائل تشعر بأن في مقدورها تحدي الحكومة وهو الامر الذي كانت هذه القبائل مشهورة به في العهد العثماني ، وكذلك اقتنعت القبائل ان الحكومة الجديدة من الممكن تحديها دون أن يتبع عن ذلك أي خطر . ان الحكومة في عهد الاحتلال كانت قد اتبعت طريقة في الادارة المدنية لقمع الفوضى الموروثة من العهد العثماني هي في اعادة السلطة الى شيخوخ العشائر وتدعمها بالتفوذ البريطاني من أجل تنفيذ أوامر السلطة العليا . ولكن ثورة

(13) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vil. 2; p 278-274.

ملكتنا المقدى بارسال البطل الضرعام السيد ياسين باشا الهاشمى متصرفا لنا لهلكنا عن آخرنا . فنسأله ان يوفقنا لرضائه ورضاء العلماء وطاعة ملكتنا وسيدنا . دامت شوكته ٠٠٠ الاحقر محمد حسن الشیخ حیدر^(١٨)

لم يستطع الهاشمى البقاء في لواء المتفق طويلا ، فقد اخذت العشائر الموالية للانكليز لاسمها الاذيرج والغزى والحسينيات يشتمونه سرا علينا ويطلبون اليه ترك اللواء والعودة الى بغداد . فاضطر الهاشمى ان يغادر الناصرية ليلا بعد ان اوكل امور اللواء الى قائممقام سوق الشيوخ رؤوف الكيسى^(١٩) .

وعلى اثر مغادرة الهاشمى لواء المتفق ارسل الميجر يتس الطائرات لتصف بعض العشائر المعارضة ، كما امر بالقاء القبض على عبدالهوى المتفقى وباقر الشيبى متهمًا اياهما بتدبير المظاهرات ضد سياسة . وتمكن هذا الرجالان في السجن بضعة أيام أرسلا خلالها عدة برقيات الى جرائد بقداد يحتججان فيها على اعتقالهما ، فأصدرت وزارة الداخلية أمرها بالافراج عنهما^(٢٠) .

لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل اشتد التزاع من جديد بين الميجر يتس ورؤوف الكيسى مما أدى بالحكومة الى استدعاء الكيسى الى بغداد وعزله عن وظيفته^(٢١) وقد نفذ صبر الملك مما وصلت اليه الاحوال في المتفق فأرسل الى لندن جبرايل حداد باشا ليبلغ الحكومة البريطانية شكواه بشأن الميجر يتس وبشأن القضية الكردية ايضا^(٢٢) .

(١٨) عن وثائق البلاط الملكي - رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ١٦٧ .

(١٩) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) - ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢٠) محمد الهدى البصیر (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٢١) المصدر السابق - ج ٢ ص ٤٦٧ .

(22) Graves (Sir Percy Cox) - London , second impression - p. 312

المس بيل تتكلم :

في اوائل حزيران ١٩٢٢ كتبت المس بيل رسالة طويلة بثماني عشرة صفحة الى والدها تخبره عن الوضع في العراق و موقف الملك منه . وهذه الرسالة ذات اهمية تأريخية غير قليلة لانها تمثل رأي الانكليز في الملك فيصل آنذاك . فقد كشفت الرسالة عن مبلغ الالم الشديد الذي كانت تشعر به المس بيل تجاه الملك فيصل ، فهى بعدهما احبته وساعدته على تبوء عرش العراق وجدته أخيرا يؤيد زعماء المعارضة الذين هم على حد تعبيرها أشد المطرفين دناءة . وقد شبّهت المس بيل في رسالتها الملك فيصل بالتمثال الرائع من الثلوج يذوب امام بصرها . نقل فيما يلي جزءا من تلك الرسالة المهمة ، فهى تقول :

« في الساعة الرابعة والنصف ذهبنا لتناول الشاي عند الملك ، وصمتت ان افصح له للمرة الاخيرة عن كل ما يجعل بخاطرنا تجاهه ٠٠٠ وقد بدأت الحديث معه بسؤاله له عما اذا كان هو وائقا من اخلاصى وحبي الشديد له ، فكان جوابه انه ليس لديه شك في ذلك لانه يعرف ماذا فعلت من أجله في السنة الماضية . فقلت له انى اذن استطيع ان اتكلم معه بحرية تامة وانني في غاية التعاسة ، فقد كنت قد كونت تمثالا من الثلوج جميلا فاتنا ومنحته ولائي ثم رأيت التمثال يذوب امام عيني ، وقبل أن تختفي ملامحه النبيلة فضلت أن أذهب . فأنا بالرغم من حبى للامية العربية وشعورى بالمسؤولية عن مستقبلها لا استطيع ان أتحمل رؤية احلامي تتبعر وهى الاحلام التى كنت اهتمى بها يوما بعد يوم . فقد كنت أعتقد انه لايسير الا في هدى أسمى المبادئ ولكنني رأيته أصبح ضحية لأنواع شتى من الانساعات الخبيثة ، فهو يصفى لاقوال اناس كانوا خلال الحرب قد خانوا العرب الذين تعاونوا مع الانكليز وهم غدا عندما يعود الارثراك الى العراق سيخونون الذين تعاونوا مع فيصل . وجئت له بمسألة الناصرية كمثال على ذلك وقلت له انه على خطأ في حكمه على تلك المسألة من أولها

ملكتنا المقدى بارسال البطل الضرغم السيد ياسين باشا الهاشمى متصرفاً لنا لهلكنا عن آخرنا ٠ فنسأل الله ان يوفقاً لرضائه ورضاء العلماء وطاعة ملكتنا وسيدنا . دامت شوكته ٠٠٠ الاحقر محمد حسن الشیخ حیدر (١٨)

لم يستطع الهاشمى البقاء في لواء المتفق طويلاً ، فقد اخذت العشائر الموالية للانكليز لاسمها الاذيرج والغزى والحسينيات يشتمونه سراً وعلنا ويطلبون اليه ترك اللواء والعودة الى بغداد ٠ فاضطر الهاشمى ان يغادر الناصرية ليلاً بعد ان أوكل امور اللواء الى قائممقام سوق الشيوخ رؤوف الكيسى (١٩) ٠

وعلى اثر مغادرة الهاشمى لواء المتفق أرسل الميجر يتس الطائرات لقصف بعض العشائر المعارضة ، كما أمر بالقاء القبض على عبدالمهدى المستفى وباقر الشيبى متهمًا ايامها بتدمير المظاهرات ضد سياسته ٠ ومكث هذا الرجل في السجن بضعة أيام أرسلا خلالها عدة برقىات الى جرائد بغداد يتحجج فيها على اعتقالهما ، فأصدرت وزارة الداخلية أمرها بالأفراج عنهم (٢٠) ٠

لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل اشتد النزاع من جديد بين الميجر يتس ورؤوف الكيسى مما أدى بالحكومة الى استدعاء الكيسى الى بغداد وعزله عن وظيفته (٢١) وقد نفذ صبر الملك مما وصلت اليه الاحوال في المتفق فأرسل الى لندن جبرايل حداد باشا ليبلغ الحكومة البريطانية شكواه بشأن الميجر يتس وبشأن القضية الكردية ايضاً (٢٢) ٠

(١٨) عن وثائق البلط الملكي - رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ١٦٧ ٠

(١٩) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) - ص ٢٣١ - ٢٣٢ ٠

(٢٠) محمد المهدى البصیر (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ٠

(٢١) المصدر السابق - ج ٢ ص ٤٦٧ ٠

(22) Graves (Sir Percy Cox) - London , second impression - p. 812

المس بيل تتكلم :

في اوائل حزيران ١٩٢٢ كتبت المس بيل رسالة طويلة بعشرين صفحة الى والدها تخبره عن الوضع في العراق و موقف الملك منه . وهذه الرسالة ذات اهمية تاريخية غير قليلة لانها تمثل رأي الانكليز في الملك فيصل آنذاك . فقد كشفت الرسالة عن مبلغ الالم الشديد الذي كانت تشعر به المس بيل تجاه الملك فيصل ، فهي بعدما احبته و ساعدته على تبوء عرش العراق وجدته أخيرا يؤيد زعماء المعارضة الذين هم على حد تعبيرها أشد المتطرفين دناءة . وقد شبّهت المس بيل في رسالتها الملك فيصل بالمتثال الرائع من الثلوج يذوب امام بصرها . نقل فيما يلي جزءا من تلك الرسالة المهمة ، فهي تقول :

« في الساعة الرابعة والنصف ذهبت لتناول الشاي عند الملك ، وصمنت ان أفصح له للمرة الاخيرة عن كل ما يجول بخاطري تجاهه ٠٠٠ وقد بدأت الحديث معه بسؤاله له عما اذا كان هو وائقا من اخلاصى وحيي الشديد له ، فكان جوابه أنه ليس لديه شك في ذلك لانه يعرف ماذا فعلت من أجله في السنة الماضية . فقلت له اني اذن استطيع ان اتكلّم معه بحرية تامة واني في غاية التهasse ، فقد كنت قد كونت تمثلا من الثلوج جميلا فاتنا ومنحته ولاشي ثم رأيت التمثال يذوب امام عيني ، وقبل أن تختفي ملامحه النبيلة فضلت أن أذهب . فأنا بالرغم من حبّي للامة العربية وشعورى بالمسؤولية عن مستقبلها لا استطيع ان أتحمل رؤية احلامي تتبعـر وهي الاحلام التي كنت اهتمـى بها يوما بعد يوم . فقد كنت أعتقد انه لايسير الا في هدى أسمى المبادئ ولكنـي رأيتها أصبح ضحـية لانواع شتى من الاشاعـات الخبيثـة ، فهو يصنـف لاـقوال أناس كانوا خـلال العـرب قد خـانـوا العـرب الـذين تـعاـونـوا معـ الانـكـليـز وـهمـ غـداـ عـندـماـ يـعودـ الـآـنـدـراـكـ السـيـ العـراقـ سـيـخـونـونـ الـذـيـنـ تـعاـونـواـ معـ فيـصـلـ . وجـثـتـ لهـ بـسـأـلـةـ النـاصـرـيـةـ كـمـثـالـ عـلـىـ ذـلـكـ وـقـلـتـ لـهـ اـنـهـ عـلـىـ خطـأـ فـيـ حـكـمـهـ عـلـىـ تـلـكـ المـسـأـلـةـ منـ أـوـاـلـهـ

الى آخرها . فالميجر يتس كأن أحد الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جانبي ضد ويلسون أثناء تأييده للقضية العربية ٠٠٠ وقد تبأت للملك بأن الميجر يتس سوف يستقيل من وظيفته من جراء الشكوك السيئة التي يحيطه الملك بها ، وانى سوف استقيل في اليوم نفسه لاني سوف لا أنتظر ان يقوم الانذال الذين وضع الملك ثقته فيهم بتسويد سمعى في عينه . وقد احتجت المحاورة بيتي وبينه حول هذه المسألة ، وأخذ هو يقبل يدي مرة بعد أخرى مما أدى الى ارتباكي الشديد . ثم قال ان واجبه يقضي عليه أن يطمئن الوطنين المتطرفين الذين رفضتم انتم الاعتراف بهم مرة بعد مرة . فأجبته ان هذا ليس ب صحيح فتحن لم نرفض سوى أولئك الذين يعملون لخدمة أنفسهم ، اما الذي يعمل منهم بأخلاص في سبيل الحكومة الوطنية فتحن قبلناه ورحينا به أيضا . . . خذ مثلا جعفر ابو التمن الذي كان من زعماء ثورة العشرين هو اليوم وزير ، ونحن بوجه عام ، وأنا بوجه خاص ، على صلة ودية معه . وليس من المقبول اننا سوف لانجد طريقة للعمل معهم بشرط ان الملك فيصل يؤيدنا في ذلك . وفي نهاية المقابلة حصلت على اذن منه لنشر تكذيب رسمي لما كانت الجرائد تنشره من تقارير . . . ولما أردت الخروج حاولت تقيل يده فاحتضنتي هو بحرارة . . .

وتختتم المس بيل رسالتها قائلة : ان الملك فيصل هو من أحب الناس الى القلب ائما تعوزه قوة الخلق بشكل يدعو الى الدهشة . فهو في أعماق نفسه يثق بنا على الرغم من كثرة الانحرافات التي تحرفه عن الطريق (٢٣) .

ومما يلفت النظر أنه في الوقت الذي كانت فيه المس بيل تشعر بخيالية أمل في الملك فيصل كان الكثير من زعماء المعارضة الوطنيين يشعرون بخيالية أمل فيه كذلك . يقول أمين الريحاني في ذلك : لقد أساء الناس فهم موقف

(23) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 272 - 273.

الملك فيصل في تلك الايام ، فلم ينصفه الانكليز ولا أنصفه العراقيون ، إذ قال الانكليز عنه انه انقلب عليهم بعد التوسيع ، وقبل المتطهرون من الوطنيين انه يخدم مصالح الانكليز ويعمل بأمرهم . وفي الحقيقة ان الملك فيصل لا هذا ولا ذلك ، فقد كان يريد ان يحفظ عرشه من جهة ويريد ان يحمل الانكليز على الوفاء بوعدهم دون ان يعاد لهم من الجهة الاخرى ^(٢٤) .

الوزراء والمعاهدة :

في مساء ٢٢ حزيران قدمت الصيغة النهائية للمعاهدة الى مجلس الوزراء للمصادقة عليها ، فحدثت حولها مناقشة وجدال حاد . واتهت الجلسة قبيل الساعة الثامنة مساء دون الوصول الى قرار فيها . واسرع سكرتير المجلس حسين افنان الى المس بيل في دارها في محلة السنك ليخبرها بما جرى في الجلسة . وقد سجلت المس بيل في رسالة لها ماذكره حسين افنان لها . وفيما يلي نذكر ماورد في الرسالة حول تلك الجلسة . كان أول المتكلمين في الجلسة عبدالمحسن السعدون ، وقد حض على قبول المعاهدة ، فانبى توافق الخالدى يقول ان ٩٥ بالمائة من الشعب العراقي لا يقبل بمعاهدة تتضمن مبدأ الانتداب . فوجه رئيس الوزراء الى جعفر العسكري سؤالا عن الجيش هل هو قادر على قمع الاضطرابات فى البلاد فى حالة حدوثها ، فأجاب العسكري ان ليس هناك عربي يحارب عربيا آخر . وكان جعفر ابو التمن اثناء ذلك ساكتا وكأنه كان رقيبا على زملائه الوزراء لكي ينقل اخبارهم الى رؤسائهم علماء الشيعة ولهذا كان كل واحد من الوزراء ينظر اليه بطرف عينه خوفا منه ماعدا عبدالمحسن السعدون وساسون حسقيل . وقد تكلم أبو التمن أخيرا فقال ان مجلس الوزراء لا يمكنه النظر فى المعاهدة إذ هي قضية يجب ان ينظر فيها المجلس التأسيسي ، وان السادة المقدسين وأقطاب الاسلام كلهم يعارضون المعاهدة

(٢٤) أمين الريحاني (المصدر السابق) - ص ١٢٥ .

فالحال في ذلك ساسون حسقيل قائلًا ان انتخاب المجلس التأسيسي يحتاج الى عدة اشهر ، واقتراح ان يوافق مجلس الوزراء على المعاهدة ثم ترفع بعدها الى المجلس التأسيسي للمصادقة عليها . ودامت المناقشة حول هذه النقطة ساعتين ، ثم تقرر تأجيل الجلسة الى يوم ٢٤ حزيران . ويقول السيد حسين افنان ان رئيس الوزراء التقى لم يكن قادرًا على اتخاذ أي قرار ، فقد كان مصابا بشلل ذهني (٢٥) .

كان يوم ٢٤ حزيران يوما صاخبا في بغداد ، فقد شاع بين الناس ان المعاهدة على وشك التصديق دون ان يكون فيها ذكر لالقاء الانتداب ، ولهذا أغلقت الاسواق وتشكلت وفود تمثل المهن المختلفة كالبازاريين والحدادين والتحاسين والبناليين وغيرهم (٢٦) ، وساروا بمظاهره في شارع الرشيد متوجهين نحو دار التقى الواقع على النهر قرب الباب الشرقي ، وقد أشار التقرير البريطاني الى ان المظاهره كلها كانت من تدبير الشيخ مهدي الخالصي (٢٧) .

وعند وصول الوفود المهنية الى دار التقى طلب بعضهم مقابلته ، فاذن لهم بذلك واخذوا يتكلمون امامه مظهرين احتجاجهم على المعاهدة . والظاهر انه لم يتحمل رؤية جماعة من العوام يتدخلون في شؤون السياسة والحكم ، فهذا أمر لم يتعد عليه ولم يكن يتصور انه سيقع في يوم من الايام ، فسألهم : « باسم من تتحتجون ؟ » فأجابوه « باسم البلاد » . وعند هذا لم يطق التقى صبرا فنهض من على مقعده وهز عصاه في وجوههم غاضبا متهررا حيث قال لهم : « ومن أتم لتحتجوا باسم البلاد ؟ أنا صاحب البلاد ، وأنا أعلم منكم ب حاجات البلاد وأغراضها . عودوا الى بيتكم

(25) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 276.

(26) جريدة « الاستقلال » - في عددها الصادر في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ .

(27) Report on The Administration of Iraq - 1923 - p. 18.

واشغالكم ، فخرجوا من عنده ساكتين (٢٨) .

وعند الظهر وصل الى دار النقيب وفد خاص مرسى من الشيخ مهدي الخالصي ويتألف من محمد الخالصي وعبدالحسين الجلبي ورجلين آخرين . فدعاهم النقيب الى الجلوس وصار يتسطع معهم في الحديث . وانبرى محمد الخالصي يتكلم معه حول المعاهدة وأخذ يحذره من سوء عاقبتها كما حذر من عذاب يوم القيمة ، فأجابه النقيب قائلاً : « ان رجلي قد تدلتا الى قبري ، واني على وشك الموت ، ولم يبق لي من بدني عضو يلتف بلذة من شدة الضصف » ، وهيئات أن أضع آخرتي لایام قلائل أعيشها في الدنيا غير ملتف بشيء ، فلبيثق الشيخ أبوك وليعلم كل احد اني لا امكر للإسلام ولا اكيد له » . وبعد ذلك دعاهم الى تناول طعام الغداء معه . يقول محمد الخالصي في مذكراته : انهم حين تناولوا الطعام على مائدة النقيب لاحظوا ان النقيب أكل برغم شيخوخته اكبر مما أكلوا هم الاربعة ، وانه عندما أحضر له التفاح بعد انتهاء الطعام أكل منه أكلا ذريعا يفوق ما يمكن ان يأكله الاربعة في حالة الجوع . ويعلق محمد الخالصي على ذلك قائلاً : « علمت ان الرجل يكذب في أقواله إذ ان من كان هذا اكله فهو في شغل شاغل عن الاسلام وخدمته » (٢٩) .

وعلى أي حال فقد صادق مجلس الوزراء على المعاهدة في جلسته المنعقدة في ٢٥ حزيران . ومن الانصاف ان نذكر ان النقيب ادرج في صلب المعاهدة عبارة تقضي بوجوب تصديقها من قبل المجلس التأسيسي . وقد حاول كوكس صرف النقيب عن ادراج هذه العبارة في المعاهدة غير ان أن النقيب اصر عليها وقال يخاطبه كوكس : « هذا رأيي ورأي بلدي في

(٢٨) أمين الريحياني (المصدر السابق) - ص ١٣٨ .
أمين الريحياني (ملوك العرب) - بيروت ١٩٥١ - ج ٢ ص ٣٨٥ .
(٢٩) نقل عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .

المسألة ، فليس بيني وبينكم الا الصدقة في سبيل الواجب ، ولقد قبلت ان أتحمل المسؤولية في سني هذه ، فإذا أصررت على وجهة نظركم فسأترك المقام وأدخل الى هنا - وأشار الى غرفة خاصة تؤدي بابها الى المكتبة - ولا يراني أحد بعد » (٣٠) .

كان جعفر أبو التمن غائبا عن الجلسة التي صودق فيها على المعاهدة ، ثم حضر في اليوم التالي فأبدى اعتراضا على مقدمة المعاهدة وبعض موادها لاحتوائها على ما يتضمن مبدأ الاتداب . ثم قدم استقالته وخرج . وقد حاول الملك بعدئذ اقناع النقيب بتأجيج قبول الاستقالة . ولكن النقيب اصر على قبولها . وفي ٢٩ حزيران أرسل النقيب حسين افان الى أبو التمن وهو يحمل اليه رسالة مقتضبة يقول فيها انه قبل استقالته .

اشتباكات التوتر :

في يوم ٢٦ حزيران - وهو اليوم الذي قدم أبو التمن استقالته فيه - اجتمع عدد كبير من رؤساء العشائر وزعماء المعارضة عند الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية . وقد أعلن الخالصي في اثناء الاجتماع - حسبما روت له المسن ييل في احدى رسائلها - قائلا : ان يبعثهم للملك فيصل اصبهان لاغية لانه أخل بالشروط التي تهدى بها اثناء البيعة والتي تتضمن على المحافظة على استقلال البلاد (٣١) .

وفي اليوم التالي توتر الوضع في بغداد والكاظمية ، وبلغ كوكس ان زعماء المعارضة عازمين على القيام بظاهرة كبيرة ، ودعاه ذلك الى ارسال برقية الى بو شهر يسأل فيها عن بناء السجن في جزيرة هنجام وهل هي في حالة استعداد لايواه معتقلين ؟ وقد تعمد كوكس أن يجعل خبر البرقية معروفا لكي يسمع بها الناس تثبت الخوف في قلوبهم ٠٠٠٠ (٣٢) .

(٣٠) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) - بغداد ١٩٥٥ - ج ١ ص ٤٠ .

(31) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, 275 - 277.

(32) ibid - vol. 2, p. 277.

لم تقع في ذلك اليوم اية مظاهرة مما جعل كوكس يظن ان برقته أخافت الناس ، غير ان صحف المعارضة اشتدت في حملاتها وأخذت تنشر المراءض المعادية للانتداب . وقد بلغ الانكليز ان الملك فيصل كان يدعم تلك الصحف وان اربعة من أعوانه ذهبوا الى التنجف لجمع التوقيع ضد الانتداب . يضاف الى ذلك ان الملك امتنع عن تصديق المعايدة وطالب بعض التعديل في صيغتها العربية ، وأخذ يتصل بالوزراء سرا يحثهم على التعديل .

تقول المس بيل في رسائلها التي كتبتها في تلك الآونة : ان دمها صار يغلي من جراء هذا السلوك المزدوج الذي يسير عليه الملك فيصل ، وان كوكس كان متغضلاً كذلك ويشعر بالخيبة الشديدة من الملك . ولم تطق المس بيل صبرا فقررت قطع علاقتها بالملك نهائياً ، وأخبرت نوري السعيد بذلك ، فذهب نوري بالخبر الى الملك ، فارسل الملك اليها يدعوماً لتناول الشاي معه ، ولكن المس بيل رفضت دعوته ، ثم قبلتها أخيراً بعد الحاج شديد من كورنواليس . وحين وصلت اليه استقبلها بحماس وأخذ يتحدث اليها محاولاً اقناعها بحراجة موقفه ، ولكنها جابته بقولها انها لا تصدق كلمة واحدة مما يقول . وقد استمرت المحادثة بينهما ساعتين أنهاها الملك بان احتضنها بحرارة شديدة – على حد تعبيرها . وهي تقول انها خرجت من عنده وهي متتفقة معه عاطفياً ومحظلة سياسياً . ثم تقول أخيراً : انه اذا لم يسلك الطريق الصحيح في المستقبل فسيفقد عرشه للمرة الثانية ، ولست أدرى اين يوجد له عرشاً ثالثاً^(٣٣) .

هذا الوضع نسبياً خلال شهر تموز ، ولكنه عاد الى التوتر من جديد في أواخر ذلك الشهر . ففي ٣٠ منه كتبت المس بيل ما نصه :

« كان الملك في هذا الأسبوع متيناً جداً ، فان الدعاية المضادة

(33) Ibid - vol. 2, p. 276 - 280

للاتداب التي تجري في لواء الحلة بموافقة ضميمة من الملك جملت الفرات الاوسط قريبا من آذاننا الى أقصى حد . وقد قتل احد الشيوخ الموالين لنا هناك لاسباب سياسية ، ولما اراد المستر كورنواليس اتخاذ الاجراءات الالزمه للقبض على القاتل اتهمه الملك بحضور السر برسي كوكس بأنه يقف دائما الى جانب اعدائه . وقد ابدى السر برسي دهشته من هذا القول إذ كيف يجوز لفيصل وهو ملك دستوري ان يتدخل في امور ادارية كالقبض على قتله . فأفحى الملك وأجاب بغضب انه سيترك الديوان وينذهب الى بيته . ولكنه لم يفعل ، بل بقي في الديوان مستمرا على استقبال كل الاوغاد والمسيئين ، وقد أتى سلوكه هذا رد فعل لدى الشيوخ المؤيدین للاتداب ، حيث جاؤوا الى دائرة نوري وملأوها ، وكان علي السليمان أحدهم ، وصاروا يحلفون على ان الملك يعمل على اسقاطهم . وكان الملك يتدخل أيضا في تعيينات الشرطة الى درجة كادت تؤدي الى استقالة الضباط الكبار منهم - العرب والانكليز مما - وجاء هؤلاء الى دائرة نوري لينضموا الى الشيوخ المتذمرين .

وتضيف المس بيل الى ذلك شيئاً يتعلق بنوري السعيد فتقول : « يبدو أن نوري السعيد كان وراء تعيينات الشرطة الاخيرة ، ولهذا دعوه لتناول طعام الغداء معه وطلبت منه توضيحا لما جرى . وقد استطاع نوري أن يبرئ نفسه من الامر ، فأخبرته عن سلوك الملك المتبع وقتله له ان الملك اذا ظل على سلوكه هذا فليس هناك أي ضابط بريطاني يقبل أن يخدم تحت أمرته . وقال نوري انه مستعد أن يغادر العراق غدا اذا كان ذلك نافعا . ان نوري يعلم بأن العراق لا يمكن ان يكون دولة بغير مساعدتنا ، وإذا لم يكن هو مستحقا لذلك فان ابنه او ابن ابنه سوف يرى العمل منجزا . وهذا هو الامل الذي يجعله مطمئنا » . ثم تقول المس بيل : « اني لأحب أحدا من بين جميع العراقيين - من الملك فنازا - مثلما أحب نوري . انه

ابن موظف عراقي فكيف استطاع ان يكتسب هذه البصيرة المدهشة ؟
 فهو قادر أن يفهم من نصف الكلمة . انه ادرك وجهة نظرنا ومشاعرنا حول
الحقيقة والشرف ، وجعلها أمام نظره هدفاً ومثلاً نهائياً ، وهو أمر ربما
كان من المستحيل تحقيقه في الشرق ٠٠٠ ان ثقته المطلقة باستقامتنا وحكمتنا
تجعلني أحمر خجلاً على الدوام ، ٠٠٠^(٣٤) .

اجتماع في النجف :

كانت منطقة الفرات الأوسط شديدة الحساسية لما يجري في بغداد
من صراع بين الانكليز والمعارضة . فكان كل حدث يقع في بغداد يجد له
صدى في تلك المنطقة على وجه من الوجوه .

وفي شهر آب عندما بلغ الصراع أشدّه أخذ رؤساء الفرات الأوسط
الذين شاركوا في نورة العشرين يتحفرون للقيام بثورة أخرى . يقول
كوكس : « ان منطقة الفرات على وشك القيام بثورة كانت معالمها تدل على
أنها لن تكون أقل خطورة من تلك التي كانت هذه المناصر المتطرفة نفسها
قد أثارتها سنة ١٩٢٠ »^(٣٥) .

وفي ١٢ آب حلّت زيارة عبد الغدير في النجف ، والظاهر ان رؤساء
العشائر ارادوا استغلال تلك الزيارة ، وقد لوحظ ان ازدحام الزوار في
النجف آنذاك بلغ حداً لم تشهده البلدة مثيلاً له من قبل ، حتى اضطرر
الكثير من الزوار الى النوم في الصحن الشريف ، وفي الطرقات والساحات
العامة ، وقيل ان عدد الزوار آنذاك بلغ الثلاثاء ألف^(٣٦) .

وكان وزارة الداخلية قد أحسّت بخطورة الامر فحشدت في
النجف قوة كبيرة من الشرطة ، كما أوعزت الى عبدالعزيز القصاب متصرف

(٣٤) Ibid - vol. 2, p. 285 - 286.

(٣٥) كوكس ودوبيس (المصدر السابق) - ص ٥٩ .

(٣٦) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) - ص ٢٢١ .

كرباء بالذهب بنفسه الى النجف لمرأبة الحالة ٠ وقد ذهب المتصرف الى النجف قبل الزيارة بثلاثة ايام ، ونزل في دار البلدية الواقعة عند مدخل البلدة ٠ وفي اليوم التالي وصل النجف متصرف الحلة علي جودت الايوبي ومهما قائمقام الشامية وقائمقام أبو صغير وبعض موظفي لواء الحلة ورؤساء عشائرها ٠ وتبين فيما بعد أن الملك أوعز له بذلك ٠ وقد نزل الايوبي في دار عبدالمحسن شلاش ٠٠

ولم يكدر أهل النجف يسمون بوصول الايوبي حتى هبوا للترحيب به ، وقررت هيئة مدرسة الغري أن تقيم له حفلة تكريمية في المدرسة ، وقد عارض متصرف كربلاء اقامة تلك الحفلة خشية حدوث تجمع يهدد الامن ، ثم وافق أخيرا ٠ وأقيمت الحفلة في وقتها المعين وألقيت فيها خطيب وقصائد حماسية ضد الانتداب وفي المطالبة بالاستقلال التام الناجز ٠ وفي ختام الحفلة ألقى الايوبي خطابا حماسيا ٠ وبعد مرور بعض ساعات على انتهاء الحفلة وصلت الى الايوبي برقة من وزارة الداخلية تأمره بالعودة الى الحلة فوراً (٣٧) ٠٠٠

وفي ليلة يوم الغدير - أي في مساء ١١ آب - اجتمع في دار السيد أبو الحسن الاصفهاني عدد كبير من رؤساء العشائر كان منهم عبد الواحد الحاج سكر ومحسن أبو طينخ وعادي الحسين وعلوان اليسري وشعلان ابو الجون وقاطع العوادى ٠ وأرسل الاصفهاني الى متصرف كربلاء يرجو منه الحضور الى داره ٠ وحين حضر المتصرف وجدهم جالسين فوق سطح الدار ٠ وتكلم الاصفهاني قائلا : ان السيد محسن ابو طينخ لديه أمور يود عرضها عليكم ٠ نعم تكلم أبو طينخ فقال ما يلي :

« كنت في بغداد وقد قابلت مستشار الداخلية كورنواليس وذكرت

(٣٧) على جودت (المصدر السابق) - ص ١٥٦ - ١٥٧ ٠

له أعمال المستشارين الانكليز في الالوية وضيقهم على الناس وتجبرهم
وتعسفهم وطلبت منه رفعهم من الالوية ° وبعد الكلام الطويل معه وعدني
بأنه سيزدح هؤلاء المستشارين عن مراكزهم ° وقد مضت مدة فلم ينفذ
وعده فاطلب من المتصرف أن يطلب الى الداخلية تنفيذ هذا الامر حالا ° وادا
لم يتحقق ذلك فتحن في حل مما يحدث في البلاد °

وعند انتهاء أبو طينخ من كلامه التفت الاصفهانى نحو المتصرف
يسأله : « ماذا تقول في هذا الطلب ؟ » ، فأجاب المتصرف :
« انى لا أعلم بهذا الوعد ولكن عليَّ شيء واحد هو إسؤال من
الوزارة عن هذا الموضوع وتبلغكم جوابها عن ذلك » ° فطلب الحاضرون
ان يكون الجواب غدا وانهم يتظرون به بصورة مستعجلة حتى يعملوا
اللازم ° وهنا التفت المتصرف نحو الاصفهانى شارحا له خطورة الوضع
في النجف لكثره الزوار فيها من جهة ولكثره الشرطة من الجهة الأخرى ،
وأبدى خشيته أن يحصل احتكاك يؤدي الى سفك الدماء ، ولهذا فهو يرجو
من الاصفهانى اصدار قوى بتحريم التجمعات في داخل البلدة اثناء الزيارة °
وحين سمع الاصفهانى هذا القول التفت الى الشيخ عبدالكريم الجزائري الذى
كان جالسا بجانبه وأخذ يكلمه بالفارسية ، ثم أعلن الاصفهانى موافقته
على رأى المتصرف وأوعز الى الجزائري بكتابه الفتوى ° وبعد ان تمت
كتابتها وضع الاصفهانى عليها توقيعه وناولها الى المتصرف ، فأخذها هذا
وغادر الاجتماع مسرعا لكي يعلن الفتوى على الناس بواسطة المندسين
المحلين ° وقد انتبهت الفتوى ثورتها فورا حيث لم يقع بعدئذ في النجف
أى تجمع يخل بالأمن °

وأبرق المتصرف الى وزارة الداخلية يستفسر منها عما قاله محسن
أبو طينخ في شأن المستشارين ، فعاد اليه الجواب من الوزارة ومن
كورنواليس ، وكلاهما ينفيان صدور أي وعد حول سحب المستشارين ،
وطلبت الوزارة من المتصرف تكذيب الخبر حالا °

وَجَدَ الْمُتَصْرِفُ نَفْسَهُ فِي مَوْقِفٍ دَقِيقٍ لِلْغَايَا، إِذَا هُوَ كَانَ يَخْشِى أَنْ يُؤْدِي تَكْذِيبُ الْعَبْرِ إِلَى هِيَاجِ النَّاسِ وَالْقَاءِ الْخُطُبِ وَالْقَصَائِدِ الْمُثِيرَةِ، وَقَدْ رَأَى مِنَ الْحُكْمَةِ أَنْ يَتَرَيَّثُ فِي الْأَمْرِ، وَعِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرَّؤُسَاءِ فِي دَارِ الْبَلْدَيَةِ يَطْلَبُونَ مِنْهُ الْجَوابَ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّهُ سَيَلْفَعُهُمُ الْجَوابُ قَرِيبًا، فَانْتَصَرُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكَادُوا يَخْرُجُونَ مِنْ عَنْدِهِ حَتَّى شَاعَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْمُتَصْرِفَ عَازِمٌ عَلَى الْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ، فَأَسْرَعُوا إِلَى مَقَادِرَةِ النَّجَفِ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَبُو صَحْبِرِ وَمِنْ هُنَاكَ أَبْرَقُوا إِلَى وزَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ يَشْكُونَ فِيهَا مِنَ الْمُتَصْرِفِ وَيَتَهَمُونَهُ بِأَنَّهُ أَرَادَ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَامُوا بِأَيِّ عَمَلٍ يَخْلُ بِالْآمِنِ (٣٨)، ثُمَّ ذَكَرُوا فِي بَرْقِيَّتِهِمْ أَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَزْمًا أَكِيدًا عَلَى مَقَاطِعَةِ الْحُكْمَةِ إِذَا لَمْ تَنْفَذْ مَطَالِبِهِمْ حَالًا (٣٩) .

يَقُولُ عَبْدُالْعَزِيزَ الْقَصَابُ فِي مَذَكُورَاتِهِ: إِنَّهُ فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَقْصُدْ الْقَاءَ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ كَمَا تَخْيِلُوا، بَلْ كَانَ يَنْوِي زِيَارَتِهِمْ لِتَوْضِيحِ الْأَمْرِ لَهُمْ، وَقَدْ أَرْسَلَ أَحَدَ الْخَادِمِ لِيَسْتَعْلِمَ عَنْ أَمَّاكنِ سُكُونِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَ سَمِعُوا أَنَّ الْخَادِمَ يَسْأَلُ عَنْهُمْ ظَنُوا خَطَاً أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْسَلِ اعْتِقَالِهِمْ فَرَكِبُوا سِيَارَاهُمْ وَخَيَّلُوهُمْ وَغَادُرُوا النَّجَفَ مَسْرِعِينَ (٤٠) .

استقالة الوزارة :

اَتَشَرَّدَ الاضطرابُ فِي بَعْضِ اِنْحَاءِ الْفَرَاتِ الْاَوْسَطِ، لَا سِيمَا فِي مَنْطَقَةِ أَبُو صَحْبِرِ وَالشَّامِيَّةِ، وَشَعَرَ تَوْفِيقُ الْخَالِدِيِّ وَزَيْرُ الدَّاخِلِيَّةِ بِعِجزِهِ عَنِ مَعَالِجَةِ الْمَوْقِفِ مَادَمَ الْمَلِكُ يُؤْيِدُ الْقَائِمِيْنَ بِالاضطرابِ، وَفِي ٣ آبَ قَدِمَ الْخَالِدِيُّ اسْتِقَالَتِهِ مِنَ الْوَزَارَةِ، وَحِينَ انْعَدَ مَجْلِسُ الْوَزَارَةِ فِي ٩ آبَ تَكَلَّمَ الْخَالِدِيُّ شَارِحًا سَبَبَ اسْتِقَالَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ الاضطرابَ يَعْمَلُ الْبَلَادَ مِنْ

(٣٨) عَبْدُالْعَزِيزَ الْقَصَابُ (المُصْدِرُ السَّابِقُ) - ص ٢٢٦ .

(٣٩) عَبْدُالرَّزَاقِ الْحَسَنِيِّ (تَارِيْخُ الْوَزَارَاتِ الْعَرَاقِيَّةِ) - صِيدَا ١٩٦٥ - ج ١ ص ٦٨ .

(٤٠) عَبْدُالْعَزِيزَ الْقَصَابُ (المُصْدِرُ السَّابِقُ) - ص ٢٢٥ - ٢٢٦ -

عشرة ايام وان ذلك قد أدى الى مشاجبة المتطفين واستفحال الحركة ضد سياسة الحكومة ° ثم عرض الخالدي على المجلس برقية من متصرف كربلاء وكتابا من قائممقام أبو صخير فيما ذكر ما يجري في النجف وعشائر الشامية من الخلل والارتكاب مما أدى الى ظهور الوهن في المملكة^(٤١) ° ثم ذكر الخالدي ان المتطفين يدعون ان الملك يؤيدهم في مهاجمة الحكومة^(٤٢) ، ولهذا فهو يرى ان الملك يجب ان يعلن على الناس معارضته للوزارة وتقته بها ° وقد تكلم رئيس الوزراء مؤيدا رأى الخالدي ° وبعد المداولة قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء رفع الطلب التالي الى الملك :

«بناء على ما سمع من الاشاعات التي نشرها بعض المتطفين في العاصمة والالوية ، والتي شبيت قلقا وارتكاكا في بعض الاماكن ، وما يخشى من تفاقم الامر اذا دامت الحالة على ما هي عليه الان ، يطلب مجلس الوزراء من حضرة صاحب الجلالة الملك المعلم أن يؤازر حكومته المبددة في تعشيشة الامور على ما يرومها جلالته ويرضاه ، ليظهر للشعب ان حكومة جلالته مستندة على مؤازرة جلالته»^(٤٣) °

في ١٢ آب أرسل الملك جوابه على طلب المجلس قائلا انه لا يوجد مبررا لتعديل خطته الحاضرة ° وقد دل هذا الجواب على ان الملك كان راغبا شخصيا في سقوط الوزارة على خلاف رغبة السر برسي كوكس^(٤٤) ° وعندما تلي جواب الملك في مجلس الوزراء شعر الوزراء بأنهم يجب ان يقدموا استقالاتهم ، فقدموها كلهم ماعدا واحدا منهم هو محمد علي فاضل وزير الاوقاف °

(٤١) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٨٧ °

(٤٢) Graves (op. cit.) - p. 815.

(٤٣) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٨٧ °

(٤٤) فيليب آيرلاند (العراق) - ترجمة جعفر خياط - بيروت ١٩٤٩ - ص ٢٨٠ °

كتب النقيب الى الملك يقول له بأنه امتنع عن قبول استقالة الوزراء راجيا منه تأييده في موقفه هذا واعلان تفته به وبهم . واسرع كوكس الى الملك يحثه على دعم موقف النقيب في رفض استقالة الوزراء ، وقد وافق الملك في اول الامر على ما طلبه كوكس ثم غير رأيه بعد قليل طالبا استقالة النقيب بدعوى أن بقاءه في الحكم غير دستوري بعد استقالة اثمر وزرائه^(٤٥) . وقد اضطر النقيب عند هذا الى تقديم استقالته .

أصبح الوضع في غاية الدقة ، وما زاد في دقته ان الملك أرسل الى كوكس رسالة شخصية تحتوي على ما يشبه التهديد حيث قال فيها : بالنظر الى عدم الاستقرار الموجود حاليا ، وعدم تحديد المسؤولية بينه وبين المندوب السامي في شؤون الادارة الداخلية ، فهو مضطرب ان يبين للمندوب السامي وللحكومة البريطانية بأنه في حالة وقوع ثورة في البلاد ، وهو أمر متوقع حدوثه حسب معلوماته السرية على حد تعبيره ، فإنه غير مسؤول عما يترتب عليها من مسؤولية . وطلب الملك في رسالته من المندوب السامي أن يأخذ الحكم على عاتقه ، أو يفسح له المجال في ادارة شؤون البلاد بالطريقة التي يراها مناسبة .

كان هذا بالنسبة الى كوكس فوق ما يمكن تحمله . فسود جوابا الى الملك شديد اللهجة ألقى فيه مسؤولية الاضطراب الراهن على عاتق الملك . ولكن كوكس لم يرسل هذا الجواب الى الملك ، بل أوقف اصداره لكي لا يحدث تأثيرا سلبيا على الاحتفال بيوم التتويج الذي كان قريبا^(٤٦) .

تقول المسن بيل : ان نوري السعيد ذهب الى الملك وأخبره بأنه فقد ثقة الانكليز وأنه سائر نحو الدمار ، ولكن الملك ظل سائرا في طريقه لا يرجع حتى يلعب دور الطفل الواقع الذي لا ينفع فيه اي اقتناع^(٤٧) .

(45) Graves (op. cit.) - p. 815.

(46) فيليب آيرلند (المصدر السابق) - ص ٢٨٠ .

(47) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 291.

تأسيس الأحزاب :

في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ كان مجلس الوزراء قد أصدر قانوناً أجاز فيه تأسيس الأحزاب ووضع عقوبات صارمة على أي تجمع لم تصدر به اجازة رسمية . والمنظرون أن هناك ثلاثة أسباب دعت الحكومة إلى اصدار مثل هذا القانون ، وهي :

أولاً : كانت الحكومة تخشى ان تتطور الحالة في صيف ١٩٢٢ الى مثل ما تطورت اليه في صيف ١٩٢٠ من حيث اقامة المظاهرات السياسية باسم « المواليد » النبوية و « التعازي » الحسينية ، فأرادت منع ذلك عن طريق القانون .

ثانياً : كانت الحكومة تعتقد ان مؤيديها في العراق أكثر من المعارضين لها إنما هم غير منظمين ، وهم بعد صدور القانون قد يتمكّنون من تشكيل حزب أو أحزاب خاصة بهم يتّبعون بها المعارضين او يفحّمونهم على الأقل .

ثالثاً : كان وزير المالية ساسون حسقيل قد أبدى رأياً في مجلس الوزراء هو ان الحكومة اذا منعت الناس من تأسيس الأحزاب فأنهم يلجأون الى تشكيل احزاب سرية . والظاهر ان الوزراء ، والانجليز من ورائهم ، قد اقتنعوا بصحّة هذا الرأي لاسيما وأنه صادر من ساسون الذي كان موضع ثقة الانجليز واعجابهم .

وعلى أي حال فقد تأسست في شهر آب ١٩٢٢ ثلاثة أحزاب كان اثنان منها معارضين هما جذب النهضة والحزب الوطني ، والثالث مؤيد للسلطة هو الحزب الحر .

تأسس حزب النهضة في الكاظمية في ٢ آب ، وكان اعضاء لجنته التنفيذية امين الجرجيفي وأحمد الظاهري وعبدالرسول كبة وأصف فاسم أغاثة وعبدالرزاق الازردي ومهدى البير ومحمد حسن كبة . اما الحزب

الوطني فقد تأسس في بغداد في ١٩ منه وكان أعضاء لجنته التنفيذية : جعفر أبوالثمن واحمد الشیخ داود وحمدی الباجچی ومولود مخلص وعبدالغفور البدری ومهدی البصیر وبهجهت زینل . وقد لوحظ في حينه ان حزب النہضة كان مدعوما من السيد محمد الصدر بينما كان الحزب الوطني مدعوما من الشیخ مهدی المخالصی^(٤٨) . ويقال ان التناقض التقليدي بين آل الصدر وآل المخالصی كان له أثره في تكوين ذئنک الحزبين ، ولو لا ذلك لكان الحزبان حزبا واحدا .

أما الحزب الحر فقد تأسس في بغداد بتأييد من النقب ، وكان ابنه الأكبر السيد محمود رئيسا له بينما أعضاء لجنته التنفيذية هم : جميل صدقی الزهاوى وعبدالمجيد الشاوي وفخری الجميل وحسن غصیب وداود النقب . وقد كتبت المس بیل في ١٥ آب تقول : « ان ابن النقب ، السيد محمود ، قد أصبح رئيسا لحزب مقتدى بعد الشيء الكثير من الدفع والمحث . أما القوة المحرکة الحقيقة فهي شیخ علي السليمان . وقد شكل المتطرفون حزبا لهم أيضا ولكنه حسبما سمعت عنه لم يحصل على قدم كبير . وقد جاءني علي السليمان ومعه كل شیوخ العشائر الكبار حيث جعلهم يوسمون على الانسماح لحزب السيد محمود . انهم ملأوا دائرة تسي بالأمس فوق طاقتها وأوضحوها لي أنهم مستعدون لتنظيم البلاد كلها في سبيل تأييد العلاقات الاتндائية مع بريطانيا العظمى . انه كان شيئا مدهشا هذا الفوران التلقائي في الأولوية من أجلنا ، ولكن هناك الحزب المعارض في مقدوره أن يسبب اسعة واضحة ، وربما أفتح ثورة ، ما لم نتحت الملك على ضبطهم » . وأضافت المس بیل في اليوم التالي الى ذلك تقول : « عاد شیوخ العشائر الى مواطنهم لتنظيم الفروع الحزبية في الأولوية ، وانسي سوف أرسل علي السليمان طائرا الى الرمادي . ان رجال القوة الجوية

(٤٨) محمد المهدی البصیر (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٥٠ - ٤٥١

الطيبين جهزوا طائرة خاصة لهذا الفرض لأنني ذكرت لهم أن ذلك سوف يزيد بهم مهابة وأن ذلك يوافق مصلحتنا ٠٠٠ ان المترفين يبذلون كل ما في وسعهم لانارة الفرات الاوسط ٠٠٠ ^(٤٩)

حادثة مشيرة :

عندما قدم الوزراء استقالتهم في ١٤ آب اعتبر الوطنيون ذلك نصراً لهم وأخذوا يجاهرون أمام الناس بأن وزارة وطنية سوف تخلف الوزارة التقىة قريباً برئاسة محمد الصدر وان جعفر أبو النمن وحمدي الباججي ومولود مخلص سيدخلون فيها ٠ وفي ١٩ آب نشرت جريدة «المفيد» بياناً من محمد الصدر يبحث الناس فيه على المتابرة في المطالبة بالاستقلال التام ورفض الاتداب بكل الوسائل الشروعة ٠

وفي ٢٠ آب عقد الحزبان المعارضان جلسة مشتركة برئاسة محمد الصدر ، وتلتها جلسة أخرى في اليوم التالي ، حيث قرر الحزبان المعارضان تدبير مظاهرة عامة في يوم التوسيع وتقديم عريضة الى الملك تتضمن مطالب الشعب في الاستقلال التام وتأليف وزارة وطنية من الأكفاء المخلصين ٠

وفي ٢٣ آب حل يوم التوسيع ، فجرى الاحتفال به في مقر الملك المعلم على النهر في القشلة حيث كان الملك يستقبل المهنئين فيه ٠ وعند هذا جاءت المظاهرة التي دبرها الحزبان المعارضان ، وكانت كبيرة قدر عدد المشاركون فيها بنحو عشرة آلاف ٠ فامتلأت ساحة القشلة بهم وأخذوا يهتفون بسقوط الاتداب والاستعمار ٠ ثم وقف مهدي البصير على الشرفة المطلة على الساحة فألقي خطبة حماسية باسم الحزب الوطني ، ثم أعقبه محمد حسن كبه بخطبة أخرى باسم حزب النهضة ٠

وفي الوقت الذي كان فيه البصير يلقى خطبته وصل كوكس ومعه المس بيل وأفراد حاشيته ، وحين أخذ كوكس يقصد الدرج المؤدي الى

(٤٩) Burgoynes (op. cit.) - vol. 2, p. 289-290.

قاعة استقبال الملك هتف رجل من بين المظاهرين اسمه حسون أبو الجبن (٥٠) قائلاً : « تسقط بريطانيا ! يسقط الاستعمار ! » ، وقد ردّد المظاهرون هذا الهتاف ، فظهرت علامات الارتباك على وجه كوكس وحاشيته غير أنهم استمروا في صعودهم الدرج ، ثم أدوا مراسيم التهشة كما ينبغي وعادوا من حيث أتوا .

اعتبر كوكس هذه الحادثة اهانة شديدة موجهة اليه والى دولته ، وظن أنها لم تكن قد جرت مصادفة بل كانت مدبرة من قبل أمناء الملك وخاصة رئيسهم فهمي المدرس . ويقول كوكس في تقريره الذي أرسله الى لندن عن الحادثة : أن أمناء الملك تعمدوا تعين موعد لزعماء المعارضة لكي يحضروا لتهنئة الملك قبيل حضوري ، وكذلك تعمدوا اطالة بقاءهم هناك ، فلما وصلت أخذ مهدي البصیر الذي كان من مهبيجي ثورة العشرين يلقي خطبة ناوية في اهانة الانكليز ، وهو قد فعل ذلك بتوجيه أو باذن من فهمي المدرس (٥١) .

ومن الجدير بالذكر أن أمين الريحاني روى الحادثة بشكل آخر ، فهو يقول في ذلك مانسه : « جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب وقد العززين المذكورين ومعهم جمهور من الانصار احتشدوا في فناء القصر ، فطلب الزعماء من الملك أن يأمر بعن يمثل جلالته لسماع الخطيب هناك . فأمر جلالته رئيس الامناء لينوب عنه . فخطب في الجميع خطيب الحزب الوطني ، الشاعر الفrir الشیخ مهدي البصیر ، فهیج في رئيس الامناء الشجون فانتصب خطیباً . وحق له الكلام إذ كان الملك أنابه عنه ،

(٥٠) كان هذا الرجل بقايا له دكان في سوق السراي واشتهر بحماسه في المظاهرات ، قيل انه كان يلبس في بعض الاحيان كفنا على منوان ما يفعل أهل التطهير في الموكب الحسينية للتدليل على أنه فدائي في سبيل الوطن .

(51) Elie Kedourie (Chatham House Version) - London 1970 - p. 243.

وحق له أيضا ان يبرهن على حمامة - وقيل حمامه - فيه أنسه انه موظف في البلاط ، وأن المندوب السامي لبريطانيا العظمى قادم في تلك الساعة ليهنىء جلالة الملك بعيد الجلوس ، وإن عليه واجب الاستقبال والترحيب . وقد اتفق انه بينما كان حضرة الاستاذ رئيس الامانة يخطب ضد الانتداب قبل المندوب السامي السر برسى كوكس ورجال الوكالة البريطانية لاداء التبريك فاستقبلهم الجميع صارخا : ليسقط الانتداب ! ليسقط الانكليز ! »^(٥٢) .

الواقع ان رواية الريحانى هذه لم تؤيدها الوثائق البريطانية والعرائية، وقد كذبها مهدي البصیر نفسه^(٥٣) . ومهما كان الحال فقد أرسل سكرتير المندوب السامي في صباح اليوم التالي رسالة الى الملك شديدة هذا نصها :

سعادة رئيس الديوان الملكي المحترم

نرجو أن تخبروا جلالة الملك بأن فخامة المعتمد يحتاج بعطف ضد ما لقيه من المعاملة ، في وقت كان فخامته يمثل حكومة ملك بريطانيا العظمى ، مارا بباب غرفة الاستقبال ليؤدي مراسيم التبريك ، وإن فخامته أخبر لندن بهذه الحادثة ويطلب أن يعتذر اليه وإن يعزل فهمي أفندي المدرس اذا كان هو المسؤول رسميا ، ويطلب فخامته بيانا عن الاجرامات التي ينوى جلالة الملك اتخاذها ضد الخطيئين اللذين حقراما مقام الملك بالقائهم خطبا مهيبة .

٢٤ أوكتوبر سنة ١٩٢٢ م

(٥٢) أمين الريحانى (ملوك العرب) - ج ٢ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٥٣) خيري العمري (فهمي المدرس) - في مجلة «الاقلام» - في عددها الصادر في كانون الاول ١٩٦٤ - ص ٧٩ .

(٥٤) عبدالرازق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٩٥ .

وعندما وصلت هذه الرسالة الى الملك أمر حالا بعزل فهمي المدرس من منصبه ، كما أمر سكرتيره رستم حيدر بكتابة جواب الى المنذوب السامي يبدي فيه أسفه العظيم على ما حدث ويتمهد بأنه سيعمل اللازم حسب رغبات المنذوب السامي ، ويرجو أن لا يبقى أي أثر للحادث في ذاكرته .

تشير بعض القرائن الى ان فهمي المدرس كان منذ بداية تعيينه فى البلاط يسل سرا في تأييد المعارضة ، وقد أحسن الانكليز بذلك ، ولذا رأينا كوكس يتهز فرصة المظاهرة وما جرى فيها لكي يتخلص منه . وكان فهمي المدرس يعتقد من جانبه أن رستم حيدر يختفي وراء هذه المناورة ، وظل هذا الشعور يسيطر عليه فترة من الزمن^(٥٥) .

مقابلة عجيبة :

في صباح ٢٤ آب - أي في اليوم التالي ليوم التوبيع - شعر الملك بالالم شديد في بطنه . فاستدعي بعض الاطباء لفحصه كان من بينهم أمين معلوم وسندرسن وصاحب شوكت ، فاختلفوا في تشخيص مرضه . يقول سندرسن في مذكراته : انه شخص المرض بالتهاب الزائدة الدودية بينما شخصه أمين معلوم بأنه مرض بسيط سيخف بعد قليل^(٥٦) . وقد حدثني صائب شوكت قائلا بأنه هو الذى شخص المرض بالتهاب الزائدة بينما شخصه سندرسن بأنه ملاريا .

وبعد اجراء التحاليلات المختبرية تحقق تشخيص المرض بأنه التهاب الزائدة ، وتقرر اجراء عملية جراحية للملك في قصره في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي على ان يقوم بها كبير الجراحين في المستشفى الملكي الدكتور ابراهام . وحين علم كوكس بقرار اجراء العملية للملك طلب من

(٥٥) خبرى العمري (المصدر السابق) - ص ٧٩ .

(٥٦) Sinderson (Ten Thousand and one Nights) - London 1973 - p 66 - 67.

سندرسن قائلًا : « يجب أن أرى الملك قبل العملية ، أرجوك أن تخبره أنى سأكون في القصر في الساعة السابعة والنصف » .

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي حضر إلى القصر إبراهام ومه جراح آخر أصفر منه اسمه وودمان لكي يعاونه على إجراء العملية . وقد عُهد إلى سندرسن بمهمة التخدير . ثم جاء هنا خياط مدير الصحة العام ليشهد العملية ممثلاً عن الحكومة العراقية ، كما جاء عدد من الأطباء العراقيين ليشهدوا العملية . ويقول سندرسن : إن ستة من عييد الملك المسلحين كانوا واقفين في الشرفة المطلة على النهر . ثم يعلق على ذلك قائلًا : لو حدث للملك شيء وكانت فرستنا في السجادة بعيدة جداً^(٥٧) .

وفي الساعة السابعة والنصف وصل كوكس ومعه كورنواليس ، ودخل على الملك فخرج الأطباء البريطانيون الثلاثة من الشرفة ووقفوا في الشرفة يتظرون . وهنا يواجهنا سؤال مهم : ماذا كان قد حدث كوكس من مقابلته للملك في تلك الساعة المحرجة ، وماذا جرى فيها ؟

لدينا روايتان حول تلك المقابلة ، أحدهما رواها أمين الريحاني نفلا عن الملك نفسه ، والآخر رواها المؤرخ البريطاني غريفز نفلا عن كورنواليس . وفيما يلي ننقل كلتا الروايتين لكي يتمكن القارئ من المقارنة بينهما :

يقول الريحاني : « في صباح اليوم التالي لميد الجلوس ، عندما كان الملك فيصل محاطاً بالأطباء والمرضات ، وقد أعدوا الملاضع والأدوات للجراحة ، وصل المنذوب السامي السر برسي كوكس ، فسلم وأخرج من جيه أمراً قدّمه للملك ليوقعه ، وهو أمر باعتقال سبعة من الزعماء الوطنيين وتفتيتهم من العراق ، قرأه الملك مكموداً وهز برأسه . فأناصر السر برسي عما يبرر العمل ، فيما أجاب الملك بكلمة . ولكن أحد أطباء الإنكليز تقدم

(٥٧) Ibid, p. 68.

وخطابه قائلاً : « ليس هذا الوقت ، ياحصرة المندوب مثل هذه المسائل » .
 فقال السر برسي : « المسألة ضرورية لحفظ الامن . ان البلاد في خطر » .
 فقال الطيب : « أجلها الى أن تم الجراحة ، وهي ألم لحياة جلاله المنك » .
 فيجب أن تباشرها حالاً » . فقال الملك والامر بيده يخاطب السر برسي :
 « بعد دقائق قليلة اكون بين ايدي هؤلاء الاطباء ، وقد لا اعود من غيبتي
 الى الياء . فهل تطلب مني ، يا سر برسي ، ان يكون هذا الامر آخر
 أعمالني في الدنيا ؟ هل تتضرر مني أن أنهى هؤلاء الناس ، أهل البلاد ، من
 بلادهم قبل موتي ؟ لا والله . انه غير ممكن ، غير ممكن » . قال هذا ودفع
 الامر الى المندوب السامي ، فوضعه في جيه ، وخرج من القاعة دون ان
 يقول بكلمة واحدة ^(٥٨) .

أما رواية غريفز فهذا نصها : « في ٢٥ آب كان فيصل طريح الفراش
 لاصابته بالتهاب الزائدة الدودية الحاد . فقرر أطباؤه اجراء عملية له في
 اليوم نفسه . وقبل اجراء العملية بقليل زاره كوكس مع كورنواليس
 بعد استئذان اطبائه . وشرح له ان الموقف دقيق ، وانهم وصلوا الى مفترق
 الطريق معه . وحضرة كوكس ان يترك المترفين ويلتزم جانب البريطانيين ،
 والا فعليه أن يواجه العواقب من تحالفه مع الاقلية الهدامة التي تسبى وراء
 مصالحها . وضفت كوكس على فيصل لكي يأمر بالقاء القبض على سبعة
 من قادة المحييين . فرفض فيصل . وقال انه واثق بأن هذا الاجراء سوف
 يؤدي الى قيام ثورة عامة وانه ليس في مقدوره أن يموت مع وجود هذه
 المسئولية في ضيبه . وقد استمر الملك وكوكس يتجاذلان في الموضوع
 الى أن جاء الجراح وأصر على نقل الملك الى منصة الجراحة . ولقد كان
 ذلك منظراً متأزماً مع وجود حشد من العبيد والخدم خارج القاعة وهم
 مسلحون متربعون ووجود ستة اطباء عراقيين داخل القاعة وهم يراقبون

(٥٨) أمين الريحياني (فيصل الاول) - ص ١١٨ - ١١٩ .

بعض الجراحة للا يسأء استعماله . وظل الملك متمسكاً ب موقفه إلى آخر نفس ضد الامر الذي كان يعده مأساة ،^(٥٩)

قد يلاحظ القارئ ان هناك تشابهاً بين هاتين الروايتين ، ومن الممكن ان نستنتج في ضوء هاتين الروايتين ان كوكس اراد اتهاز وقت العملية لكي يحصل من الملك على الموافقة على ضرب زعماء المعارضة والقضاء على حركتهم ، غير ان الملك فوت عليه تلك الفرصة .

ومما يلفت النظر ان كوكس لم يتطرق في تقاريره الرسمية الى ذكر ما فعله مع فيصل ، وكذلك لم تطرق المس بيل اليه في رسائلها ، وكأنهما أدركاً ما في ذلك الفعل من وضاعة فكتما ذكره . ويعلق الريحانى على ذلك قائلاً ان كوكس عمل بالكلمة العربية المعروفة وهي « ان الكريم من ستر اهاته » ، ولهذا فإنه لم يذكر تلك الحادثة في تقاريره^(٦٠) .

وعلى أي حال فإن ابراهام أسرع إلى اجراء العملية حال خروج كوكس من الغرفة ، وقام بها بما عرف عنه من دقة وبراعة . ويقول غريفز: ان حالة الزائدة كانت في وقت اجراء العملية على حافة الخطير إذ كانت اذ ذاك متفوقة وكان أي تأخير في اجراء العملية ربما يؤدي إلى الوفاة^(٦١) .

ومن العجيز بالذكر في هذا الصدد ان الناس كانوا في تلك الأونة جاهلين بما يجري ، وقد انتشرت الاشاعات المختلفة بينهم حول مرض الملك ، فمنهم من قال ان الملك ليس مريضاً ولكن الانكليز قد اضطروه إلى التظاهر بالمرض ، وقال آخرون ان الاطباء أوصوا بإجراء العملية بأي مساز من الانكليز^(٦٢) . وكتب محمد الخالصي يقول عن الملك : « انه تماض ولزم فراشه وأظهر انه على شرف الموت ، وكانت أحسن من وراء ذلك الشر

(٥٩) Graves (op. cit.) - p. 317.

(٦٠) أمين الريحانى (المصدر السابق) - ص ١١٨ .

(٦١) Graves (op. cit.) - p. 817.

(٦٢) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٩٦ .

وأعتقد ان فيصل مريض الدين والوجدان والحمىة لامريض
البدن ٠٠٠^(٦٣) .

ضرب المعارضة :

حين وجد كوكس ان الملك لا يوافقه على ضرب المعارضة قرر ان يأخذ على عاته مسؤولية ذلك . وفي ٢٦ آب نشر كوكس بيانا طويلا موجها الى « عموم اهالي العراق » ملأه بالتهديد والوعيد ، وأعقب ذلك اغلاق الحزبين المعارضين وتعطيل جريديتي « المفيد » و « الرافدان » . ولما ذهب جعفر أبو التمن وحمدي الباجchi الى دائرة التحقيقات الجنائية للاحتجاج على هذه الاعمال التعسفية كانت الشرطة في انتظارهما وألقت القبض عليهما حالا . وكذلك ألقت القبض على مهدي البصير وأمين الجرجي وعبدالرسول كبة وسامي خونده . وأبعدوا جميعا الى جزيرة هنجام . ثم أبعد من بعدهم حبيب الخيزران . ولم يفلت من الاعتقال من رجال المعارضة سوى ثلاثة هم : أحمد الشيخ داود وعبدالفغور البدرى وابراهيم حلمي العمر ، فقد اختفى الاول والثانى منهم فلم تنهما يد الشرطة ، أما الثالث فقد هرب الى ايران .

وأصدر كوكس أمره بعزل متصرف الحلة علي جودت الايوبي ، وعزل القائممقامين من اعوانه كخيرى الهنداوى وشاكر الملا حمادى ، كما أرسل الطائرات لتصف بعض العشائر كعشيرة آل قتلة في المهاوية ، وعشيرة الاقرع في عفك ، وعشيرة خفاجة في الشطرة ، وعشيرة العزة فسى المنصورية^(٦٤) .

وفي ٢٨ آب أرسل كوكس رجلا هنديا من موظفيه اسمه محمد حسين خان الكابولي الى الشيخ مهدى الخالصي والسيد حسن الصدر

(٦٣) نقل عن كتاب مخطوط للشيخ محمد الخالصي عنوانه « بطل الاسلام » .

(٦٤) عبدالرازق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٩٦ - ٩٩ .

في الكاظمية ينذرهما بوجوب سفر ولديهما الشيخ محمد والسيد محمد الى خارج العراق في خلال ٢٤ ساعة ، واذا لم يفلا ذلك فسيضطر المتذوب السامي الى اتخاذ اجراءات ضدهما لامتناب مع احترام رجال الدين . فاضطر الرجال الى الاستجابة لهذا الانذار . وقد غادر المحمدان - الخالصي والصدر - بغداد في اليوم التالي متوجهين الى ايران . وخرج الكثير من أهالي الكاظمية وبغداد لتوديعهما في محطة القطار .

وصفت المس بيل في احدى رسائلها ماقام به كوكس من ضرب المعارضة بأنه عمل جريء وانه أنقذ الموقف ، ثم قالت : ان المتطرفين قد انهارت حركتهم ، أما المعتدلون فقد رفعوا رؤوسهم عاليا ، وأخذ حزب السيد محمود الكيلاني يتضخم بشكل ملحوظ ، وهذا معناه أن مرض الملك كان مصادفة حسنة جاءت في أوانها . وتشير المس بيل بعد هذا الى ان ناجي السويفي جاء اليها وقد أعد خطة ممتازة لجمع الواقع في أنحاء البلاد من أجل توثيق العلاقات البريطانية العراقية ٠٠٠٦٥ .

موقف ياسين الهاشمي :

في الوقت الذي كان فيه الملك لايزال طريح الفراش عقب العملية الجراحية التي اجريت له ذهب ياسين الهاشمي الى المس بيل في دائرتها ليتحدث اليها حول الوضع العام ، وأخذ الهاشمي ينرم الملك على سلوكه المتقلب ويضع اللوم على الانكليز لأنهم لم يستطيعوا السيطرة عليه .

كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٣١ آب حول زيارة الهاشمي لها فقالت : أنه أبدى قلقه حول مصير البلاد ، فهو قد قرأ صيغة المعاهدة وكان رأيه ان العراق لا يستطيع ان يتوقع شروطاً أكثر تسامحاً منها ، وتساءل الهاشمي : لماذا لم يقبلها الملك ؟ ثم قال يخاطب المس بيل : « انه ذنبكم ، لماذا لم تسيطرروا عليه ، ولماذا سمحتم له بان يكون تحت تأثير أناس

(65) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 293.

يريدون أن يسيروا بنا وبه نحو الخراب ٠ فأخذت المس بيل تشرح للهاشمي كيف أنها هي وكورنواليس وكلاليتون كانوا يتسلقون الملك في محاولة لاقاعه بلا جدوى ٠ ثم تساملت المس بيل : كيف يمكن العمل مع الملك حين يكون في القضايا الحيوية متفقا مع كوكس وكورنواليس ولكنه سرعان ما يغير رأيه حال خروج ذينك الرجلين من عنده ؟ فأجابها الهاشمي : « نعم أنا أعرف ، يأتي إليه أحد الناس ، رجل من السوق ، وبكلمة واحدة يجعله يتغير مقصده » ٠ ثم قال الهاشمي : « انه الملك » ، ولكن البلاد تأتي قبله ٠ وتأخذ المس بيل بالثناء على ياسين الهاشمي وعلى قوته شخصيته وذكائه ، إذ قول مانسه :

« اني اعتقد ان ياسين هو رجل القدر ٠ فهو يملك من الذكاء والنشاط اكثر من اي عربي آخر اعرفه - ربما ليس أقوى خلقا من علي السليمان ولكنه أوسع منه معرفة بالأمور ٠ ان الملك يعرف قوته ، ويختشاها ، ولكنه لفروعه الكبير يحسب ان في مقدوره ان يخضع ياسين ويستعمله ٠ واني اعتقد ان ياسين سوف ينال الحظوة لدى الملك عن طريق التظاهر بالرضوخ له ولكنه عندما يتمكن من الموقف بصورة مؤكدة سوف يمسك الملك من رقبته ويجبره على اتخاذ السياسة التي يريد لها وعند هذا سيتلوي الملك كما تلوى الحياة ، وسوف يتقرر مصير العراق على هذا الاساس ، حيث يعيد التاريخ نفسه في العراق ، فيصبح ياسين الحكم الفعلي ويكون الملك مجرد رئيس رمزي ٠ ويعُوسني اني مضطرا الى الاعتقاد بأن هذا هو المصير الذي يليق بالملك ، فهو مغدور وضعيف وجبان ، ولن تنضج مثله الرائسة أبدا » (٦٦) ٠

يبدو من هذا القول ان المس بيل اكتشفت في ياسين الهاشمي الرجل الذي كان الانكليز يبحثون عنه والذى يستطيع ان يقف في وجه ف يصل

(66) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 295 - 296.

ويجبره على الرضوخ للسياسة التي يريدونها في العراق . فالانكليز كانوا في تلك الأيام قد نفذ صبرهم من فيصل ، وکأنهم أصبحوا فيه بين خيارين : أما أن يعزلوه ، أو يسلووه بوضع رجل قوي أمامه يتحداه ويغلب عليه . ولعلهم وجدوا في الخيار الثاني ما يريحهم دون أن يثير عليهم ضجة ، وها هو ياسين الهاشمي . قد جاء اليهم مستعداً للقيام بالدور المطلوب منه .

ومن غرائب الصدف أنه لم تمض سوى أيام قليلة على زيارة الهاشمي للمس بيل حتى وصلت إلى يدها رسالة كان الهاشمي قد أرسلها أثناء وجوده في الناصرية إلى صديق له ببغداد يشتتم الانكليز فيها ويصفهم بـ «الجاوزين»، ويدعو من الله التوفيق لطردتهم من البلاد . وقد سلم الصديق هذه الرسالة إلى مدير الأمن العام ، وسلمها هذا إلى المس بيل . وعند هذا شعرت المس بيل أن اكتشافها لم يكن صائباً وإن الهاشمي ليس بالرجل الذي يمكن الوثوق به .^(٦٧)

الملك يغير موقفه :

في ١٠ أيلول ١٩٢٢ ، على أثر شفاء الملك من مرضه جاء إليه كوكس يهنيه بالشفاء وأخذ يتحدث إليه بصرامة قائلاً له إن الحكومة البريطانية سوف لا تحمل بعد الآن اتصاله بأية حركة وطنية ولا تتساهمل في أي تأخير قد يحدث في شأن تصديق المعاهدة ، وكذلك طلب منه أن يكون ملكاً دستورياً - أي من طراز ملك بريطانيا - فيكف عن التدخل غير الضروري في شؤون الإدارة والموظفين . وقيل أن كوكس خرّ الملك بين أمرين : أما أن يعتذر مما فعل سابقاً أو يستقيل ، وقد فضل الملك الاعتذار .^(٦٨) وقيل أيضاً أن الملك اعتذر عن افعاله السابقة بأنه إنما قام بها لعدم وجود الدستور ولأن الوزارة كانت غير متجانسة ، وأنه حالاً يحصل على الدستور

(67) Ibid, vol. 2, p. 298.

(68) Gassan Attiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - p. 378.

والمعاهدة سوف يقوم بتنفيذ ما يطلب منه بطيبة خاطر (٦٩) .

وقدم كوكس الى الملك مسودة كتاب يصادق فيه على الاجراءات
القمعية التي قام بها كوكس اثناء مرضه ويشكره عليها ، وقد فعل الملك
ما أراد كوكس وهذا هو نص الكتاب :

عزيزي السر برسي

الآن وقد تم شفائي بحمد الله تعالى ، وسمح لي اطبائي ان استأنف
أشغالني في الدولة ، أرى من واجبي قبل ان أتولى هذه التبعة أن اقدم الى
فخامتكم تشكراتي القلبية ، وان أعبر لكم عن إعجابي الشديد للسياسة
الحازمة والتدابير الضرورية التي اتخذها فخامتكم ، بصفتكم ممثلا لحكومة
صاحب العجلة ، لصيانة المصالح العامة والمحافظة على النظام والامن ، اثناء
مرضي المفاجيء الذي صدف وقوعه بفترة في المدة التي تتضمن عادة بين
استقالة الوزارة وتأليف وزارة غيرها . وختاما أكرر تشكراتي الخالصة
لfxamتك على مساعدتكم الثمينة .

بشداد ١١ ايلول ١٩٢٢ م صديقكم المخلص : فيصل (٧٠)

اصبحت العلاقة بين الملك وكوكس بعد هذا ودية كما يقول
غريفرز (٧١) . ولما حان وقت النظر في أمر تشكيل وزارة جديدة كان رأي
كوكس أن يعيد النقيب تشكيلها للمرة الثالثة وان يكون أكثر أعضائها
من الذين كانوا في الوزارة النقيبة السابقة . فوافق الملك على جميع
ما طلبته كوكس منه .

وفي ٣٠ ايلول تم تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة النقيب ، وكان

(٦٩) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٢٨٣ .

(٧٠) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ٩٧ .

(71) Graves (op. cit.) - p. 323.

فيها عبدالحسين السعدون وزير الداخلية ، وساسون حسقيل وزيرا للمالية ، وتوفيق الخالدي وزيرا للمعالية ، وجعفر العسكري وزيرا للدفاع ، وصبح نشأت وزيرا للمواصلات والأشغال ، ومحمد علي فاضل وزيرا للأوقاف . وفي ١٧ تشرين الاول صدرت الارادة الملكية بتعيين عبدالحسين شلاش النجفي وزيرا للمعارف ، غير انه اعتذر عن قبول الوزارة بكثرة اشغاله التجارية . ولهذا بقى وزيرا للمعارف شاغرة^(٧٢) .

وفي ١٣ تشرين الاول نشرت المعاهدة في بغداد وهي مذيلة بتوقيع الملك . وقد أذاع الملك بلاغاً للشعب مدح فيه المعاهدة حيث وصفها بأنها بنيت على أساس المصالح المتبدلة بين العراق وبريطانيا العظمى ، وان الشعب سيقدر أهميتها بلا شك وسيزداد تمسكاً بصدقته حليقتنا الكبرى على اعتبار ان صداقتها ضرورية لصيانة استقلال هذه المملكة وتأمين تقدمها الاقتصادي والمعماري^(٧٣) .

يروي أمين الريحياني عن تلك الأيام العصيبة التي مرت بالملك ويدرك ان الملك حدثه عنها حيث قال : ان الناس كانوا قبل مرضه يأتون اليه متخصصين ويقولون له : « ارفع العلم ، ونحن رجالك » نديلك بأرواحنا » . وذكر فيصل على سبيل المثال واحداً من هؤلاء الفدائين وكان من كبار زعماء المعارضة وأشدتهم تحمساً ، غير أنه اختفى قبل أن ينفذ كوكس أمره بنفي الرعماء ، ثم عاد بعدئذ ليهنىء الملك بشفائه ، فسأل الملك : « وماذا فعلتم بالإنكليز ؟ هل عدلتم عن آخرهم من البلاد ؟ » فأجاب الرجل فوراً من غير ارتباك : « قالوا لنا إنكم اتقى أخرجتم من البلاد ، فسكننا^(٧٤) .

لعل من المناسب ان نذكر محاورة طريفة جرت بين الملك والمس

(٧٢) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٠١ .

(٧٣) جريدة «العراق» - في عددها الصادر في ١٤ تشرين الاول ١٩٢٢ .

(٧٤) أمين الريحياني (المصدر السابق) - ص ١٢٢ - ١٢٣ .

بيل حول ياسين الهاشمى في تلك الايام . فقد كان الهاشمى مرشحا لوزارة الداخلية في الوزارة الجديدة ، وكان الملك راغبا في ذلك غير ان المس بيل لم توافق عليه . وقد ذهبت المس بيل الى الملك لاقناعه ب عدم لياقة الهاشمى للوزارة ، فعرضت عليه الرسالة التى شتم الهاشمى بها الانكليز ، ثم قالت للملك ما نصه : « نحن لا يبالى اذا قال لنا أحد : اتم جائزون وأوغاد . وربما أجبناه : والله ! الله اعلم . ولكنه حين يقول كما فعل الهاشمى : اتم الوسيلة الوحيدة لإنقاذ بلادى ، ثم يكتب في الوقت نفسه يصفنا بالجور ويدعو من الله التوفيق لطردنا من البلاد ، فهذا أمر لا يمكن غفرانه » . وقد حاول الملك تبرير سلوك الهاشمى فقال للمس بيل : ان مافعله الهاشمى أمر اعتيادى في الحياة الشرقية ، فالاستعباد الذى عاناه الشعب على مدى ستة قرون جعل الفرد مضطرا ان ينافق ويصلب على العجلين لكي يحمى نفسه عن طريق المكر . حتى أنا أفعل ذلك . فنحن لم تعود على حياة الحرية لكي تكون في سلوكنا احرارا ، ومن يريد أن يسوس الشرقيين يجب ان ينظر بمنظارهم . وتقول المس بيل انها اقتنت بصحة ما قال الملك في الدفاع عن الهاشمى غير أنها ظلت مصرة على عدم اسناد أية وزارة الى الهاشمى في الوقت الحاضر . وكان رأيها ان من الجائز له ان يكون وزيرا فيما بعد ، وهي تظن انه في النهاية سوف يصل الى القمة⁽⁷⁵⁾ .

يخيل لي ان الملك فى دفاعه عن سلوك الهاشمى ائما كان يدافعان عن سلوكه هو . والظاهر ان المس بيل ادركت ذلك ، ولهذا قالت بان الهاشمى سوف يصل في النهاية الى القمة ، وكأنها أرادت ان تقول للملك انه سيصل الى القمة كما وصلت انت اليها .

(75) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 298.

الفصل الخامس

نفي الشيخ مهدي الغالصي

في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٢ أصدر عبدالمحسن السعدون بصفته وزير الداخلية أوامره الى المتصرين بالشرع بالاجراء الانتخابي للمجلس التأسيسي . وفي ٢٤ منه أعلن السعدون بلاغاً عاماً ورد في خاتمه ما نصه :

« وهنا اكرر القول وألتمس من أفراد شعبنا النجيب أن لا يحفلوا بالتمويهات والأباطيل ، التي ربما يتغاضر عليها بعض من لا تهمهم مصلحة الشعب الحقيقة ، ويوحدوا آراءهم ، ويضعوا ثقفهم بمن يتوقعون منه السعي لتحقيق رغباتهم ٠٠٠ ان القول الفصل هو للمجلس التأسيسي الذي يباشر الآن بانتخاباته ، وفق الله الجميع لما فيه خير البلاد ٠»^(١)

المعارضة الجديدة :

كان الانكليز والملك يظنون ان المعارضة قد انتهت أمرها وان الانتخابات ستجري حسب الخطة المرسومة . ثم تبين لهم في خلال أيام معدودة ان ظنهم هذا كان خطأ . فلقد ابعتـتـ المـعارـضـةـ منـ جـدـيدـ وـبـرـخـ شـدـيدـ ، وـكـانـتـ فـيـ هـذـهـ الـرـمـةـ بـزـعـامـةـ الـمـجـهـدـينـ فـيـ الكـاظـمـيـةـ وـالـنجـفـ وـفيـ مـقـدـمـتـهـ الشـيـخـ مـهـديـ الـغـالـصـيـ .

ظهرت أولى بوادر المعارضة بشكل استثناء موجه الى المجاهدين في ١٥ ربیع الاول ١٣٤١هـ ، وهو يوافق ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، وهـذا نصـهـ :

« حـضـرـاتـ عـلـمـائـنـ الـأـعـلـامـ وـحـجـجـ الـاسـلـامـ تـعـمـلـنـ اللـهـ تـعـالـىـ بـظـلـمـهـ مـدـىـ الـأـيـامـ ، بـلـفـتـنـاـ أـنـكـمـ بـمـقـضـىـ وـظـيـفـتـكـمـ الـدـيـنـيـةـ وـرـئـاسـتـكـمـ الـرـوـحـانـيـةـ حـرـمـتـمـ عـلـىـ

(١) عبدالرازاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) - ص ١٩٦٥ -
ج ١ من ١١٢ .

كافة الامة العراقية المداخلة في هذا الانتخاب وحرمت المساعدة فيه بكل وجه
وجعلتم المساعدة فيه محادنة لله ولرسوله فنسترحم أن تبينوا صحة ذلك حتى
نمثل أوامركم التي أمر الله تعالى بامتثالها أadam الله ظللكم ٠

وقد ذيل هذا الاستفتاء بأوجوبية المجتهدين الثلاثة الكبار وهي كما يلي:

« بسم الله الرحمن الرحيم - نعم قد صدر منا تحرير الانتخاب في
الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل باد وحاضر فمن دخل فيه أو ساعد
عليه فهو كمن حارب الله ورسوله وأوليائه صلوات الله عليهم أجمعين -
الأحرر أبو الحسن الموسوي الأصفهاني ٠ »

« بسم الله الرحمن الرحيم - نعم حكمنا بحرمة الانتخاب وحرمة
الدخول فيه على كافة الامة العراقية وان من دخل في هذا الأمر أو ساعد
عليه ادنى مساعدة فقد حاد الله ورسوله والأئمه الطاهرين صلوات الله
عليهم أجمعين أعاذ الله الجميع عن ذلك - الأحرر محمد حسین الغروي
التايني ٠ »

« بسم الله الرحمن الرحيم - نعم قد صدر منا الحكم بتحريم الانتخاب
على كافة الامة العراقية فمن دخل أو تدخل أو ساعد فيه فقد حاد الله
ورسوله وقد قال عز من قائل في كتابه المجيد ألم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم أعاذ الله الجميع
من ذلك - الراجي محمد مهدي الكاظمي الخراساني الخالصي عفى
عنه ٢٠ ٠ »

ولم يقف الأمر عند هذا الأمر بل صارت الفتوى يتواتي صدورها
حياناً بعد حين ، وكانت هناك عصبة من الشباب التحسني كرسوا جهودهم
على متابعة ذلك ، فكانوا يكتبون صيغة الاستفتاء ويقدمونها الى المجتهدين
ليحصلوا منهم على الفتوى المطلوبة ٠ يقول محمد مهدي كبة في مذكراته :

(٢) من وثائق البلاط الملكي - رقم الاضبارة ٣ ، رقم الوثيقة ٧٠ ٠

« كنت وجماعة من شباب الكاظمية ، ومن طلاب مدرسة الخالصي ، دائرين على العمل في كتابة صيغ الاستفتاءات ومواجهة علماء الدين واستصدار الفتاوى منهم ، واتسادب بعض الشبان لكتابتها على الاوراق والكاربون وتوزيعها بين الناس ، وارسلتها الى بغداد وغيرها من أنحاء البلاد »^(٣) .

وصار المجهدون من جانبيهم يشتدون في تحريرهم للانتخاب . فالسيد أبو الحسن الاصفهاني مثلا قال في فتوى صدرت له مؤخراً نصه : « الى اخواننا المسلمين ان هذا الانتخاب يميت الامة الاسلامية فمن انتخب بعدما علم بحرمة الانتخاب حرمت عليه زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين . هنا ما أدى اليه رأينا والله العالم بالصواب » . وأصدر الشيخ مهدي الخالصي فتوى فيها اشارة واضحة الى ما فعله كوكس من نفي وشرىيد وتصفيف بالطiarات ، والى تأييد حزب النقيب له ، وهذا نصها :

« لما كانت الانتخابات مبنية على أساس مخالف لرغائب الامة العراقية بواسطة السلطة العسكرية والحزب الحر المتسلد الذي أسس بالقهر والقوة وسد الاحزاب الموافقة لرغائب الامة وتسويق أهلها وتشتيت جمعها واصابة التخلف عن حزب الحر بالطiarات حتى قتل بقتابلها الاطفال والعجزة والابرياء والنساء وغير ذلك مما لو مات المسلم دونه أسفأ ما كان عندي ملوماً بل كان به جديراً . ان المداخلة بالانتخابات وكل ما يبتني على هذا الاساس المضر بمستقبل العراق بل بجميع شؤونه محمرة شرعاً باجماع المسلمين ونحكم بخروجه عن ربقة المسلمين . ومن الله التوفيق وهو حسبنا وهو نعم الوكيل »^(٤) .

(٣) محمد مهدي كعبه (مذكراتي في صميم الاحداث) - بيروت ١٩٦٥ - ص ٢٧ .

(٤) من وثائق البلاط الملكي - رقم التسلسل ١١٥ ، رقم الوثيقة ١ .

والملاحظ ان أكثر علماء الكاظمية ، أو كلهم تقريباً ، أيدوا الخالصي في تحرير الانتخاب . فهم قد تناعوا خلافاتهم الشخصية ومنافساتهم المحلية وصاروا جميعاً في صف واحد تجاه الحكومة . وقد وجدنا توافقهم على الفتاوي التي صدرت ، وهم السيد حسن الصدر والشيخ عبدالحسين آل ياسين والسيد محمد مهدي الصدر والشيخ مهدي المرأياني والشيخ مهدي جرموقة والسيد مهدي الخراساني والمرزا ابراهيم السلماسي والشيخ اسماعيل الأسدی والشيخ راضی الخالصی والشيخ محمد الأسدی والسيد أسدالله العيدري . وهذا دليل على قوّة المعارضـة التي ظهرت آنذاك .

وأخذ الشيخ مهدي الخالصي يجاهر بدم الملك ، ويشجب موقفه من المعاهدة ، ويصفه ناكناً بوعده الذي وعد به في بداية قدومه الى العراق . وذكر محمد مهدي كبة في مذكراته ان الخالصي أعلن في جمع حاشد في مدرسته قائلاً : « بايعنا فيصل ليكون ملكاً على العراق بشروط » ، وقد أخل بذلك الشروط ، فلم تعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أية بيعة » . فكان لهذا التصریع من الخالصي دوی في الاوساط المختلفة ، وبلغ سامع الملك فاستاء منه أشد الاستياء وأضمر له الحقد^(٥) .

السعدون يخلف النقيب :

ضاق النقيب ذرعاً بهذه المعارضـة الشديدة . التي يتزعمها المجهدون ويصولون فيها بفتاوـיהם . وكانت بعض منشورات المعارضـة تهاجم النقيب شخصياً وتصفه بأنه مرتد عن الاسلام . ونظم الشاعر الشعبي المعروف عبد الكرخي قصيدة في ذم النقيب تداولتها الافواه ولاسيما هذين الـيتين منها :

يـانـقـيـب وـيـانـقـيـب	عـجـبـ ماـعـنـدـكـ صـحـيـبـ
ـمـنـ عـفـتـ جـدـكـ مـحـمـدـ	ـصـارـ لـكـ كـوـكـسـ حـيـبـ

(٥) محمد مهدي كبة (المصدر السابق) - ص ٢٦ .

ويروي أمين الريحياني انه زار النقيب في تلك الفترة فوجده غاضباً مضطرباً، وقد قال له النقيب مانصه : « في البلاد وطنيون كثيرون ، وكلهم رجال سياسة ، ولكن ليس في رؤوسهم عيون تريهم ماهم فيه . أين هم من البلاد ، وأين البلاد منهم ؟ كانوا بالأسن تحت أقدام الترك ، واليوم يسيرون البلاد الى الترك بفضل ليتقموا من يظلونهم أعداءهم . نحن أخذنا الأمر على عاتقنا ، ولا نسأل التوفيق من غير الله ، ولا نتوكل الا عليه سبحانه وتعالى . أما اجتمعت بالوطنيين يا أفندي وسمعتهم يتبحرون ؟ غداً تجتمع يكبارهم في كربلا والنجف . نصف هذا الاجتهد جهل ، ونصفه عناد . . . عند الانكليز العلم ، وعندهم المال ، وعندهم الحكمة . أما الوطنيون فلدي شيء عندهم ؟ هل هم يحبون البلاد أكثر منا وهي بلادنا قبل أن تكون بلادهم ؟ وأكثرهم لا يزالون من الأجانب . . . »^(٦)

كان النقيب حريصاً على البقاء في الحكم ، وقد كتب عنه المسن بيل ذات يوم يقول : « ان هناك أمراً واحداً هو ان النقيب لن يتخل عن رئاسة الوزارة الا اذا حمل حملأاً ورجلاء الى الامام »^(٧) . هذا ولكن الانكليز بدأوا يشعرون بأنه لم يعد يصلح لهم ، فالموقف السياسي أصبح في حاجة الى رجل قوي حازم من طراز غير طراز النقيب . ومن الممكن القول ان النقيب إنما كان مناسباً لرئاسة الوزارة في بداية تشكيل الحكومة عندما كان الانكليز يريدون لها رجلاً ذا قدسية أو مهابة اجتماعية . أما الآن بعد أن أشهر المحتدون فتاويمهم الصارمة فإن الموقف يحتاج الى رجل حازم وليس الى رجل ذي مهابة .

كان الملك غير مرتاح من النقيب ويريد تبديله برجل من أعزائه هو

(٦) أمين الريحياني (ملوك العرب) - بيروت ١٩٥١ - ج ٢ ص ٣٩٧ -

٣٩٨

(7) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - Vol. 2, P. 289.

جعفر العسكري ، ولكن الانكليز كانوا يعتبرون العسكري ضعيفاً غير قادر على معالجة الموقف ، وربما كانوا يعدونه آلة بيد الملك . وقد أخذ الانكليز في تلك الآونة يتظرون إلى عبدالحسين السعدون باعتباره الرجل الأمثل ، وصاروا يمهدون له الطريق لكي يخلف النقيب على رئاسة الوزارة في أقرب فرصة ممكنة .

كان الانكليز - كما رأينا سابقاً - يبحثون عن رجل قادر على الوقوف في وجه الملك وقد عثروا على هذا الرجل في شخص ياسين الهاشمي غير أنهم سرعان ما اكتشفوا خطأهم فيه . والظاهر أن الانكليز وجدواأخيراً في السعدون الرجل المناسب الذي يبحثون عنه .

والواقع أن السعدون يختلف عن الهاشمي من حيث كونه صريحاً لا يداجي ولا يميل إلى المداراة والرياء ، وقد جاءه ذلك من تراثه البدوي الذي نشأ عليه في طفولته . وكان علاوة على ذلك قوى الشخصية مهيأً ذا صلابة وثبات فإذا أبرم أمراً سار فيه قدماً لا يبالى أرضي الناس عنه أم غضبو .

ومن الجدير بالذكر أن السعدون كان معتقداً ان مفهوم الوطنية لم يتبلور بعد في العراق ، وأن أهل العراق ليسوا شعباً واحداً بل شعوباً متباينة^(٨) ، كما أن العراق محاط بالاعداء من كل جانب كابن سمود والأتراك والإيرانيين والفرنسيين ، ولهذا فإن مصلحة العراق في رأي السعدون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعاون مع الانكليز ، فليس من الحكمة أن يواجه العراق أولئك الاعداد بمفرده مع العلم أنه لا يملك من القوة ما يساعدنه على الصمود أمامهم ، فلو أن الانكليز انسحبوا من العراق لأكله أعداؤه المحيطون به خلال زمن قصير . وقد كان السعدون يبني آراءه هذه علينا بلا مراجعة بخلاف بعض الساسة الذين اعتادوا أن يعلنوا أمام الناس غير

(٨) نقل عن كتاب مخطوط لخيري العمري .

ما يضمرونه في قلوبهم . أضف الى ذلك انه كان لا يشعر بالضعف أمام الملك وكثيراً ما كان يقف منه موقف الند للند يعارضه أو يتحداه . كتب المس بيل في ١ تشرين الثاني ١٩٢٢ يقول : ان السعدون أحد الذين أحبوهم أكثر من غيرهم فهو رجل جريء لا يخاف وليس عنده أقل ميل للتردد في أن يقف في وجه الملك حين يخالفه في الرأي ، وكثيراً ما كان يفعل ذلك^(٩) .

في ٦ تشرين الثاني قدم السعدون استقالته من وزارة الداخلية وذكر في تعليق استقالته ان زملاء الوزراء لم يوافقوه على خطته في استعمال الشدة في اجراء الانتخابات والضرب على أيدي مقاطعيها . ولم يمض على استقالته سوى عشرة أيام حتى قدم التقيب استقالة الوزارة كلها . وقد قبل الملك استقالة التقيب حالاً وبعد يومين عهد الملك الى السعدون بتشكيل وزارة جديدة .

ويعلق أمين الريحاني على استقالة التقيب حيث أشار الى ان الانكليز سكتوا عنها ولم يكتروا لها ، وذكر أن الناس أخذوا يتساءلون قائلين : « وأين وفاء الانكليز ؟ » وقال البغدادي بلهجته العريضة : « يسخرونها ويضجرونها ، ويهجرونها »^(١٠) . أي ان الانكليز بعد ان استقلوا التقيب نبذوه !

الوزارة الجديدة :

تألفت الوزارة السعدونية من السعدون رئيساً ووزيراً للعدلية بالوكالة ، وناجي السويفي للداخلية ، وساسون حسقيل للمالية ، وياسين الهاشمي للأشغال والمواصلات ، وعبداللطيف المنديل للإوقاف ، وعبدالحسين الجلبي للمعارف ، ونوري السعيد وكيلًا للدفاع .

(٩) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 303.

(١٠) أمين الريحاني (فيصل الاول) - بيروت ١٩٥٨ - ص ١٤٣ .

والملاحظ ان السعدون كان في أول الأمر يريد اسناد وزارة الاشغال والمواصلات الى عبدالحسين شلاش ، وقد أبرق اليه بذلك في ١٧ تشرين الثاني ، ولكن شلاش اعتذر عن قبول المنصب . والمظنون انه كان يخشى من نسمة المجتهدين والرأي العام عليه ، وهنئ هذا أسناد السعدون تلك الوزارة الى ياسين الهاشمي .

وقد قوبل استيذار عبدالحسين الجلبي بالاستكبار الشديد في الكاظمية وأخذ الناس يشتمونه ويدمونه ذماً قيحاً . فهم كانوا يدعونه بن أعون الخالصي ومربيده ثم وجدوه ينقلب فجأة ليصبح من رجال الحكومة . وفي ذات يوم وقفت له جماعة من أهل الكاظمية عند باب الصحن الشريف ، وكان على رأسهم الشيخ حسن بن الشيخ مهدي الخالصي ، وحين جاء الجلبي يريد الدخول الى الصحن بغية المرور منه الى بيته كعادته في كل يوم تصدى له أولئك بدعوى أنه كافر لا يجوز له دخول المساجد . فابرى رجالان من أعوانه للدفاع عنه ، وكادت تقع فتنة لو لا أنه واجه الأمر بالأنف والحلق وذهب الى بيته عن طريق الأزقة المجاورة للصحن . وقد آثر أخيراً أن يسكن خارج الكاظمية في قصر « الأيل »

صمم السعدون على القيام بالانتخابات على الرغم من صدور الفتوى بتحريمهها . وحين شرع الموظفون باجراء التدابير التمهيدية لها جوبهوا بمقاطعة شديدة في بعض أنحاء البلاد ولاسيما في الممتلكات المقدسة .

ولم تقتصر المقاطعة على المناطق الشيعية وحدها بل تجاوزتها الى بعض المناطق الأخرى . ففي الموصل مثلاً الصقت اعلانات تدعو الى المقاطعة كما أخذت الشتائم توجه من الجمahir الى القائدين بشؤون الانتخاب . وقد شارك بعض المسيحيين في هذه المقاطعة حيث ظهر اعلان ملصق على باب دار البلدية مفاده ان رجال الدين المسيحيين أفتوا بمقاطعة الانتخابات ومؤازرة المسلمين فيها تمسكاً بالجامعة الوطنية وحفظاً للمصالح المشتركة

والتاليف القديم ٠ وفي ٢٨ كانون الاول كتب متصرف الموصل الى وزارة الداخلية يقول بان الهيئة التفتيشية في الموصل لم تعد ترغب فيمواصلة العمل وبدأت تخشى من عاقبة الفتاوي ، وان حركة المقاطعة ليست منبئقة من داخل اللواء بل هي آتية من العاصمة ، وان بطء حركة الانتخابات في الأولوية وما يرد منها من الاخبار من اكبر الدواعي لتشويش الذهان في الموصل^(١١) ٠

ومن الطريق ان نذكر ان حزب النقب المسمى بالحزب العر قد وقف موقف المعارض للحكومة اثناء الانتخابات ، فكانت جريدة «العاصمة» الناطقة بلسان هذا الحزب تتقد سير الانتخابات ٠ والظاهر ان حزب النقب انسا وقف هذا الموقف لكي يظهر عجز الوزارة السعدونية عن القيام بالعمل الذي كان السعدون قبل هذا يتهم الوزارة النقبية بأنها عاجزة فيه^(١٢) ٠

قرر السعدون أن يقول وزارة الداخلية لكي يشرف بنفسه على سير الانتخابات ٠ كتبت المس بيل في رسالة لها مورخة في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ تقول : « ٠ ٠ ٠ جاءني رئيس الوزراء وناجي السويدي وعبداللطيف المنديل لتناول طعام الغداء عندي ٠ وأعلن رئيس الوزراء عند وصوله أنه يخشى أن تكون لديه قشعريرة ٠ فأجبته بان براندي الكرز علاج ممتاز ، وكان عندي لحسن الحظ شيء منه من بقايا وليمة سابقة ٠ فاحتoshوا كلهم نصيباً كبيراً منه حتى من كان منهم لا قشعريرة لديه ٠ وبعد هذا تناولنا غذاءً وديناً للغاية ٠ وقد أسرروا لي أنهم يفكرون باحداث تغيير في المناصب الوزارية حيث يتحول ناجي بيك الى وزارة العدالة ، ويعطى وزارة الداخلية الى رئيس الوزراء ٠ ورجوني أن أهيء ذهن المندوب السامي لهذا التغيير ، فوافقت على ذلك حالاً ، لأن محسن بك سيكون أفضل جداً من ناجي لوزارة الداخلية ، اذ هو أقل

(١١) محمد مظفر الأدهمي (المجلس التأسيسي العراقي) - رسالة جامعية غير مطبوعة - ج ١ ص ٣٥٧-٣٥٨ ٠

(١٢) المصدر السابق - ج ١ ص ٣٥٦-٣٥٧ ٠

حساسية تجاه التأثيرات السياسية منه ٠ ان السربرسي وافق على ذلك ، وقد تم الآن اجراء التعينات ٠٠٠^(١٣)

تغيير في السياسة :

كان المتوقع عندما تولى السعدون وزارة الداخلية أن يتخذ الاجراءات الشديدة لاتمام الانتخابات والضرب على ايدي مقاطعيها ٠ ولكن الذي حدث فعلاً كان على النقيض من ذلك ٠ وفي أواخر كانون الثاني لوحظ ان الانتخابات توقف سيرها في جميع أنحاء العراق ، ولم تفعل الحكومة شيئاً ازاء ذلك بل سكتت عنه كأنها كانت راضية عنه ٠

أضاف الى ذلك ان بعض رجال المعارضة الذين كانوا معتقلين في هنجم أطلق سراحهم ، وفي ١٩ شباط وصل بغداد أربعة منهم وهم : أمين الجرجفجي وحبيب الخيزران وعبدالرسول كبة وسامي خوندة ٠ ثم وصل بعد ذلك ثلاثة آخرون هم حمدى البايجي وجعفر أبوالمن ومهدى البصیر ٠ وكذلك قررت الحكومة معالجة التذمر الموجود في لواء المتفق من سياسة الميجر يتس ، فنقلت الى اللواء عبدالعزيز القصاب الذى كان متصرفاً في كربلا ٠ وفي منتصف آذار ذهب كورنواليس الى المتفق ليبحث الأمور بنفسه ، ووافق على الحلول التى قدمها القصاب لمشاكل اللواء ٠ وعند عودة كورنواليس الى بغداد صدر الأمر بعزل الميجر يتس وتعيين رجل آخر مكانه ٠ ويصف القصاب المستشار الجديد بأنه صريح طيب القلب^(١٤) ٠

يدل هذا كله على ان الوزارة السعدونية غيرت سياستها وأخذت تتبع طريقة الدين والتسامح تجاه المعارضة ٠ وهنا يواجهنا سؤال : ما هو السبب الذي جعل الوزارة تغير سياستها مع العلم ان السعدون انما

(13) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 807.

(14) عبدالعزيز القصاب (من ذكرياتي) - بيروت ١٩٦٢ - ٢٣٥-٢٣١

استقال من الوزارة السابقة احتجاجاً على اتباعها سياسة الذين؟

يمكن أن نعزّو هذا التغيير إلى سببين: أولهما استفحال التهديد التركي لحدود العراق الشمالية في ذلك الحين، وكان تهديداً في غاية الخطورة كما سنأتي إليه. ويمكن القول إن الوزارة السعدونية وجدت من الضروري استرضاء المعارضة من أجل توحيد الصفوف تجاه ذلك الخطر.

أما السبب الثاني فهو حدوث تغير في السياسة البريطانية تجاه العراق آنذاك. ففي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢ استقالت وزارة لويد جورج، وقد امتنعت الوزارة البريطانية الجديدة عن تصديق المعاهدة المقودة مع العراق. ثم ظهرت في بريطانيا حملة قوية ضد الحكومة لأنفاقها المبالغ الطائلة على العراق، وطالب بعض النواب بالانسحاب من العراق في أول فرصة، مما دعا الوزارة البريطانية الجديدة إلى استدعاء كوكس لمشاورته في الأمر. وقد طار كوكس إلى لندن في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٣ وخلفه في منصبه بالوكالة السر هنري دوبس^(١٥). والظاهر أن الوزارة السعدونية لم تجد في هذه الظروف ما يبرر اصرارها على الاستمرار في الانتخابات، وربما قضلت الانتظار إلى حين استقرار الرأي في بريطانيا حول المعاهدة.

استفحال التهديد التركي:

كان مصطفى كمال باشا قد انتصر على اليونانيين انتصاراً ساحقاً في أيلول ١٩٢٢، فكان لانتصاره هذا صدى عظيماً في بعض الأوساط العراقية خاصة بين أولئك الذين كانوا يخونون للعهد التركي ويسمون عودته. وقد اعتز الأتراك بهذا الانتصار فأخذنوا يحشدون قواتهم على حدود العراق الشمالية بغية استرجاع الموصل وربما استرجاع العراق كله.

(١٥) كوكس ودوبس (تكوين الحكم الوطني في العراق) - الموصل - ص ٦٤، ٦٧.

ففي تشرين الاول ١٩٢٢ وصلت الى كوكس تقارير سرية مفادها ان التجنيد قائم على نطاق واسع في جزيرة ابن عمر وسيرت وماردين^(١٦) . وفي كانون الاول وصلت الى كوكس برقيه من القنصل البريطاني في حلب مفادها ان قوات تركية بقيادة يوزدمير علي شفيق بك قد هاجمت ليلًا المعسكر الانكليزي عند الحدود الشمالية ومحطة الطيران في زاخو ، وان السلطات التركية في مدیات وضعت يدها على سبعمائه وخمسين ألف كيلو من الحنطة ، ووضعت بالمناقصة شراء ألفي قربة لاستعمالها في صنع الاكلاك ، كما أنها عبأت جميع السكان لتعيد الطرق وبناء التحصينات^(١٧) .

وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٢٣ وصلت الى بغداد أنباء تفيد أن أربعة افواج تركية مع ملحقاتها وصلت الى جزيرة ابن عمر ، فدعا ذلك القيادة الانكليزية في بغداد الى توجيه بعض قواتها الى الموصل ، أما الجيش العراقي فقد عهد اليه المحافظة على خطوط المواصلات . وفي ٢٨ كانون الثاني ذهب الأمير زيد الى الموصل للإشراف على شؤون الدفاع عن الحدود الشمالية ، وقد لحق به بعدهن الكابتن كلاريتون . وأخذ الاتراك يرسلون عمالاً لهم ودعاتهم الى العراق سراً ليتصلوا ببعض رؤساء العشائر العراقية ، ولاسيما الكردية منها ، وببعض زعماء المعارضة والمجتهدين . وقد وقع الكثير من رسائلهم في ايدي الانكليز^(١٨) .

كتبت المس بيل في ٣٠ كانون الثاني الى عائلتها تقول : « هل نحن معرضون للغزو أم لا ؟ وإذا كنا معرضين للغزو فهل ستُترك وحدنا ندافع حسب امكانياتنا ٠٠٠ وإذا لم يرسل الاتراك فيلماً آخر أو فيلقين فتحن بخير ، أما اذا أرسلوا ذلك فالامر يختلف . وبالرغم من مفاخرات حصن

(١٦) عن دائرة الوثائق العامة بلندن — رقم (أف . أو . ٣٧١—٧٧٨١) .

(١٧) عن دائرة الوثائق العامة بلندن — رقم (أف . أو . ٣٧١—٩٠٠٢) .

(18) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 308-309.

بasha فانهم لا يبدأون بالهجوم ، لأن في نيتهم أن تكون القبائل المحلية هي البادئة ، غير ان تلك القبائل متعددة في الاستجابة للضغط . وقصاري القول : انه اذا كان الاتراك يخادعون فنحن نخادع مثلهم ، أما اذا كانوا جادين فنحن نمسك يدآ خاسرة » . ثم تقول المس بيل : « وفي هذا اليوم دعاني الملك لتناول الشاي ، وكان قلقاً يريد أن يعرف هل نحن مستعدون في النهاية للدفاع عن البلاد أم أننا نريد ترك الأمر له . وأخبرني أنه عند الضرورة قد يقبل باجراء استفتاء على شرط أن يشمل هذا الاستفتاء المناطق التركية التي معظم سكانها من العرب كتصين وماردين ، وإن تسحب منها القوات المسلحة لكلا الطرفين ، وأن تشرف على الاستفتاء دولة محايدة . ولكنه أيضاً سوف يطلب منا أن نقوى جانبه بالغاء الاتداب . وإذا لم نقبل بهذا الاقتراح ، أو اذا كانت القوات الانكليزية في الموصل في خطر ، أو إذا ترك العرب لوحدهم ليدافعوا عن بلادهم ، فإنه سيذهب بنفسه إلى الحدود ليقضي فيها حياته صامداً إلى النهاية » . وتتعلق المس بيل على هذه الكلمة الأخيرة من فيصل فتقول : « وبروحي فاني لا أطلب شيئاً أفضل من الذهاب معه »^(١٩) .

كانت الدعاية التركية في العراق آنذاك تستمد قوتها من الدين بدعوى ان الاتراك مسلمون وان الانكليز كفار ، ولهذا فالواجب على العراق شرعاً ان يكون تحت حكم الاتراك بدلاً من حكم الانكليز . وقد لقيت هذه الدعاية في العراق رواجاً كبيراً ، وتبناها المجتهدون بوجه خاص لأنهم بطبيعة مهتهم لا يعترفون بالحدود القومية أو السياسية التي تفرق بين المسلمين ، فالمسلمون في نظرهم أمة واحدة لا فرق فيها بين التركي أو العربي أو الفارسي ، والمسلم أولى من الكافر على أي حال .

كتبت المس بيل في ١٢ نيسان تقول : « ان المجتهدین أصدروا

(19) Loc. cit.

فتوى في تحرير الدفاع عن العراق ضد الاتراك ، وألصقت الفتوى على باب صحن الكاظمية ، وقد وصلتني نسخة منها مبكراً في هذا الصباح .
والسؤال هو : ماذا سوف تصنع الحكومة العراقية في هذا الشأن ؟ ففي رأي المستر كورنواليس ان المجتهدين الموقعين على الفتوى يجب نفيهم الى ايران باعتبارهم رعايا ايرانيين ، ولكن هذا قرار خطير . فلو أن الملك ترك الأمور تسليماً على رسليها ، فإن الأيام القليلة القادمة ربما ستكون ذات خطورة بالغة نظراً لاقتراب شهر رمضان وما يثيره من هياج ديني ٢٠٠ .

كان الشيخ مهدي الخالصي شديد الميل الى الاتراك ، كما أشرنا اليه من قبل . ويقال انه كان في تلك الآونة يترااسل معهم سراً . وقد انتشرت في الكاظمية قصة جديرة بالذكر في هذا الصدد هي ان رجلاً من أصل تركي اسمه رفعت افندي كان يعمل في الاستخبارات البريطانية ، فكان يأتي الى الخالصي بعد غياب طويل وهو يحمل اليه رسائل مدعياً انها مرسلة من مصطفى كمال باشا . فكان الخالصي يصدق بذلك ويكتب أجوبته الرسائل ثم يعطيها الى رفعت افندي لكي يوصلها الى مصطفى كمال باشا ، ولكن رفعت افندي كان يوصلها الى المندوب السامي .

ان هذه قصة لاندرى مبلغ صحتها ، ولم نجد في الوثائق البريطانية او رسائل المس بيل ما يؤيدتها ، وربما كانت من مبالغات الخصوم ، انما هي على أي حال غير مستبعدة بالنظر الى ما نعرفه في الشيخ مهدي الخالصي من ميل شديد الى الاتراك .

وهناك قصة اخرى حدثني بها رجل من اهل الكاظمية أتفق به ، وهي ان الشيخ مهدي الخالصي تسلم في ذلك العين رسالة من الاتراك فوضعها تحت الفراش الذي يجلس عليه على عادة الناس في تلك الايام ، وكان من بين رواد مجلسه رجل يعمل في الاستخبارات البريطانية اسمه

(2) Ibid , vol. 2, P. 318.

« ش ٠٠٠ » فاراد أن يحصل على الرسالة فذهب الى السيد محمد رضا الحيدري وعرض عليه مبلغ خمسائة روبيه لقاء مساعدته في الحصول على الرسالة من تحت فراش الخالصي ، ولكن السيد محمد رضا طرد الرجل ووبخه ، فذهب الرجل ثم عاد بعد فترة من الزمن وهو يقول انه تمكن من الحصول على الرسالة ومعها رسائل أخرى لقاء مائة روبيه فقط لا غير ٠

العودة الى التحرير :

في ٣١ آذار ١٩٢٣ عاد كوكس الى بغداد وهو يحمل ملحقاً للمعاهدة باسم « بروتوكول » يتضمن موافقة الحكومة البريطانية على تخفيض مدة المعاهدة من عشرين سنة الى أربع سنوات ٠ وقد استبشر الملك والوزراء بهذا « البروتوكول » ٠ وفي ٣٠ نيسان اذاع الملك الى الشعب بياناً افتتحه بهذه العبارة : « بعناية الله جل وعلا ، وروحانية نبیه المصطفی (ص) تمكنت حکومتنا بأن تخطو خطوة كبيرة أخرى في سبيل تحقيق أمانی الأمة وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهدة العراقية البريطانية »^(٢١) ٠ ولم يكدر هذا البيان ينشر في الجرائد حتى بدأت البرقيات تنهال على بغداد من مختلف أنحاء العراق لتهنئة الملك والوزارة بهذه « الخطوة المباركة » ٠

وصادف في تلك الأونة ان القوات البريطانية تمكن من طرد القوات التركية من راوندوز وبعض المناطق الشمالية ، فخف بذلك التهديد التركي وتقلصت الدعاية التركية الى حد كبير ٠ وعند هذا شعر الملك ورئيس الوزراء ان الظروف ملائمة للعودة الى موضوع الانتخاب والشرع
به من جديد ٠

استدعى الملك اليه عدداً من شيوخ الفرات الاوسط كان من بينهم

(٢١) عبد الرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٢٤ ٠

عبد الواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعلوان الياسري وقاطع العوادي وشعلان أبو الجون . وأقنعهم بأن « البروتوكول » كسب للعراق وإن الشروع بالانتخاب ضروري ، فوافق الرؤساء على رأيه ماعدا أبو طبيخ حيث صرح بأنه غير قادر على مخالفة علماء الدين الذين أفقو بحرمة الانتخاب ولكنه يبذل جهده للتوفيق بين ارادة العلماء وسياسة الحكومة^(٢٢) .

أرسل إنذرك علوان الياسري وقاطع العوادي إلى الشيخ مهدي الخالصي في محاولة لاقناعه بسحب فتوى تحرير الانتخابات . ولكنهما لم يوفقا في محاولتهما ، وقيل أن الخالصي اتهمها بالكفر . وتروى في هذا الصدد قصة جرت للياسري هي أنه بعد أن فشل في إقناع الخالصي ذهب لزيارة مرقد الإمام الكاظم ، وحين وصل إلى باب المرقد رأى الخالصي خارجاً من المرقد تحف به حاشيته ، فقال الخالصي له : « كيف يجوز لك أن تأتي لزيارة الإمام وأنت كافر؟ » . فرد الياسري عليه بكلمة جارحة ، وهنا صاح أحد الحاشية بصوت مرتفع ليسمعه الجمهور : « اخرج يا كافر » ، فاضطر الياسري أن يهرب من المرقد بلا حذاء خوفاً من غضب الجمهور .

أخذ الشيخ مهدي الخالصي يعد العدة لاعادة اعلان فتاوى التحرير التي كانت قد أعلنت سابقاً . ففي ١٦ آيار أخبرت التحقيقات الجنائية وزارة الداخلية بان رسالة وصلت من التحالف إلى الكاظمية بخصوص التحرير ، وان الشيخ مهدي الخالصي تداول حوله مع علماء الكاظمية وأنهم وافقوا عليه جميعاً . وفي مساء ١٧ آيار ظهرت اعلانات ملصقة على أبواب الصحن في الكاظمية تذكر الناس بتحريم المجتهدین للانتخاب وتقول : ان

(٢٢) محمد المهدي البصیر (تاریخ القضاۃ العراقیة) - بغداد ١٩٣٣ - ج ٢ ص ٥٠١ .

الحكومة تحاول الآن خداع الشعب بملحق المعاهدة وانها تبذل جهدها لإجراء الانتخاب ضاربة بفتاوی المجتهدین عرض الحائط « فاتبهوا ياقوم ولا تخدعوا بزخارف القول ، وبعوا وابصروا يا أولى الآلاب »^(٢٣) .

وفي ٣٠ أيار تقدم أحد المؤمنين باستفتاء موجه الى المجتهدین هذا نصه :

« حجج الاسلام وآيات الله في الأنام أعز الله بكم الدين وحماية الشريعة . هل تجوز المداخلة ببعض الوجوه في انتخاب المجلس التأسيسي العراقي أو لا تجوز لكل أحد من العراقيين ؟ أفتونا أدام الله ظلكم على العالمين » .

فكتب المجتهدون تحت هذا الاستفتاء فتاویهم حيث ذكروا فيها ان حکمهم السابق في تحريم الانتخاب لايزال ثابتاً لم يتغير ، وهم : أبو الحسن الاصفهاني وحسین الناینی وحسن الصدر ومحمد مهیدی الصدر وعلی الشیرازی ومهیدی المرایاتی وابراهیم السلماسی ومحمد الأسدی ومحمد مهیدی الخراسانی وصادق الخالصی وابراهیم الاعرجی وراضی الخالصی وأسد الله العیدری واسمعیل الأسدی . وقد كتب في آخر هم الشیخ مهیدی الخالصی يقول ما نصه : « نعم ما حکم به حجج الاسلام وآیات الملک العلام ماضی نافذ . والراد عليهم راد على الله وهو على حد الشرک بالله »^(٢٤) .

وأخذت الفتاوی من هذا النمط يتواكب صدورها ، فتلصق على الجدران وأبواب المساجد ، وترسل نسخ منها الى الألوية . وكان بعض الشیبان التحمسین يتطلعون للصاقها على الجدران حيث يختارون الساعات المبكرة من الصباح فيتظاهرون انهم خارجون لاداء صلاة الفجر في المساجد وحين يجدون الشوارع خالية يسرعون الى الصاق الفتاوی ثم يختفون .

نند صبر الانگلیز كما نند صبر الملک وعبدالمحسن السعدون ، غير انهم اختلفوا في طریقة العلاج ، فكان من رأی السعدون استعمال الشدة

(٢٣) محمد مظفر الأدھمی (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٠٥ .

(٢٤) المصدر السابق - الملحق رقم ١٦ .

مع المجتهدین بلا خشیة او تردد بينما كان الانگلیز يتخوفون من اتباع هذه السياسة ويعتقدون انها قد تؤدي الى ثورة عشائرية واضطراب الامن . أما الملك فكان لا يزال يأمل أنه قادر على التفاهم مع المجتهدین واقناعهم على وجه من الوجه .

ما يجدر ذكره أن أكثر المجتهدین كانوا يحملون الجنسية الإيرانية ، فمنهم من كان من أصل ایرانی فعلاً ومنهم من اتخد الجنسية الإيرانية في المهد الشماني تهرباً من التجنيد الاجباري . وقد وجد السعدون في هذا نغرة يمكن أن ينفذ منها اليهم . فكان رأيه ان المجتهدین عجم وهم اذن غرباء عن العراق وليس لهم حق بالتدخل في سياسة هذا البلد ، أما اذا أرادوا العمل في السياسة فالواجب يقضى عليهم أن يتجلسوا بالجنسية العراقية ، والا فان الحكومة يجوز لها أن تبعدهم عن البلاد .

صمم السعدون على تنفيذ رأيه هذا . وفي ٩ حزيران صدر تعديل لقانون العقوبات البغدادي ، وبهذا التعديل أصبح للحكومة الحق في نفي الاجانب بسبب الجنح التي يرتكبونها . وفي ١٧ حزيران عقد مجلس الوزراء جلسة خاصة قر فيها الشروع بالانتخابات واستعمال الشدة مع الذين يقاومونها عن طريق نفي الاجانب منهم الى خارج البلاد واحالة العراقيين منهم الى المحاكم .

وفي تلك الآونة كتبت جريدة «العاصمة» تدعو الى محاربة الدخلاء الذين لا ارتباط لهم بالعراق ، وتطلب من الحكومة أن تكتف يد كل من ليس بعربي ولا عربي عن التدخل في شؤون الأمة^(٢٥) .

تمهید :

كان محسن أبو طیح - كما أشرنا اليه آنفاً - قد خالف ما اتفق عليه زملاؤه من شيوخ الفرات الأوسط في أمر الشروع بالانتخاب . ويقال ان

(٢٥) جريدة «العاصمة» - في عددها الصادر في ١٤ حزيران ١٩٢٣ .

الملك امتنض من موقفه هذا وطلب منه مغادرة العراق أياما الى أن يهدأ
الوضع فيعود • وقدر أبو طبيح أن يغادر إلى سوريا في ١٤ حزيران •

أراد الشيخ مهدي الخالصي أن يجعل من توديع أبو طبيح مظاهرة سياسية تحدياً للملك والحكومة • ففي صباح اليوم العين لسفر أبو طبيح حصل اجتماع كبير في صحن الكاظمية حتى غص الصحن على سعنه بالناس ، وحضره الخالصي وكثير من رؤساء العشائر ورجال المعارضة • ونهض سلمان القطيفي^(٢٦) فألقى كلمة حماسية مؤثرة ، وأخذ الحاضرون يهتفون بسقوط الحكومة وحياة المجاهدين ، وعند انتهاء الحفلة سارت الجماهير تحف بأبو طبيح متوجهة نحو محطة القطار في جانب الكرخ ، فركب فريق منهم عربات الترامواي ، وركب آخرون السيارات ، بينما مشى الباقون على أقدامهم • وحين وصلوا إلى علاوي الحلة في الكرخ طلب الكراخيون من سلمان القطيفي إعادة القاء الكلمة التي ألقاها في صحن الكاظمية ، فاستجاب لهم وصعد على منصة صنعت من تخوت المقاقي القرية ، كما صعد إلى جانبه أبو طبيح • ولم يكدر القطيفي يبدأ باللقاء حتى تقدم نحوه معاون الشرطة عبد الرزاق الفضلي وقال له بصوت مرتفع «أني باسم الحكومة والقانون أمنعك من القاء الخطاب وعند عدم الكف عن القائه سأستعمل القوة» • فحصلت مشادة بين القطيفي والفضلي ، فتدخل أيسو طبيح راجياً من القطيفي المدول عن القاء الكلمة حذراً من ارقة الدماء • وهاجت الجماهير عندئذ ، وتدافعت مع الشرطة ، وانطلق الرصاص من هنا وهناك دون أن يصاب به أحد من الناس • وقد استطاعت الشرطة أن تختلف أبو طبيح بسيارة وأخذته إلى محطة القطار ، كما استطاع رجال من أهل الكاظمية اختطاف القطيفي وأخذوه إلى الكاظمية حيث احتفسي فيها^(٢٧) •

(٢٦) هو الذي عرف فيما بعد باسم «سلمان الصفواني» ، وكان يومذاك من تلاميذ الخالصي ومن المقربين إليه •

(٢٧) نقل عن مذكرات مخطوطة لسلمان الصفواني وهي مذكرات مهمة نرجو أن تنشر •

كانت هذه الحادثة للحكومة بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير ، وقد اعتبرتها الحكومة تحدياً لها وجرأة لا يجوز الصبر عليها ، فعقدت الهيئة على نفي الشيخ مهدي الخالصي ، وأصدرت أوامرها السرية الى معاون الشرطة عبدالرازق الفضلي بالاستعداد لالقاء القبض عليه في أقرب فرصة .

كان لدى الفضلي يومذاك عشرون شرطيا من المشاة وعشرون من الخيالة ، فسألته الحكومة هل هو في حاجة الى مزيد من القوة فكان جوابه ان ما لديه منها يكفيه وهو لا يريد مزيداً لكي لا يلتفت انتظار الأهالي اليه فيستعدوا للمقاومة . وقد حدثني الفضلي عن تلك الأيام فقال : انه أخذ يتهيأ لالقاء القبض على الخالصي ويترقب الوقت المناسب له ، وكان مما فعله في هذا السبيل انه أرسل بعض أفراد الشرطة السرية بملابسهم المدنية ليختلطوا بالناس في الصحن وخارجيه ، وجعل بعضهم يتقمصون هيئة الشحاذين ويعجلسون عند أبواب الصحن يتظاهرون بالاستجابة حتى اذا جاء أحد أعوان الخالصي يريد الصاق الفتاوي او الاعلانات على أبواب الصحن أمسكوا به او أشاروا الى افراد الشرطة القريبين منهم للامساك به .

وفي عصر ٢١ حزيران جاء شاب من آل الخالصي اسمه علي نقى ، وهو حفيد أخي الخالصي ، يروم الصاق اعلان على احدى ابواب الصحن . فلمحه اثنان من أفراد الشرطة السرية ، وحاولا القاء القبض عليه ، فأسرع بعض الأهالي لمساعدته على الهرب ، ثم جاء شرطي ثالث لمعونة زميليه . وتسكن الثلاثة أخيراً من الامساك به ، فذهبوا به الى مركز الشرطة في السראי . وعند التحقيق معه في المركز أقر ، قائلاً بأن واجبه هو الصاق الفتاوي التي تصدر من المجتهدين ، وذكر أسماء بعضهم ، كما اعترف بأنه لا يعمل وحده بل يعاونه سلمان القطيفي واثنان من أولاد الخالصي هما حسن وعلي .

وفي الوقت الذي كان فيه علي نقى يدللي باعترافاته في مركز الشرطة

ذهب حسن الخالصي الى الصحن يريد الصاق اعلان على باب القبلة منه . وحين حاول أحد افراد الشرطة القاء القبض عليه أخذ يصبح في الناس قاتلا : « أقتلوا هذا الرجل انه كافر يهودي » . وعند هذا اتال الناس على الشرطي فأمسكوا به وأدخلوه الى الصحن وطروحه أرضآ ، وأخرج حسن سكينة من جيبه وقال له : « سوف أقتلك » . ولكن الشرطي استطاع التسلل من أيدي الناس بصعوبة ، وعاد الى مركز الشرطة وهو حافي القدمين بمصر الوجه . وأسرعت ثلة من الشرطة بقيادة المعاون عبدالرزاق الفضلي ، فتوجهت الى الصحن بغية القاء القبض على الذين هاجموا الشرطي ، فلم تجد أحداً منهم . وأخذت الشرطة بعد هذا تبحث عن حسن الخالصي وأخيه علي وعن سليمان القطيفي ، وحين عثرت عليهم أرسلتهم مع علي نقى محفورين الى بغداد . وهناك أودع الأربعة رهن الاعتقال في السراي ^(٢٨) .

القبض على الخالصي :

كان القبض على أولاد الخالصي بمثابة جس النبض ، فلما رأت الحكومة ان القبض عليهم لم يتبع الاضطراب الذي كانت تخشاه قررت القبض عليه بالذات ، وتعيين مساء ٢٦ حزيران للقيام بذلك .

تشير بعض القرائن الى ان الملك كان يومذاك على شىء من الحيرة والتردد ، فهو في أعماق نفسه يمقت الخالصي ويحب نفيه عن المسرى ولكنه يخشى العواقب . أما عبدالمحسن السعدون فكان قد صمم على نفسي الخالصي وكان واثقاً من عدم حدوث أي خطر من ذلك . وما يجدر ذكره في هذا الصدد ان السر هنري دوبس كان قد تولى منصب المندوب السامي بالاصلالة منذ اوائل أيار الماضي ، وكان هو كسلفه كوكس يتغوف من أمر نفي الخالصي ولكن السعدون تهد له بأنه قادر على القيام بالأمر دون أن يثير أية اضطراب في الأمن ، وقد اطمأن دوبس من قوله وترك له الأمر ليقوم به على مسؤوليته .

(٢٨) محمد مظفر الأدهمي (المصدر السابق) ج ١ ص ٤١٨ - ٤١٩ .

أراد الملك أن يتبع عن بغداد عند نفي الخالصي ، فقرر القيام بجولة إلى البصرة . وقد اتفق مع السعدون على أن يبرق إليه من البصرة في حالة موافقته النهائية على نفي الخالصي وان يكون الرمز بينها « الدجاجة » ويُسْتَعْلَمُ بها الخالصي .

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ١٨ حزيران غادر الملك بغداد على باخرة نهرية من بوآخر عبدالقادر الخضيري ، وكانت حاشيته مؤلفة من رستم خيدر وناجي السويدي وصفوت العوا وعبدالله المضايفي وناصر الدين التقيب والرافدين تحسين قدرى وتوفيق الدملوجي . والمنظرون ان الملك كان منذ مغادرته بغداد حتى وصوله البصرة مشغول البال في أمر الخالصي لا يدرى هل من الصواب أن يسمح بنفيه أم لا . ويبدو انه عندما وصل البصرة استقر رأيه على عدم نفي الخالصي ، ولهذا أوعز إلى ناجي السويدي بأن يبرق إلى السعدون ينصحه « أن يترك الدجاجة »^(٢٩) . ولكن السعدون رفض أن يصنفه لتصححة الملك ، وأبرق إليه يخبره بضرورة نفي الخالصي وان الحكومة لا يمكنها أن تستمر في الصبر عليه مدة أطول . وهذا هو نص برقية السعدون :

« عرضنا في برقيتنا السابقة أن حاول بعضهم الصاق فتاوى في الكاظمية بمنع الانتخاب . الذي ألقها حفيد الخالصي الشیخ على ، فألقت الشرطة القبض عليه في الحال ، وبعد قليل حاول الشیخ حسن بن الشیخ مهدي الصاق فتوى أخرى ، فمنعه الشرطي الذي كان واقفاً باللباس الرسمي ، فلم يمتنع بل حتى الناس على الهجوم على الشرطي وهجم هو معهم وبيده سكين فضرب بها الشرطي ، فألقى القبض عليه أيضاً . وعند استجواب الشیخ على اعترف بأن جميع هذه الأعمال هي بأمر الخالصي وولديه

(٢٩) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) - بغداد ١٩٥٥ - ج ١ ص ٥٢ .

الشيخ علي والشيخ حسن وشريكهما الشيخ سليمان القطيفي • الشيخ مهدي يحرك الناس جهراً على القيام في بغداد والكاظمية ، وعلى كل حال لا يمكن للحكومة أن تصبر على أفعاله ، فارى من الضروري ابعاده عاجلاً هو وأولاده والقطيفي والشيخ علي حفيد الحالسي • المتمد السامي يوافق على ابعادهم بشرط أن لا يكون ذلك إلى إيران ، فإذا توافقون يرسلوا إلى البصرة ومنها إلى جهة بحراً • لم يصلني خبر بعد من محسن شلاش •

فأجاب الملك ببرقية قال فيها : « اذا كان العمل ضرورياً تجاه الشيخ مهدي فargin أن يكون بكل احترام وبصورة لا تخل بكرامته الشخصية وان لا تعجز عائلته ولا تخوف » • ثم أعقبها الملك ببرقية أخرى قال فيها : « لكم الصلاحية المطلقة فيما ترون مناسباً في الكاظمية وبغداد لحفظ الأمن وشرف الحكومة ويجب اتخاذ خطوة حازمة • بعد الكاظمية أخبروا مجتهدي النجف بواسطة المتصرف بكل ما جرى مع الحالسي واتباعه وطمئنوه بأن يداوموا محافظين على السكينة وقائمين بواجباتهم الدينية مع ابلاغهم أسف الحكومة على اضطرارها إلى اتخاذ هذه الاجراءات رغم عن الوسائل السلمية التي أتبعتها حتى الآن • أعلنا ذلك في الصحف بصورة مناسبة » •

وفي ٢٥ حزيران أصدرت الحكومة بياناً رسمياً ذمت فيه المجتهدين ذماً قبيحاً حيث وصفتهم بأنهم دخلاء لا علاقة لهم بالقضية العربية ولا تهمهم مصالح الشعب الحقيقة ، وانهم يختلقون أقوالاً يزعمون انها مستنبطة من الشرائع الدينية غير أنهم لا يقصدون منها سوى الاعمال بسير الانتخابات وتضليل الرأي العام وعرقلة وصول الشعب إلى السلطة • ويقول اليسان أيضاً : ان ما أظهرته الحكومة من الحلم والآناة شجع مؤلاء الفرباد التهوسين على التمادي في التضليل حتى أنهم تجاوزوا مؤخراً على حرمة المرقد المقدسة بحر كات تخالف الآداب الدينية كل المخالفه ويتحاشاها

أهل التقوى والدين أي تحاشي وذلك بالصاقهم على أضحة الأئمة عليهم السلام وجدران الحرم نشريات مفسدة ومميتة تحت ستار الدين وباسم ما يهتك حرمة الصبات المقدسة ويجعلها معرضاً لتلك الغايات المضللة التي لم تبن إلا على سوء النية والاضرار بمنافع الشعب . وفي الختام يقول البيان : « وبهذه المناسبة يجب ان يعلم ان الحكومة لا يمكنها أن تهاون في مثل هذه الأعمال . . . اقْبَلَ كُلُّ مَنْ يَتَصَدِّي لِلْمُبَثِّ بِحَقْوقِ الْمُشْرُوْعَةِ »^(٣٠) .

وقد علقت جريدة «العاصمة» على هذا البيان قائلة : ان مقاطعة الانتخاب أكبر مظهر من مظاهر الفكرة الأعجمية تلك الفكر الدخيلة التي لا تخلص للقومية العربية واستقلال العراق . وطلبت الجريدة من الحكومة الضرب بشدة على الأيدي الأنانية التي تدس السم بالدمس لتمكن من القضاء على القومية العربية في ربوع العراق^(٣١) .

وفي ساعة متأخرة من مساء ٢٦ حزيران جرى القاء القبض على **الخالصي** ، وتم كل شيء بهدوء !

كيف جرى القاء القبض :

كان **الخالصي** قد اعتاد في كل ليلة ان يذهب الى مدرسته بعد انتهاءه من اداء صلاة المغرب والعشاء ، وكانت مدرسته ملاصقة لبيته ، فيلقى فيها بعض الدروس على طلبة المدرسة ثم يأوي بعدها الى بيته . وقد وضع **عبدالرازق الفضلي** خطته في أن يكون القبض على **الخالصي** في ساعة متأخرة من الليل حين تخلو الشوارع من المارة .

وفي تلك الليلة التي تقرر فيها القبض على **الخالصي** ، كلف **الفضلي** احد رجال الشرطة السرية بمراقبة المدرسة واخباره متى يغادرها **الخالصي** الى بيته . وفي الساعة الحادية عشرة تقرباً عندما تأكد **الفضلي** من وجود

(٣٠) **عبدالرازق الحسني** (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٣٠-١٣٣ .

(٣١) جريدة «العاصمة» في عددها الصادر في ٢٥ حزيران ٩٢٣ .

الخالصي في بيته أسرع إليه بسيارتين يصحبه مفوض واحد وخمسة أفراد من الشرطة مع مختار محله الشيوخ .

لدينا روایتان مختلفتان عن كيفية القاء القبض على الخالصي ، احداهما يرويها عبدالرازق الفضلي ، والأخرى يرويها سلمان الصفواني . وفيما يلي ذكر كلتا الروایتين تقدلاً عن مذكراتهما المخطوطة .

يقول الفضلي : « أنا كيف جرى أخذه - يقصد الخالصي - فقد ذهبت ليته بعد العاشرة مساءً وبعد عودته من مدرسته . وطرقت بابه ، فكلمني هو من الطابق الثاني من البيت وسألني : ماذا تريد ؟ قلت : تفضل أفتح الباب لا بلفك الأمر الذي تلقيته الآن من الحكومة . فنزل الرجل ، فقلت له : إن مجلس الوزراء ملتزم في البلاط ويطلبون حضورك . فأرجو أن تفضل لأنهم أرسلوا لك سيارة خاصة . فقال : ابني رجل ديني ولا يجوز خروجي من بيتي بعد المساء . فأجبته : يا سيدني إنك سياسي لأنك تدخلت بأمور ليس لك حق بالداخلة فيها ولذلك يجب أن تذهب معي حالاً . » فقال : دعني أدخل إلى بيتي الماء ثم أتوضاً وأذهب معك . فوافقت ، ولكنه أراد أن يغلق الباب فحلت دون مقصده . وفعلاً دخل إلى الخلاء وأنا واقف بالباب ، وانتظرته حوالي نصف ساعة ولم يخرج ، فاضطررت أن أرسل المفوض الأفغاني سيد حسن إلى الخلاء ليرى ماذا حل بالخالصي ، ولما دخل عليه وجد أن أعصابه قد تقلصت ولا يستطيع السير . وبما أن الوقت الذي يجب أن يصل به الخالصي إلى القطار على وشك الانتهاء فقد اركبته بالسيارة وتوجهت به إلى محطة القطار

أما الروایة الثانية فيرويها الصفواني تقدلاً عن الخالصي نفسه اذ قال ما نصه : « كنت نائماً على سطح داري وأيقظني طرق الباب المتواتي بعنف . فنهضت من فراشي وأطللت براسي على جهة الباب فإذا بي أرى الدار مطروقة بالقوات المسلحة وكذلك الطرق المؤدية إليها . وسألت من فوق السطح

من الطارق ، فطلب اليه النزول وفتح الباب بسرعة . فأدركت ان هذه القوة الكبيرة قد جيء بها للقبض علىه لا محالة . وفكرت في أن أمثل دور الصقر أم دور المصفور ؟ ان المصفور حينما يقع في يد الصياد يحاول أن يقاوم ليتخلص ويطير ، ويستعمل منقاره ومخالبه وأجنحته وهي كل أسلحته في المقاومة ، ولكن حقيقة ذلك أن يتقد ريشه وتكسر سيقانه ويعرض للموت . أما الصقر فإنه يخلد إلى الهدوء حينما يقع في يد الصياد ويستسلم للقضاء والقدر في انتظار الفرصة المؤاتية للنجاة . لقد كان بإمكاني أن أستعث وأستجذب بأهالي الكاظمية فيهون سراعاً لنجدي والدفاع عنـي ، ولكن ما هي النتيجة غير اراقة الدماء نـم يتهمـي الأمر بالقبض علىـه ذليلاً مهاناً . فاختـرت على عجل وبهدوء ان أكون صـفراً وأوصـيت أهـل بيـتي ان لا يـرفعوا صـوتـاً ، وارتـديت مـلابـسي بـسرـعة وفتحـت الـباب حيث اخـطفـت بـسرـعة أـيضاً فيـ سيـارة الىـ القـطار .

كانت محطة القطار عند وصول المخالصي إليها في ظلام دامس ، وقد أحـيطـت بـقوـة كـبـيرـة منـ الجـيشـ والـشـرـطـةـ . وـكانـ قدـ أـعـدـ فيهاـ قـطـارـ خـاصـ مؤـلـفـ منـ قـاطـرةـ وـثـلـاثـ عـربـاتـ ، فـخـصـصـتـ أحـدـىـ العـربـاتـ لـنـقلـ المـخـالـصـيـ وهيـ منـ الـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ . أمـاـ الـعـربـاتـ الـأـخـرـيـانـ فـكـانـتـ منـ الـدـرـجـةـ التـالـيـةـ وـخـصـصـتـ لـنـقلـ القـوـةـ الـمـكـلـفةـ بـحـرـاسـةـ القـطـارـ فـيـ الطـرـيقـ .

وجـيـءـ بالـأـرـبـعـةـ الـذـينـ كـانـواـ مـعـتـلـينـ فـيـ السـرـايـ بـبـنـدـادـ ، فـارـكـبـواـ فـيـ الـعـربـةـ الـتـيـ كـانـ المـخـالـصـيـ فـيـهاـ . وـكـانـ الـظـلـامـ شـدـيدـاـ فـلـمـ يـعـرـفـواـ انـ المـخـالـصـيـ فـيـ الـعـربـةـ مـعـهـمـ . يـقـولـ سـلـمانـ الصـفـوـاتـيـ فـيـ مـذـكـرـاتـهـ : «ـ كـنـتـ وـحـدـيـ المـدـخـنـ بـيـنـ رـفـاقـيـ فـأـشـعلـتـ عـوـدـاـ مـنـ الثـقـابـ لـأـرـىـ ، وـيـاـ لـهـوـلـ مـاـ رـأـيـتـ ، رـأـيـتـ الـإـمـامـ المـخـالـصـيـ حـاسـرـ الرـأـسـ وـقـدـ جـلـسـ فـيـ زـاوـيـةـ مـنـ الـمـقـطـورـةـ وـاضـعـاـ رـأـسـهـ بـيـنـ يـدـيهـ ، وـكـانـ مـطـرقـاـ تـبـدوـ عـلـيـهـ عـلـامـاتـ الـكـاتـبـةـ وـالـاعـيـاءـ ، فـتـقـدـمـتـ إـلـيـهـ وـسـلـمـتـ عـلـيـهـ ، وـقـبـلـتـ يـدـيهـ ، وـهـكـذاـ فـلـ رـفـاقـيـ ، وـجـلـسـتـ إـلـيـهـ .

جنبه في صمت مطبق وأنا غير مصدق أني يقظة أنا أم في منام ٠٠٠ (٣٢) ٠

تحرك القطار بهم متوجهاً نحو البصرة ٠ وفي صباح اليوم التالي نشرت
الجرائد في بغداد بلاغاً رسمياً هذا نصه :

لقد توفرت الأدلة المقنعة بأن الشيخ مهدي الخالصي وولديه
والشيخ سلمان القطيبي والشيخ علي نقى هم الذين أتوا بما ورد في البيان
السابق ، وعليه أخرجوا من البلاد العراقية ٠ والحكومة تود أن تعلن مرة
أخرى بأنها عازمة على تسليم السلطة القانونية إلى ممثل الشعب الحقيقيين
و لا يمكنها أن تساهل إزاء تلاعب الأهواء الأجنبية تحت ستار السلطة
الدينية في الأمور الحيوية المتعلقة بحقوق الأمة ، (٣٣) ٠

حركة المجتهدين :

عندما انتشر الخبر في الكاظمية صباحاً امتنع الناس عن فتح دكاكينهم
احتياجاً ، وأخذوا يتجمرون في الصحن ٠ وقد أبدى عبدالرازق الفضلي
شاططاً ملحوظاً في تفريق المتجمرون وبث جواً من الارهاب في البلدة ،
فأرسل المنادين ينادون في الاسواق يهددون من يستمر على اغلاق دكانه
بالعقوبات الصارمة ، كما أرسل افراداً من الشرطة ليسجلوا أسماء أصحاب
الدكاكين المغلقة والبحث عنهم ٠ وقد أمرت جهوده في هذا السيل فصار
الناس يقتبون دكاكينهم شيئاً فشيئاً ، ولم يكدر يتصرف النهار حتى كانت
البلدة قد عادت إلى حالتها الاعتيادية ، ولم يبق فيها سوى بعض الاشاعات
يتهمس بها الناس هنا وهناك وهم يتلقون مخافة أن يراهم أحد ٠

وقد جرى مثل هذا في بغداد حيث انتشر الاضراب في بعض
الأسواق ، لاسيما في سوق الصفافير وبعض الأسواق المجاورة ، ولكن التدابير
الشديدة التي اتخذتها الحكومة جعلت الناس يسرعون إلى فتح دكاكينهم على
نحو ما فعل أخوانهم في الكاظمية ٠

(٣٢) جريدة «الحوادث» - في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٣٠ ٠

(٣٣) جريدة «العراق» - في عددها الصادر في ٢٧ حزيران ١٩٢٣ ٠

وقد حاول فريق من رجال الدين في الكاظمية أن يقوموا بحركة يعلنون بها تضامنهم مع الخالصي واحتاجتهم على نفيه ، فاجتمعوا في دار الشيخ مهدي المرأياتي في محلة التل ، وأرسلوا إلى رجال الدين الآخرين يطلبون منهم الانضمام إلى حركتهم ، فاعتذر هؤلاء ولم يؤيدوهم . وقيل إن أحد المجتهدین الكبار لم يكتف بعدم التأييد بل تفوه بكلمة شديدة ذم بها الشيخ مهدي الخالصي لتدخله في السياسة وقال انه طلما نصحه فلم يرتدع . وبهذا ماتت الحركة في مهدها وتفرق أصحابها .

ولكن الأمر في النجف جرى على خلاف ما جرى في الكاظمية ، إذ لم يكدر الخبر يصل إلى النجف في صباح ٢٧ حزيران حتى عم الاضراب الأسواق ، وتجمّع الناس ، وأعلن المجتهدون أنهم متضامنون مع الخالصي وأن نفيه اهانة للدين وأهله ، وصمموا على الهجرة من العراق احتجاجاً . وفي عصر ذلك اليوم غادر عدد من المجتهدین النجف ، وكان في مقدمتهم السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين الثاني ، فذهبوا إلى مسجد « السهلة » للاعتكاف فيه ليلة واحدة كما جرت عليه العادة ، فزارهم هناك جمّور من أهل الكوفة . وفي صباح اليوم التالي توجه المجتهدون إلى الكوفة ، ومن هناك استقلوا الزوارق البخارية متوجهين إلى طويرييع . ومن طويرييع ركبوا السيارات إلى كربلاء .

كانت الحكومة قد استعدت للأمر مقدماً . ففي ٢٦ حزيران وصل إلى كربلاء مولود مخلص بعد أن صدرت الإرادة الملكية بتعيينه متصرفاً للواء . وقد شرع هذا المتصرف باتخاذ الإجراءات الشديدة فور وصوله إلى كربلاء ، فأبرق إلى قائممقام النجف يقول له : « يجب أن لا تأذنوا لأحد بالسفر إلى إيران مع العلماء الإيرانيين . يجب أيضاً أن لا تأذنوا لأحد بالخروج من النجف إلا باذن من الحكومة . امنعوا الوسائل النقلية عن نقلها ركاب بدون إذن من دائرة الشرطة إلى صدور أمر آخر . بلغوا بذلك دائرة الشرطة » .

وقد أجابه القائمقام قائلاً : « لم يسافر أحد من أهالي النجف الى ايران مع العلماء الايرانيين ، بل سافروا الى كربلاء ٠٠٠ و بكلهم اليوم في كربلاء ، ولم يبق هنا من لم يلتحق . وأما منع جميع الركاب والمسافرين مطلقاً الى كربلاء وغيرها يوجب الحرج والقيل والقال ، والحال - والحمد لله - في القضاء في كمال الهدوء والسكنية . فاسترحم التصريح من يجب منه ومن لم يجب . منتظرن أمركم »^(٣٤) .

حين وصل المجتهدون الى كربلاء أعدت لهم خيمة خاصة للنزول فيها ، ومنع الأهالي من الاتصال بهم . وقد انضم اليهم عدد من المجتهدین الكربيلاةين . وحاول المتصرف التفاهم معهم غير أنهم أصرروا على مقادرة العراق . فأبانت الحكومة الى المتصرف تأمراه بتسهيل سفر الذين يحملون الجنسية الإيرانية منهم ، أما الباقيون فيجب ابقاءهم في العراق ووضعهم تحت مراقبة الشرطة .

وفي ١ تموز توقيع صالح حمام مدير شرطة كربلاء تسفير المجتهدین الذين يحملون الجنسية الإيرانية ، وكانوا تسعة وهم : أبو الحسن الاصفهاني وحسين الثاني وجواد الجواهري وعلي الشهري وعبدالحسين الشيرازي وأحمد الخراساني ومهدى الخراساني وحسن الطاطبائى وعبدالحسين الطاطبائى . وكان يصحبهم ٢٥ رجلاً من أتباعهم . وقد أركبوا جميعاً في سيارات تحت حراسة قوية من الشرطة . ولما وصلوا الى الخبر قرباً من بغداد سير بهم الى منعطاف الدورة حيث عبروا دجلة من هناك ، وكانقصد من ذلك ابعادهم عن أنظار الناس لكي لا يعلم بوصولهم أحد . وفي صباح ٢ تموز سار بهم قطار خاص الى خانقين ، ثم نقلوا الى ماوراء الحدود .

وفي ٣ تموز نشرت جريدة « العراق » خبراً بعنوان « سفر بعض العلماء الى ايران » هذا نصه :

(٣٤) عبد الرحيم محمد علي (النجف والمجلس التأسيسي) - في مجلة « الرابطة » النجفية - في عددها الصادر في ايلول ١٩٧٥ .

لقد شاع في العاصمة ان بعض العلماء المجتهدین في النجف الأشرف قد عقدوا النية على مغادرة البلاد العراقية وقد استقصينا الأمر من مديرية المطبوعات فأخبرتنا بصورة رسمية ان البعض من حضرات العلماء الایرانیین على أثر نشر بلاغ الحكومة بشأن تدخل الاجانب بشؤون البلاد السياسية قد أظهروا رغبتهم في الرجوع الى وطنهم ایران . وقد قابلهم سعادة متصرف كربلاء باسم الحكومة العراقية وأفهمهم ان الحكومة لا تضمر عليهم أي سوء وانهم لا يزالون موضع الحفاظة والاحترام ما داموا موظفين على الخدمة الدينية بارشاد الناس الى أمور دينهم . فأظهر العلماء شديد رغبتهم في الرجوع الى أوطانهم . ولذلك قامت الحكومة بكل التسهيلات المقتصدة ل توفير استراحتهم فسي سفرهم ٠ ٠٠٠

وفي اليوم نفسه - أي في ٣١ تموز - كتب جلال الدين خان کيهان القنصل الایرانی العام بفداد الى المندوب السامي يحتاج على تسفير المجتهدین ، وقد ذكر في كتابه ان المجتهدین عموماً معاملة خشنة كما يعامل المجرمون ، وان هذا يعد اهانة لا يمكن تبريرها تجاه ممثلی الدين الاسلامي بوجه عام ، والطائفة الشیعیة بوجه خاص . فأجاب المندوب السامي عليه بكتاب قال فيه ان الشیخ مهیدی الخالصی انما أبعدته الحكومة العراقیة بموجب قانون الاقامة لانه تدخل في سیر الانتخاب بصورة غير قانونیة وأصدر فتوی بتکفیر الذين يشارکون فيها ، أما المجتهدون الآخرون فان الحكومة لم تبعدهم وان متصرف کربلاء حاول اقناعهم بأنهم سيبقون موضع احترام الحكومة اذا حصروا جهودهم في المسائل الدينية وحدها ، غير أنهم أصرروا على العودة الى وطنهم ایران ، وقد وفرت الحكومة العراقیة لهم كل أسباب الراحة أثناء السفر وأعدت لهم قطاراً خاصاً على الرغم من أنهما حاولوا اثار المظاهرات ضد الحكومة في طريقهم من النجف الى کربلاء . ويستهی کتاب المندوب السامي بابداء الاعتذار عن التأخیر في ارسال الجواب باعتبار ان هذا التأخیر كان ضروریاً لقيام المندوب السامي بالتحقيق في

الشكاوي التي ذكرها القنصل الايراني العام (٣٥) .

حادثة في الحلقة :

حيث جرى تسفير المجتهدين من كربلاء في ١ تموز أخذت الحلة تحفظ لاعلان احتجاجها على هذا العمل . وكان العالم الديني في الحلقة يومذاك هو الشيخ محمد سماكة اذ كان وكيلاً لاحد المجتهدین الكبار في النجف ، وقد صار هذا الرجل يحرض الناس على التظاهر تأييداً للمجتهدین واحتتجاجاً على تسفيرهم . ولم يهمن ذلك على متصرف اللواء ناجي شوكت فاوعز الى مدير الشرطة بابعاد الرجل الى بغداد .

جرى ابعاد الشيخ محمد سماكة في مساء ٢ تموز ويحدثنا ناجي شوكت في مذكراته عن كيفية القاء القبض عليه فيقول ما نصه :

« ٠٠٠ فطلبت الى مدير الشرطة أن يزور الرجل في داره بعد عودته من صلاته في المسجد مسامداً ويستصحبه الى محطة القطار ٠٠٠ وكان من عادة الرجل بعد أن يؤدي الفريضة في المسجد القريب من داره أن يسهر بعض الوقت مع من يأتون به في صلاته ثم يعود الى داره . والظاهر ان مدير الشرطة كان حديث عهد بالاجرام والاحتياطات في مثل هذه الظروف فقام بعمل طائش كاد يوقعنا في ورطة ، فقد اصطحب ثلاثة من الشرطة وأحاط بالمسجد المذكور وأكره وكيل المجتهد على أن يتوجه الى محطة القطار . وهكذا استله من بين جماعته ومربيه وذهب به الى المحطة ، وإذا بهؤلاء المربيين يخرجون الى الشارع على شكل مظاهرات صاخبة ، وكانت حوالي العاشرة ليلاً . وبينما أنا انتظر تأثير الابعاد اذا بخدمي يقول ان الاهلين بدأوا يحيطون بداري وان عددهم آخذ بالازدياد . و كنت أسكن في الدار وحدى ولم يكن معي فيها غير الخادم المذكور ، فأطفأفات الانوار في غرفتي المطلة على الشارع ، وصرت أطلع الى ما يجري في الشارع ومسدي بيدي ، وإذا بالخادم يقول

(٣٥) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (اف . أو . ٣٧١ - ٩٠٤٧)

ان التجمّهرين يطلبون اليه ان يفتح باب الدار ليدخلوها ويقابلوني فيها . فكان الوضع في متى الحرارة ، وزاد في حرارته اني لم أتلق من مدير الشرطة شيئاً عما جرى وتم ، ورأيت من المصلحة أن لا أقابل الناس لثلا يطلبون أمراً قد لا أرضاه مثل العدول عن ابناء وكيل المجتهد . لذا طلبت من خادمي أن يتسلق سطح الدار ويتسلل الى معاون مدير الشرطة ، وهو في داره القريبة من داري ، ويستدعيه الى مقابلتي فوراً بعد أن يتخذ التدابير التي يراها مناسبة لبعد التجمّهرين حول الدار . وكان المعاون المذكور عند حسن الظن به ، فقد استطاع أن يشتت الجموع المتحشدة في الشوارع . وفي الساعة الحادية عشرة بدأ الوضع يتحسن والازدحام يخف .^(٣٦)

ويقول ناجي شوكت ان المستشار البريطاني في اللواء ، وهو الميجر لونكريكت الذى اشتهر فيما بعد بمؤلفاته عن العراق ، زاره في بيته في الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة واخذ يستفسر منه عن الاسباب الشيء حملته على ابعاد الشيخ دون أخذ رأيه باعتباره مستشار اللواء ، وألح الى أنه لا يستطيع تحمل مسؤولية تردي الوضع العام ، ونصحه بأن يلغى قرار الابعاد ويطلق سراح الشيخ فوراً . فأجابه المتصرف بأنه مستعد لتحمل كل مسؤولية بما سيحدث من جراء العمل الذي قام به ، وأنه سيخبر الوزارة ببغداد بأنه اتخذ قرار الابعاد دون استشارة المستشار . ثم طلب المتصرف من المستشار أن لا يتقبل مراجعة أي شخص في هذا الشأن على أساس أنه - أي المتصرف - قام به على مسؤوليته .

كانت بلدة الحلة في صباح اليوم التالي هادئة ، وحين وصل المتصرف الى دائرة لزاولة عمله كالممتاز زاره سلمان البراك وطلب منه الاذن لوفد من الاهالي يريدون مقابلة . وكان الوفد مؤلفاً من عشرين شخصاً . وحين دخلوا على المتصرف أخذوا يرجون أن يساعدهم في اعادة الشيخ المبعد ،

(٣٦) ناجي شوكت (سيرة وذكريات) - بيروت ٩٧٥ - ص ٦٩ .

فقال المتصرف لهم : « اذا تعهدتم لي بانها مقاطعة الانتخابات وتأمين جرياتها
بحسب الاصول ، فاني أعدكم بارجاعه بعد اسبوع واحد » . فاظهرروا
استعدادهم للتعاون مع الحكومة في هذا الشأن . فابرق المتصرف الى وزارة
الداخلية يطلب منها رفع الرقابة عن الشيخ والسماح له بالعودة لزوال
الاسباب التي أدت الى ابعاده . وقد زار لونكريك المتصرف بعد هذا وقال له :
لقد نجحت في خطتك نجاحاً ملحوظاً واني كنت اخشى العواقب من هذا
الابعاد ^(٣٧) .

الملك في الفرات الأوسط :

قلنا ان الملك أراد أن يبتعد عن بغداد عند القاء القبض على الخالصي
فذهب الى البصرة . ولم يغادر الملك البصرة الا بعد ان اطمأن من القاء
القبض على الخالصي وان كل شئ سار على مايرام . وفي مساء ٢٧ حزيران
غادر الملك مع حاشيته البصرة . ومن مفارقات القدر ان يصل قطار الخالصي
إلى محطة البصرة في نفس الوقت الذي كان فيه قطار الملك يغادر المحطة .
يقول سليمان الصفواني : « وفدت القاطرة في محطة البصرة التي التقينا فيها
بقطار صاحب الجلالة الخاص خارجاً من البصرة . فكان من فيه يطل علينا
من نوافذ المركبات المتألقة بالأنوار الكهربائية » ^(٣٨) .

وفي ٢٨ حزيران جرى للملك في الديوانية احتفال عظيم حضره
الكثير من رؤساء عشرات الفرات الأوسط . وقد أطربت جرائد بغداد في
وصف ذلك الاحتفال ووصفت الحاضرين فيه بأنهم أبطال ثورة العشرين .
وفيما يلي نص ما نشرته جريدة « العراق » في هذا الصدد تفلاً عن مندوبيها
في الديوانية :

« اجتمع شيوخ الشامية ورؤساؤها وزعماء قبائلها منها الفطوالم

(٣٧) المصدر السابق - ص ٦٩ - ٧١ .

(٣٨) جريدة « الحوادث » - في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٣٠ .

والبو حسان والصفان والأعاجيب وبني زريع والاكروع والباحثه
 وعفج والبدير والدغاره والخراجل والشبل والقتله وبني حسن والسعيد
 وغيرهم في سرادق كبير عصراً بجلالة الملك . وأقسموا لجلالته باليمان
 المغلظة انهم متفانون في اتباع سياسة جلالته وامثال اوامره وهم متأنبون .
 لقتل كل فكرة أو ديسسة تمس مصالح البلاد الرئيسية والقومية العربية
 وسحق كل مروج لذلك وهم لا يصرون على تأخير الانتخابات يوماً واحداً، وما
 قاله الزعيم الشيخ شعلان أبو الجون : انتا يد جلالتك القوية في تحقيق
 استقلال الأمة المطلق بالطرق التي ترجحونها وطوع ارادتك اليوم وغداً كما
 بالأمس . فأجابهم جلالته بأن الحكم اليوم للامة وما أنا الا كبير خدامها
 العامل على تحقيق أمانها الحرة . اني سرت كثيراً بشعوركم الوطني في
 ضرورة قبض الأمة على مقاييس أمورها وان هذه البلاد التي حررت نفسها
 والتي لو عصرنا ترابها لقطر دم الاجداد منه لا يمكن أن تستسلم لدعوه
 أجنبية أو تعرض كيانها للخطر . الأمة بحاجة الى دستور يصنعه ممثلوها
 طبق ارادتها وتقاليدها وشرائعها . فاشتلت الحماسة وأمن الجميع على
 كلمات جلالته وزادوا بأن قبائلنا بأسرها سيفك القاطع في تأييد سياستك
 الرشيدة ، هذا عهتنا أمام الله والعالم »^(٣٩) .

ان هذا الذى نشرته الجرائد البغدادية كان المقصود به طبعاً ان يعلم
 الرأى العام بأن عشائر الفرات الاوسط ، ولاسيما تلك التي ساهمت في
 ثورة العشرين ، تقف الى جانب الملك وتوبيده على ما فعل من نفي الخالصي
 وتسفير المجتهدين . ومن العجدير بالذكر أن الجرائد لم تكتف بما نشرته
 بل أخذت بعد ذلك تنشر المقالات الطويلة في ذم المجتهدين بصورة غير
 مباشرة وتصفهم بأنهم أجانب وأنهم يملكون ذهنية محدودة ويريدون هدم
 كيان الدولة التي أقيمت على جماجم الآلوف من الشهداء .

(٣٩) جريدة «العراق» - في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٢٣ .

كانت أعنف المقالات التي نشرت في ذم المجتهدين تلك التي كتبها سليمان الشيخ داود بتوقيع (س . د .) . وفيما يلي نموذج من احدى مقالاته وهي بعنوان « الجبن الادبي » حيث قال فيها :

« مع ان هؤلاء المتذبذبين قد عاشوا متنزليين بسماء العراق العربي واستنشقوا هواء هذه البلاد فانهم لم يفتوا عن محاربتها والايقاع بها تحت ستار مزركسن يأخذ لمعانه بأصوات السذاج من أبناء البلاد آلا وهو ستار الديانة والوحدة الدينية وغيرها التي لا يمكن تحقيقها نظراً الى انتشار مبدأ القومية ، وأنا على يقين من أنهم لم يقصدوا سوى الفت في ساعد الحركة العربية المباركة ، فهم بذلك يخونون البلاد التي يتعمدون تحت ظلها الوارف بقصد خدمة شعب أجنبى كان من أكبر عوامل القضاء على دولة العرب وبادرة مدنتهم الزاهرة . ومع ما انطوى عليه هؤلاء الافراد من روح العداء للبلاد فانهم يظهرون اذا جوبهوا كل جبن وخضوع » (٤٠) .

وفي مقالة أخرى بعنوان « العقلية البسيطة » هاجم سليمان الشيخ داود المجتهدين حيث وصفهم بأنهم يعملون في السياسة دون أن يكون لديهم أي المام بالعلوم العصرية التي هي ضرورية لكل من يعمل في السياسة ، فهم لا يعرفون تاريخ الشعوب ونفسيتها ، بل لا يعرفون حتى حدود بلادهم ، ولا يعرفون من تاریخ قومهم الا صحفة مليئة بالخرافات (٤١) .

المجتهدون في ايران :

كان المجتهدون عندما أخرجوا من العراق من جهة خانقين توجهوا نحو كرمانشاه فوصلوها في ٧ تموز ، وقد جرى لهم في تلك البلدة استقبال عظيم اشترك فيه الأهالي والحكومة . ومكثوا في كرمانشاه شهراً . وقد

(٤٠) جريدة « العراق » - في عددها الصادر في ٥ تموز ١٩٢٣ .

(٤١) جريدة « العراق » - في عددها الصادر في ١٠ تموز ١٩٢٣ .

أسرق القنصل البريطاني في تلك البلدة في ١٧ تموز الى السربرسي لورين الوزير المفوض البريطاني في طهران يذكر له ماجرى في البلدة أثناء مكونهم فيها ، حيث قال : ان المجتهدین کان حقهم موجهاً ضد الحكومة العراقية وانهم ذكروا على ملأ من الناس أنهم لن يعودوا الى العراق اد بشرط منها عزل الملك فيصل وأن لديهم رسائل من رؤساء العشائر الكبار في العراق يؤيدونهم في مطلبهم هذا . ويشير القنصل البريطاني في برقيته الى ظاهرة طريفة هي ان الحزب الشيوعي في كرمانشاه أصبح فجأة شديد التدين وأعلن أعضاؤه تعلقهم بأحد المجتهدین وهو السيد علي الشهريستاني وأخذوا يحضرون المسجد من أجله كل يوم ، وصار رئيس الحزب بمثابة الناطق باسمه . ويقول القنصل ان هذه الظاهرة ربما أدت الى عواقب خطيرة وأثارت مجالاً للبلاشفة لينفذوا منه ، وقد ذهب القنصل الروسي بصحة ترجماته المرزا ابراهيم خان لزيارة المجتهدین الثلاثة : السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين الثاني والسيد علي الشهريستاني ، غير أن الاصفهاني والثاني لم يكلماه ، أما الشهريستاني فكان لقاوه معه ودياً . ثم ذكر القنصل البريطاني في برقيته ان المرزا ابراهيم خان نجح قبل بضعة ايام في تحریض الاهالي ضد بريطانيا ، فاغلق الأسواق وخرجت مظاهرات غير أن السلطة العسكرية منعتها بايعاز من السيد علي الشهريستاني (٤٢) ٠٠٠

غادر المجتهدون كرمانشاه متوجهين نحو بلدة قم . وقد جرى لهم في المدن والقرى التي مرروا بها استقبال هائل لامثل له حتى ان بعض الناس كانوا يرمون بأنفسهم أمام سيارات المجتهدین لاظهار فدائتهم لهم . وفي ١٧ آب وصل المجتهدون الى قم فاستقروا فيها . وهي بلدة مقدسة تضم ضريحًا فخيمًا لأحدى بنات الامام الكاظم كما تضم حوزة للعلوم الدينية كبيرة .

(٤٢) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف. أو. ٣٧ - ٩٠٤٧) .

أخذت الحركة المعادية لبريطانيا تستفحى في مختلف أنحاء ايران ،
ولاسيما في العاصمة طهران . وقام الحزب الشيوعي بدور مهم في هذا
السبيل . وحين حل شهر محرم في ١٤ آب صار خطباء التعزية والوعاظ
يثيرون الناس ضد الانكليز ويدعونهم الى اقامة المظاهرات ومقاطعة
البضائع البريطانية .

كان الشيخ محمد الخالصي قد أبعد الى ايران في السنة الماضية ، كما
أشرنا اليه في الفصل السابق . وقد استقر في طهران . وحين حدث تسفير
المجتهدين اتّهَرَ الشيخ محمد الفرصة ، وهو خطيب مفوه ، فأخذ يشن
الحملات الشعواء على بريطانيا والمؤيدين لها . وقد ذكر السربرسي لوزين
في برقية له الى لندن : ان الشيخ محمد الخالصي بعد المهايج الرئيس ضد
الانكليز في طهران وانه على اتصال وثيق بالمنفوية الروسية . وذكر أيضاً
ان الموظفين السوفياتيين في ايران استغلوا حادث تسفير المجتهدين واتخذوه
سلاحاً بأيديهم لاثارة الناس ضد بريطانيا^(٤٣) .

اضطر السربرسي لوزين أن يذهب الى بغداد بطائرة عسكرية أرسلت
اليه من بغداد لكي يحادث المسؤولين العراقيين بغية اقناعهم في اعادة
المجتهدين الى العراق . ولكنه عاد من غير نتيجة . وفي ٣٠ آب أُرسِلَ الى
اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية برقيه طويلة شرح فيها الموقف
المتأزم في ايران من جراء تسفير المجتهدين . وفيما يلي نقل جزءاً من تلك
البرقية .

« سيدى اللورد - ان بحادثة خروج المجتهدين من العراق وتتابع
وصولهم الى هذه البلاد كانت موضوع سلسلة من البرقيات التي أرى من
الضروري عرضها عليكم . ان ظروف خروجهم والطريقة التي عوملوا بها
أظهرت خلافاً في الرأي بين هذه المنفوية والمندوب السامي في بغداد .

^(٤٣) عن دائرة الوثائق بلندن - رقم (آف. أوه ٣٧١ - ٩٠٤٧) .

فمن وجهة نظر السياسة البريطانية في ايران لا يمكن أن يكون هناك أمر أشد سوءاً من هذه الحادثة ٠ فبعد مدة طويلة من العلاقات غير المرضية مع الحكومة الإيرانية أخذ الصداع لبريطانيا يضعف بينما هبطت سمعة المفوضية السوفياتية ونفوذها إلى الحضيض ، وأصبح الطريق مفتوحاً لاعادة العلاقات الودية بين بريطانيا وإيران على أساس أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تسكن وتود أن تساعد إيران في طريق التقدم الإداري والتنمية الاقتصادية لما لها من عواطف تقليدية في هذا الشأن ٠ ولكن نفي الشيخ محمد العالصي وما أعقبه من خروج المجتهدين الكبار مع ستة وعشرين رجلاً من أتباعهم احتجاجاً على ذلك أتى بنتيجه كبيرة في إيران بدعوى أن هؤلاء الأشخاص المقدسين قد طردوا بالقوس من العراق بواسطة الانكليز ، وإن الانكليز قد وجهوا بذلك أفعظم اهانة إلى العقيدة الشيعية ، وكشفوا النقاب عما كانوا يدعونه من جبهم للإسلام وأظهروا أنفسهم بأنهم أعداء الألداء ٠ وليس ضرورياً أن أضيف إلى ذلك أن البلاشفة استغلوا ذلك تمام الاستغلال حيث أصبح في يدهم سلاح للدعائية لم يتوقعوه ، فاستخدموه بكل طاقتهم لاثارة العداء ضد بريطانيا والنقطة عليها ٠٠٠٠ انى عند وصولي الى بغداد وتبادل الرأي مع السر هنري دوسن والمسؤولين البريطانيين الآخرين في العراق وجدت الموضوع أكثر دقة مما كنت أتصوره فأن المسؤولين العراقيين قد اتخذوا اجراءات التقى من تلقاء أنفسهم وعلى مسؤوليتهم ، وأنهم مسرورون جداً من النتائج ولم يكونوا راضين عن قدوسي الى بغداد ، فأنهم يخشون أن يؤدي الضغط البريطاني عليهم ان يعودوا الى ما كانوا فيه ويضحون ما يعتقدون أنه في مصلحتهم ٠٠٠ والواقع أن وضعهم يجعلهم مضطرين الى الاستقالة في حالة الضغط عليهم ، وهم يؤكدون ان ليس هناك أية حكومة أخرى يمكن أن تحل محلهم ، وإذا حدث هذا فان السلطة البريطانية ستجد من الضروري العودة الى الادارة المباشرة الأمر الذي لا ترضاه حكومة صاحب الجلالة البريطانية ٠ ومن

الناحية الأخرى فان الحكومة العراقية ليس لديها أية نية أو رغبة في عودة المجتهدین الى العراق خلال أية مدة محددة ٠٠٠ وعلى هذا فقد شعرت بأن اصراري على وجهة نظري ، وهي الوجهة التي تبررها الظروف في ايران حسب فهمي لها ، لا تؤدي الا الى الفشل التام في الحصول على طريقة وسطي للحل ٠٠٠

وأشار السربرسي لورين في برقته الى أنه في أثناء مكوثه في بغداد قابل الملك فيصل بحضور السر هنري دوبس وعبدالمحسن السعدون وكورنواليس ، فوجد السعدون متصلباً جداً تجاه عودة المجتهدین بينما كان الملك ميلاً للنظر فيما يهدى، الوضع الخطير في ايران . وقد اتفقا أخيراً على النظر في أمر عودة المجتهدین بعد الانتهاء من انتخابات المجلس التأسيسي والمصادقة على المعاهدة وملحقها . وذكر لورين انه بعد عودته الى طهران قابل الشاه كما قابل الوزراء وحادثهم في الموضوع الذي كان يشغل بالهم وقال لهم : « ان مصلحة الحكومة الإيرانية والحكومة العراقية في هذا الموضوع واحدة ، ذلك أن تركز السلطة الدينية في أيدي المجتهدین الكبار في ايران بحيث جعلهم فوق سلطة الحكومة المدنية أمر شاذ لا يمكن لأية حكومة حديثة أن تسماح به مدة طويلة ، ولهذا كان من الطبيعي أن تقاوم الحكومة العراقية مثل هذا التسلط بكل ما تملك من طاقة » . ويقول لورين ان هذا الكلام كان له أثره في الشاه ووزرائه^(٤٤) .

الخالصي في البصرة :

ان القطار الذى نقل الشيخ مهدي الخالصي ورفاقه الاربعة من بغداد قد وصل الى محطة البصرة في مساء ٢٧ حزيران كما أشرنا اليه من قبل . وقد نقلوا من المحطة رأساً الى قصر يقع على شط العرب تجاه السراجى يسمى « قصر أغا جعفر » . وادعت الحكومة في حينه انها اسكتتهم في

(٤٤) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف.او. ٣٧١ - ٩٠٤٨) .

هذا القصر لكي توفر لهم أسباب الراحة والترف باعتبار ان هذا القصر كان يعتبر من أفحى قصور البصرة في تلك الايام ٠ ولكن سلمان الصفواني ينفي صحة ما ادعته الحكومة حيث قال : صحيح انها اسكنتنا في ذلك القصر الفخم غير أنها وضعتنا في غرفة تحتانية منه ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب الاليم (٤٥) ٠ ويصف الصفواني ما جرى عليهم في تلك الغرفة فيقول مانصه :

« لم يكن في هذه الغرفة حتى حصیر نجلس عليه ، فتمنا جلوساً في تلك الليلة مستندین الى نوافذ الغرفة ، وكان الحر شديداً ، وكان البعض بأحجام كبيرة وأسراب كثيرة يهاجمنا بالارحمه ، فلم تمض لنا عين ، مضافاً الى أننا لم تناول طعاماً منذ الليلة التي قبض فيها على الامام الخالصي ، والجائع لايام ٠ وكان الواحد منا اذا ذهب الى المرافق الصحيحة رافقه جندي هندي مسلح ٠ وكان هؤلاء الجنود شرسين جداً ٠ وفي الصباح جي ، لنا بضعة أرغفة من الخبز العادي وقطعة من الجبن الايضاً المتحجر مع الخيار التعروزي ٠ فلم نستطع تناول شيء من هذا الطعام ٠ وجى لنا ظهراً ومساءً بمثل ذلك فلم تناول منه شيئاً ، وقررتنا اضراب عن الطعام ٠ ودام اضرابنا ثلاثة أيام ظهر علينا خلالها الاعياء التام ٠ وفي اليوم الثالث من اضرابنا جاءنا مفتش شرطة بريطاني وألقى نظرة على الغرفة التي نحن فيها فشم رائحة كريهة تنبث من زاوية الغرفة مما يلي الباب فدنا منها حيث رأى كمية من الخبز والجبن وال الخيار قد وضع بعضه على بعض من دون أن تمسه يد حتى تعفن ، ورأى أن الغرفة حالية حتى من الحصران وأن لا شيء ن GAM عليه . فبدت عليه علامات الاستياء وخرج من الغرفة من دون أن ينسى بنت شفة ٠ وبعد بعض ساعات عاد المفتشلين ، وكان قد ذهب الى البصرة بزورق بخاري ، فإذا بالجنود ينقلون اليانا أماث بيت كامل من سجاد وفرش وقباب وكراسي ومناضد وأواني ومواد التموين والطعام

(٤٥) جريدة «الحوادث» - في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٣٠ ٠

على اختلافها ، بسخاء عجيب . وقيل لنا ان الحكومة قد عينت لنا طباخاً
ليطبّه الطعام لنا حسب ذوقنا . ولما كنـت المدخن الوحـيد بين رفـاقـي فـقد قـرـرـ
تزوـيدـي بـ (٤٠٠٠) سـيـكارـةـ فيـ الشـهـرـ منـ السـكـاـيرـ العـراـقـيـ ذاتـ العـقـبـ . وـقدـ
أـفـادـتـنـاـ أـعـقـابـ هـذـهـ السـكـاـيرـ اـذـ لـمـ يـكـنـ لـدـنـاـ وـرـقـ نـكـبـ عـلـيـهـ ، فـكـتـ أـحـفـظـ
بعـقـبـ كـلـ سـيـكارـةـ لـتـدوـينـ يـوـمـيـاتـيـ الـمـوجـزـ عـلـيـهـ فـيـ غـفـلـةـ عـنـ أـعـيـنـ
الـرـقـبـاءـ (٤٦) .

مـكـتـ الخـالـصـيـ وـرـفـاقـهـ فـيـ ذـلـكـ القـصـرـ «ـالـفـخمـ»ـ حـتـىـ يـسـومـ
حـزـيرـانـ . وـفـيـ مـسـاءـ ذـلـكـ يـوـمـ طـلـبـ الـبـيـمـ أـنـ يـتـهـيـأـواـ لـلـاـنـتـقـالـ إـلـىـ مـكـانـ
آـخـرـ ، وـأـعـدـ لـهـمـ زـوـرـقـ بـخـارـيـ لـنـقـلـهـمـ ، وـكـانـ الرـوـرـقـ مـلـيـئـاـ بـأـكـيـاسـ الرـزـ
وـالـسـكـرـ وـالـشـايـ وـصـنـافـيـ السـنـنـ بـالـاضـافـهـ إـلـىـ قـطـيعـ مـنـ النـفـنـ ، وـهـيـ كـلـهاـ
مـخـصـصـ لـطـعـامـهـمـ . ثـمـ تـحـرـكـ الزـوـرـقـ بـهـمـ نـحـوـ بـاخـرـةـ إـسـنـاـ ، كـانـتـ
رـاسـيـةـ فـيـ مـوـضـعـ بـيـدـ فـيـ شـطـ الـعـربـ . فـسـدـوـاـ إـلـىـ الـبـاـخـرـةـ حـيـثـ خـصـصـ
لـهـمـ فـيـهـ جـنـاحـ مـنـ الـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ ، كـمـ دـفـعـتـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ نـقـسـاتـ
جـبـ مـقـدـارـهـاـ (٤٧)ـ .

وـقـبـلـ أـنـ تـبـحـرـ الـبـاـخـرـةـ بـهـمـ اـقـرـبـ مـنـهـاـ زـوـرـقـ بـخـارـيـ آـخـرـ وـهـوـ
يـحـمـلـ أـحـمـدـ الـرـاوـيـ الـذـيـ كـانـ يـوـمـذاـكـ مـديـراـ لـشـرـطـةـ الـمـسـتفـقـ وـمـعـهـ عـبـدانـ
مـنـ عـيـدـ الـمـلـكـ هـمـ سـالـمـ وـبـرـجـسـ . فـسـنـدـ الـرـاوـيـ وـمـعـهـ عـبـدانـ إـلـىـ الـبـاـخـرـةـ،
وـقـدـ نـفـسـهـ إـلـىـ النـخـالـصـيـ قـائـلاـ لـهـ : أـنـهـ مـنـ بـيـتـ عـلـمـ وـدـيـنـ وـاـنـهـ أـبـنـ الـعـلـامـ
الـسـيـدـ اـبـرـاهـيمـ الـرـاوـيـ وـقـدـ اـنـتـدـبـ الـمـلـكـ لـرـأـقـتـهـمـ كـمـ بـعـثـ مـعـهـ أـثـنـيـنـ مـنـ
عـيـدـهـ لـلـتـدـلـيلـ عـلـىـ تـكـرـيـمـهـ لـهـمـ وـرـعـائـتـهـ .

مـنـ الجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ أـحـمـدـ الـرـاوـيـ اـنـمـاـ كـانـ مـرـسـلاـ مـنـ الـمـلـكـ
فـيـ الـبـداـيـةـ لـجـلـبـ الـأـمـيـرـ غـازـيـ وـأـمـهـ وـاـخـوـاتـهـ مـنـ الـحـجازـ ، وـلـكـنـ الـمـلـكـ

(٤٦) نـقـلاـ عـنـ مـذـكـراتـ سـلـمـانـ الصـفـوـانـيـ المـخـطـوـطـةـ .

(٤٧) سـلـمـانـ آلـ اـبـرـاهـيمـ الصـفـوـانـيـ (ـمـحـكـومـيـتـيـ)ـ - صـيـداـ ١٩٥٢ـ - صـ ٢٤ـ .

كلفه بمهمة اضافية حين علم انه سيركب في نفس الباخرة التي يركب فيها
الخالصي ٠ وقد حدثني الراوي فقال ان الملوك أوصاه بالخالصي خيراً
وأمره بان يوفر له جميع اسباب الراحة ٠ والواقع ان الراوي لم يقصر
 بشئ في خدمة الخالصي ورعايته ، وقد بذلك في سيل ذلك أقصى جهده ٠

الخالصي حاجا :

حينما وصلت الباخرة «فاسنا» الى يومي نقل منها الخالصي ورفاقه
 الى باخرة أخرى أكبر منها وهي من الباخرات التي تحمل الركاب بين
 الهند ولندن ٠ وقد خصص لهم فيها جناح من الدرجة الأولى كما دفع
 لكل واحد منهم نفقات جيب للمرة الثانية مقدارها ٤١ جنيهاً انكليزياً^(٤٨) ٠

وبينما كانت الباخرة في طريقها الى عدن أرسل الشيخ خزعيل أمير
 المحمرة الى الملك فيصل يطلب منه ان يكون الخالصي في ضيافته ٠ فاجابه
 الملك معتقداً ، وهذا هو نص الرسالة التي أرسلها الملك الى خزعيل :

الى عظمة السردار أقدس الشيخ خزعيل خسان حاكم المحمرة
 أخي العزيز

تلقيت في أهناً ساعة كتابكم الكريم الذي تتوهون به عن رغبتكم في
 إبقاء حضرة الشيخ مهدي في ضيافتكم فشكرت لعظمتكم شعوركم النبيل
 نحو ونحو الشیخ المشار اليه الا انه وباللاسف كان حضرة الشیخ قد
 سافر من يومي متوجهها نحو الحجج قبل وصول كتابكم الكريم . اني وأیام
 الله لشديد الأسف على ما حصل ولكنه مراد الله واقتضت المسؤولية
 المتوجهة على للوطن ومنفعته أن يغادر حضرة الشیخ القطر في هذه
 الآونة بسبب معارضته الشديدة لانتخابات المجلس التأسيسي ومع ذلك
 فاني مقدر وجاهة دعوتكم وسأعمل كل ما يمكن لتحقيق رغبتكم بشأنه
 وفي الختام أرجوكم أن تتقدوا بدوام مودتي واحترامي لشخصكم الكريم .
 أخيكم فيصل^(٤٩)

٢٨ تموز ١٩٢٣

(٤٨) المصدر السابق - ص ٢٤٠

(٤٩) عن وثائق البلاط الملكي - تسلسل ٣ ، رقم ٦٩ ٠

وصلت الباخرة الى عدن في ١٦ تموز ، فنزلوا منها الى الميناء ، وأخذ أحمد الرواى يبحث لهم عن فندق اسلامى لينزلوا فيه فلم يوجد، لأن الفنادق التي في الميناء كانت كلها افرنجية . ولكن الحظ ساعدهم في الوقت المناسب اذ رأهم تاجر كبير من تجارت عدن كان من سكنته الكاظمية سابقاً اسمه حسن علي ، فتعرف عليهم وأخذهم الى محله ووفر لهم أسباب الراحة .

وصلت الى الخالصي عن طريق حاكم عدن برقة من الحكومة الايرانية تدعوه هو وأولاده الى بلادها . غير ان الخالصي رفض الاستجابة للدعوة وقال ان موسم الحج قريب وانه يجب أن يذهب لاداء فريضة الحج اولاً ثم ينظر في أمر الدعوة بعدئذ .

كان من الصعب جداً في ذلك الوقت الحصول على وسيلة للوصول الى مكة قبل بدء الحج ؟ فلم يكن هناك سوى باخرة واحدة ذاهبة الى الحجاز وهي آخر بواخر الحجاج ، وكانت بالإضافة الى ذلك مزدحمة بركابها وليس فيها أي محل شاغر . ولكن حاكم عدن استطاع أن يمهي للخالصي ورفاقه محلاً في جناح قائد الباخرة ، وبذلك تم لهم الوصول الى جدة في الوقت المناسب .

عندما اقتربت الباخرة من جدة خرج لاستقبالها في زورق بخاري قائمقام جدة مع مدير الكمرك ووزير الصحة ، فاستقبلوا الخالصي بالنيابة عن الملك حسين وأعلنوا له أنه هو ورفاقه سيكونون في ضيافة الملك طيلة مكونتهم في الحجاز .

لم يمكن الخالصي في جدة سوى بضع ساعات ، فقد كان على عجل يريد الوصول الى مكة قبل فوات أوان الحج . فأعادت له ولرفاقه حمير حساوية نقلتهم الى مكة حيث وصلوها بعد رحلة متعبة استغرقت تسعة ساعات . وعلى أثر خروج الخالصي من جدة وصلت الى القنصل

البريطاني في جدة برقة من السر برسلي لورين في طهران هذا نصها :

« أرجو ان تجعلوا الشيخ مهدي الخالصي يرسل برقة الى رئيس الوزارة الايرانية يعرب فيها عن امتنانه للحكومة الايرانية لاهتمامها بأمره ويصرح فيها ان الحكومة البريطانية عرضت عليه أن ترسله الى ايران ولكنه فضل اغتنام الفرصة لاداء الحج . ان من المهم جداً أن تجعلوا الخالصي يرسل مثل هذه البرقة لكي يهدأ الهاج الذي يشتد هنا في أواسط رجال الدين » .

فأجاب القنصل على هذه البرقة قائلاً : انه يأسف لعدم امكانه أن يقوم بما طلب منه كما ينبغي ، لأن الخالصي لم يبق في جدة سوى ساعات قليلة حيث وصل إليها ضحى وغادرها عصراً ، ولهذا كان من المستحيل على القنصل زيارة الخالصي فكلف السيد أحمد الرواوى بذلك ، وقد ذكر الرواوى ان الخالصي كثير الريبة والتلصص ولا يفعل شيئاً قبل استشارة القنصل الايراني ، وقد تمكّن الرواوى أخيراً أن يحصل من الخالصي على ورقة موقعة منه ولكنها فيما يبدو لا تنفع الحكومة البريطانية كثيراً . ثم يختتم القنصل برقيته بمحبّ أحمد الرواوى قائلاً انه يستحق التقدير على الجهد الذي بذله في الحصول على الورقة ، وهو لذلك يلفت نظر المتذوب السامي ببغداد الى كفاءة هذا الرجل ويرجو منه اذا وجد ذلك مناسباً أن يلفت نظر الحكومة العراقية الى ذلك ايضاً^(٥٠) .

عند وصول الخالصي الى مكة لم يقم بزيارة الملك حسين كما تقضي به التقاليد الرسمية . فقد كان رأي الخالصي ان العلماء لا يجوز لهم زيارته الملوك ، بل ان الملوك هم الذين يجب ان يقوموا بزيارة العلماء . ويقول الرواوى انه استطاع في منى ان يقنع الخالصي بحضور السرادق المُسلكي الذي اعد لاستعراض الجيش . وهناك التقى الخالصي بالملك وتماماً ،

(٥٠) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف. أو. ٣٧١ - ٩٠٤٧) .

وابدى الملك نحو الخالصي احتراماً كبيراً وكان يخاطبه دائمًا بلقب « مولانا الشیخ » .

ويروى سلمان الصفواني قصة طريفة جرت في أثناء جلوس الخالصي ورفاقه الى جانب الملك حسين في السرادق الملكي ، وهي انهم شاهدوا الامير غازى يتطلع عليهم من وراء ستار وكان يومذاك صبياً في العاديه عشرة من عمره ، فناداه الملك باسم « عون » وقال له : « تعال ياعون سلم على اعمامك الذين استدعوا أباك الى العراق » . ثم أخذ الملك يتحدث اليهم عن السبب الذي جعله ينادي الامير غازى باسم « عون » ، فقال : « عندما كانت أمه حاملة به ظهر لي عمنا الحسين عليه السلام في النام وقال انها ستلد غلاماً ذكرًا فأطلق عليه اسم عون » . ولما ولد الغلام أرادت الاسرة ان تسميه باسم غازى لأن والده كان حينذاك في المسير غازياً ، وأصرت على هذه التسمية فقلت لهم : سموه ماشاوون ولكنني لا أسميه الا عون استجابة لطلب عمنا الحسين » .

الخالصي في قم :

بعد اتمام فريضة الحج وزيارة قبر النبي قرر الخالصي تلية دعوة الحكومة الإيرانية . فركب باخرة أقتله مع رفاقه الى بوشهر . وقد اتفق عنهم سلمان الصفواني حيث ذهب الى البصرة ومنها الى بغداد في قصة طويلة لامجال هنا لذكرها .

عند وصول الخالصي الى بوشهر جرى له فيها استقبال عظيم جداً اذ خرج أهل البلدة كلهم لاستقباله ، كما جات وفود كثيرة من المناطق المجاورة لهذا الغرض . وقد حدثت في أثناء الاستقبال حادثة عجيبة يصعب تسليلها : هي أن رجلاً انكليزياً كان يعمل في شركة النفط بعبادان اخترق جمهور المستقبلين وتتعلق بسيارة الخالصي ثم أطلق عليه رصاصة من مسدسه أخطأته . وقد اثنال الجمهور على الرجل يريدون قتله ، غير ان الجنود

أسرعوا لاستخلاصه منهم ٠ وحين علم السر أرنولد ويلسون بالأمر ، وكان يومذاك مديرًا لشركة النفط ، أرسل إلى الخالصي يبدى أسفه لما جرى ويعتذر بان الرجل كان أثناء الحادث سكران لا يعي وانه قد عزنه من وظيفته وأعاده إلى لندن ٠ ولما وصل الخبر إلى طهران حدث هيجان بين الناس وكانت تقع فتنة غير أن الحكومة عمدت إلى تهدئة الناس حيث أكدت لهم بان الخالصي لم يصب بسوء وإن الرجل قد غلت على عقله التخمرة ولم يتعد ذلك العمل ، فسكن الناس^(٥١) ٠

وبعد أن مكث الخالصي في بوشهر قليلاً غادرها إلى شيراز ، ومنها إلى أصفهان ، ومنها إلى قم ٠ وقد جرت له استقبالات عظيمة في جميع المدن والقرى التي مر بها ٠ وكان وصوله إلى قم في أواخر تشرين الأول ١٩٢٣ وفيها التقى بالمجتهدین الذين كانوا قد وصلوا إليها قبله ٠

ولم يكث الخالصي يستقر في قم حتى نشب الخلاف بينه وبين المجتهدین فقد كان هؤلاء يرغبون في العودة إلى العراق ، وكانوا قد أرسلوا إلى الملك فيصل رسولين منهم لمقاؤضته في الأمر بما المرزا مهدي المخراساني والشيخ جواد الجوادی ٠ وحين علم الخالصي برسالة هذين الرسولين تأثر أشد التأثر ، وقيل إن عدة مشاجرات حصلت بينه وبين المجتهدین ٠ وقد أشار الشيخ محمد الخالصي إلى ذلك في مذكراته حيث قال مانحه :

٠ لما ورد أبي إلى قم ورأى ما أصاب العلماء من الوهن والخوف براجعتهم لفصيل وعزمهم على العودة إلى العراق لامهم أشد المؤلم ، وبين لهم أن التكليف الشرعي والأمر الالهي لايساعدان على هذا العمل ، وأنه يجب البقاء في ايران والسعى في اصلاحها ثم اصلاح العراق وسائر البلاد الاسلامية بواسطتها ، لأنها اذا صلحت تكون مركز الحركات الاصلاحية في جميع البلاد الاسلامية لوقعها الجغرافي واستقلالها التام ، وأنه يحرم التسلیم

(٥١) نقلًا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة ٠

إلى الانكليز وفيصلهم ولا سيما بعد ما أقدموا عليه من نفي العلماء جميعهم وعدم رعايتهم حرمة أحد منهم ، وبين لهم أن رضوخهم إلى الضييم واستسلامهم إلى الذل برجوعهم إلى العراق يوجب يأس العالم الإسلامي واستسلام سائر الطبقات من المسلمين إلى مثل ما استسلم إليه العلماء ، وفي هذا هلاك المسلمين عامة وال伊拉克 وايران خاصة ، وإن ذلك من أشد المحرمات الشرعية ولا يقدم على مثله أبي للضييم أو عاقل عرف قدر الحياة ومتزلتها . ولم يزل أبي ينصح العلماء ويرشدهم فلا ينفع ذلك حتى يشن منهم وقال : ليتكم لا جتنم إلى ايران ولا اشتراككم معنى ، وترككموني وحدي والإنكليز ، واليوم إذ صيتم على ما يخالف مصلحة الإسلام وأقدتم على أمر أراه من أشد المحرمات فلابد لي من مفارقتكم والبقاء في ايران حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . وفارقهم منضاً وقصد خراسان ، وبقي العلماء في قم يستعدون للرجوع إلى العراق مستسلمين لأمر الإنكليز راضين بالذل والهوان متظربين لصدور الأذن من فيصل والإنكليز بالرجوع إلى العراق . وجسابهم في ذلك على ربهم وهو أعلم بحالهم^(٥٢) .

يعزو الشیخ محمد الخالصی رغبة المجتهدین في العودة الى العراق الى اسباب ثلاثة هي :

أولاً : ان المجتهدین كانوا سبیل الظن بالإیرانیین ، ولا سيما السيد أبو الحسن الاصفهانی إذ هو لم يكن يذكر ایران بخير .

ثانياً : ان المجتهدین كانوا يظنون ان الرئاسة لا تتم الا في العجف ، وقد علموا ان السيد محمد الفیروزآبادی بدأ يعمل للانفراد بالرئاسة فيها وصار يكتب الرسائل الى ایران يتقصى فيها من شأن المجتهدین المبعدین ويذكر ان الحوزة العلمیة في التیفج مشغولة بالبحث والدرس وان العلماء فيها على احسن حال .

(٥٢) المصادر السابقة .

ثالثاً : أن الشيخ عبدالكريم اليزدي الذي كان كبير المجتهدین فـي
ـقـم لا يرـغـب في بـقاءـ المجـتـهـدـيـنـ فـيـهاـ لـانـهـ يـزاـحـمـونـهـ فـيـ الرـأـسـةـ ،ـ فـهـوـ كانـ
ـيـعـارـضـهـمـ مـنـ وـرـاءـ ستـارـ (٥٣) .

ومـاـ يـجـدـرـ ذـكـرـهـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ أـنـ السـرـ بـرـسـيـ لـورـينـ أـشـارـ السـىـ
ـمـلـهـ هـذـاـ التـعـلـيلـ فـيـ رـسـالـتـهـ إـلـىـ الـلـوـرـدـ كـرـزـنـ المـؤـرـخـ فـيـ ٣٠ آـبـ ١٩٢٣ـ
ـحـيـثـ قـالـ :ـ أـنـ الـمـجـتـهـدـيـنـ يـمـلـكـونـ فـيـ الـعـرـاقـ دـوـرـاـ وـأـمـلاـكـ وـأـمـوـالـ خـرـيـةـ
ـلـتـوزـيعـ كـثـيـرـ ،ـ وـلـهـذاـ فـانـ مـنـ مـصـلـحـتـمـ الـمـوـدـةـ إـلـىـ «ـ مـرـاتـبـمـ »ـ بـأـسـرـعـ
ـمـاـ يـمـكـنـ ،ـ يـضـافـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـ كـبـارـ الـمـجـتـهـدـيـنـ فـيـ إـيـرانـ وـانـ كـانـواـ مـنـضـطـرـيـنـ
ـلـتـرـحـيبـ بـالـمـجـتـهـدـيـنـ فـيـنـيـنـ وـاحـتـراـمـهـمـ غـيـرـ أـنـهـمـ يـعـتـرـفـهـمـ مـتـطـلـفـيـنـ عـلـيـهـمـ
ـيـزاـحـمـهـمـ عـلـىـ مـقـامـهـمـ وـأـمـيـازـهـمـ (٥٤) .

الـخـالـصـيـ فـيـ خـرـاسـانـ :

قرـرـ الـخـالـصـيـ الـانـفـصالـ عـنـ الـمـجـتـهـدـيـنـ ،ـ وـالـذـهـابـ إـلـىـ خـرـاسـانـ .ـ وـفـيـ
ـمـتـصـفـ كـانـونـ الـأـوـلـ ١٩٢٣ـ غـادـرـ قـمـ .ـ وـعـنـدـ وـصـولـهـ إـلـىـ بلـدـةـ الشـاهـ عبدـ
ـالـظـيـمـ الـتـىـ تـقـعـ إـلـىـ جـنـوبـ مـنـ طـهـرـانـ جـاءـتـ إـلـيـهـ الجـمـاهـيرـ مـنـ طـهـرـانـ
ـلـلـسـلـامـ عـلـيـهـ وـتـقـيـلـ يـدـيـهـ ،ـ كـمـاـ جـاءـ رـضاـ خـانـ الـذـىـ كـانـ قـدـ تـولـىـ رـئـاسـةـ
ـالـوـزـارـةـ مـنـدـ عـهـدـ قـرـيبـ وـاـخـتـلـىـ بـهـ أـكـثـرـ مـنـ سـاعـتـيـنـ .

وـصـلـ الـخـالـصـيـ إـلـىـ خـرـاسـانـ فـيـ اوـاـئـلـ عـامـ ١٩٢٤ـ وـبـعـدـ اـنـ اـتـمـ زـيـارـةـ
ـمـرـقـدـ الرـضاـ نـوىـ الـاسـتـقـرارـ فـيـ الـبـلـدـةـ وـاستـخـارـ اللـهـ بـالـقـرـآنـ فـخـرـجـ قـولـهـ
ـتـعـالـىـ «ـ بـلـدـةـ طـيـةـ وـرـبـ غـفـورـ »ـ .ـ وـبـهـذاـ عـقـدـ العـزـمـ عـلـىـ سـكـنـاـهـاـ (٥٥) .

أـوـلـ عـمـلـ قـامـ بـهـ الـخـالـصـيـ فـيـ خـرـاسـانـ هوـ تـأـسـيسـ جـمـعـيـةـ سـماـهاـ
ـ«ـ جـمـعـيـةـ اـسـتـخـلـاصـ الـعـرـمـيـنـ وـبـيـنـ النـهـرـيـنـ »ـ .ـ وـفـيـ ٢٦ـ كـانـونـ الثـانـيـ

(٥٣) نـقـلاـ عـنـ كـتـابـ مـخـطـوـطـ لـلـشـيـخـ مـحمدـ الـخـالـصـيـ عنـوانـهـ «ـ بـطـلـ الـاسـلامـ »ـ .

(٥٤) عـنـ دـائـرـةـ الـوـثـائقـ الـعـامـةـ بـلـنـدـنـ - رـقـمـ (ـ آـفـ ٠٠٧٠٣ـ - ٩٠٤٨ـ)ـ .

(٥٥) نـقـلاـ عـنـ كـتـابـ الـخـالـصـيـ السـابـقـ .

أصدر بلاغا باللغة العربية دعا فيه المسلمين في جميع البلاد الإسلامية للاتساب إلى الجمعية وحثهم على السعي لتطهير الأماكن المقدسة في الحجاز والعراق من لوث الكفار . وقد ترجم هذا البلاغ إلى اللغات الفارسية والتركية والبشتوي والأوردو ، وطبع في كتاب صغير نشر بين الناس كما أرسل عن طريق التهريب إلى الهند .

واهتم الخالصي بتنمية الحكومة الإيرانية وتنمية قواتها المسلحة ليجعلها ركيزة للمسلمين في محاربة الكفار . فهو عندما كان في شيراز في طريقه إلى قم أصدر فتواء بتغويض الحكومة الإيرانية بجباية أموال الزكاة والخمس من المسلمين واتفاقها على القوات المسلحة المكلفة بحماية الثغور^(٥٦) . ولما استقر في خراسان أصدر فتوى ثانية في اتفاق واردات أوقاف الرضا لسد العجز المالي الذي كانت الحكومة الإيرانية تعاني منه في تلك الأيام^(٥٧) .

لاحاجة هنا إلى القول أن اصدار هاتين الفتويين حلق للخالصي خصوماً كثيرين لا سيما بين رجال الدين . فقد كان هناك عدد كبير من رجال الدين وغيرهم يستفون من أموال الخمس والزكاة وواردات أوقاف الرضا ، ولم يهمن عليهم أن تصرف الحكومة بتلك الأموال دون أن يكون لهم نصيب منها . أضف إلى ذلك أن كثيراً من رجال الدين ، ولا سيما في خراسان ، وجدوا في الخالصي منافساً لهم يهدد مقامهم الديني في أوساط العامة ويتفوق عليهم بانجداب القلوب إليه .

أخذ خصوم الخالصي يتحينون الفرصة للكيد له والإيقاع به . وقد واتتهم الفرصة في ٢٣ شباط ١٩٢٤ حين أصدر الخالصي فتوى يجعل عبد النبیروز يوم حداد دینی . ففي ذلك اليوم أخرجت جريدة « شرقی ایران » التي كانت تصدر في خراسان عدداً خاصاً كتبت في مقدمته بحروف بارزة

(٥٦) Report On The Administration of IRAQ - 1923 - 1924 - London 1925 - p. 13.

(٥٧) عبدالرزاق أمين (ذکری الخالصی) - بغداد ١٩٢٥ - ج ١ ص ١٣
- ٢٤٩ -

هذه العبارة : « عيد قومي - أو يوم حداد اسلامي » . وذكرت الجريدة
استناداً موجهاً إلى الخالصي هو : هل يجوز الاحتفال بعيد النبُرُوز القادم
في الوقت الذي تكون فيه مكة والمدينة والتلحف وكرلاه والكافعنة
وسامراء تحت حكم اعداء الاسلام وتتدوس تربتها المقدسة خيول الاجانب ؟
ثم اوردت الجريدة جواب الخالصي إذ يقول فيه : ان الاحتفال بعيد النبُرُوز
في هذه السنة يجب أن يكون كما لو كان قد حل في شهر محرم وفي يوم
قتل الامام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس .

لا يخفى ان عيد النبُرُوز كان ولا يزال يعتبر عيداً قومياً عظيماً في ايران
وهم يرونون فيه الاحاديث والمؤثرات الدينية . ومن غرائب الصدف ان كان
النبُرُوز في تلك السنة موافقاً لليوم منتصف شعبان وهو اليوم الذي يحتفل
فيه الشيعة بميلاد صاحب الزمان ، وكان كذلك موافقاً لليوم الذي يحتفل
فيه البهائيون بذكرى وفاة عباس اندى . فأخذ خصوم الخالصي يشيعون
 بين الناس أن الخالصي بهائي وأنه يريد أن يقلب العيد مائناً حزناً على
 عباس اندى . وقد راجت هذه التهمة بين كثير من الناس خصوصاً بين
 أولئك الذين كانوا يعتقدون الخالصي لتأويه الجريمة .

اشق أهل خراسان الى فريقين متاديين ، فريق مع الخالصي وآخر
عليه . وما زاد في العداء بين الفريقين ان القنصلية الروسية كانت تؤيد
الخالصي بينما كانت القنصلية البريطانية تؤيد خصمه .

وعندما اقترب يوم النبُرُوز في ٢١ آذار جاء الى الخالصي بعض مقلديه
يطلبون منه الاجازة للاحتفال بميلاد صاحب الزمان ، فاجاز لهم ذلك على
أن يكون الاحتفال في اليوم التالي ليوم النبُرُوز . وقد اقيم الاحتفال في اليوم
التالي فعلاً حيث جرى مسأله في مسجد كوه شاه وحضره الحاكم العام
وكبار الموظفين واعيان البلدة . وحينذاك جاءت مظاهرة معادية تحمل
تماثيل عباس اندى وعلى محمد الباب فاقربت من مكان الاحتفال وأخذت
تحبيي عيد النبُرُوز وتشتم البهائية . ثم توجهت نحو بيت الخالصي وصارت

تهتف ضده ، وأطلقت بعض المفرقات ، وانطلقت بعدها تجول في بعض شوارع البلدة ، واعتدت على افراد من البهائيين ، ثم تفرق بعد ان اشعلت النار في التماثيل التي كانت تحملها .

لم يسكت أتباع الخالصي عن هذه الاهانة فاخرجوها في اليوم التالي مظاهرة لتأييد الخالصي وأخذ المتظاهرون يهتفون ضد البهائية وضد فكرة الجمهورية ، ذلك لأن الخالصي كان يومئذ يحارب فكرة الجمهورية التي كان بعض الايرانيين ينادون بها ، وكان يدعها مكيدة للقضاء على الاسلام . ومرت المظاهرة بصحن الرضا وبعض الشوارع الرئيسية ، واعتدت على بعض البهائيين على نحو ما فعلت المظاهرة السابقة . فاستدعيت قوة من الجيش لتفريق المظاهرة ، وحصل تدافع بالأيدي بين الجنود والمتظاهرين ، وأطلق الجنود النار في الهواء . ثم تفرق المتظاهرون بعد ما تم القاء القبض على عدد كبير منهم ، ولكنهم افرج عنهم في اليوم التالي ^(٥٨) .

شم الخالصي من خراسان وأهلها ، وقرر مغادرة البلدة الى طهران ، وصرح أن الخراسانيين أهانوه أكثر من اهانة الانكليز له . وحين شاع خبر عزمه على الرحيل جاء اليه الكثير من الخراسانيين يعلنون ندمهم على ما فعلوا ويصررون عليه بالبقاء . وذكر التقرير البريطاني السري ان القنصل الروسي كان له دور في اقامة الخالصي بالبقاء في خراسان ^(٥٩) .

وفاة الخالصي :

توفي الشيخ مهدى الخالصي بالسكتة القلبية في مساء ١١ رمضان ١٣٤٣ هـ - الموافق ل ٥ نيسان ١٩٢٥ م . وقد جرى لجنازته في خراسان تشييع لم تشهد له البلدة مثيلاً من قبل . وعطلت الاسواق والدواوير الرسمية أعمالها في ذلك اليوم ، كما أعلنت الفنصليتان الروسية والافغانية الحداد .

(٥٨) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف. أو. ١٣٧١ - ١٠١٤٠)

(٥٩) المصدر السابق .

وفي مساء ٧ نيسان وصلت الى الكاظمية برقة من خراسان تنبئ بوفاة الخالصي ، فارتجلت البلدة لهذا النبأ وارتفع صوت البكاء والعويل فيها وفي اليوم التالي اغلقت الاسواق حدادا وخرجت مواكب المطم من محلات المختلفة قاصدة مدرسة الخالصي وهي تتوح وتلطم الصدور . وجاء موكب الاعظمية لمشاركة أهل الكاظمية في العزاء ، وكانت هذه أهزوجتهم :
ياعمود الاسلام حامي الشريعة يتمت هالمخلوق سنة وشيعة

كت يومذاك صيا في الثانية عشرة من عمرى ومن طريف ما ذكره أن الناس حين كانوا يتحدثون عن نفي الخالصي وموته يسبّون ذلك بمقتل الحسين ، فكانوا يقولون ان يزيد بن معاوية هو اليوم جورخ الخامس ، وعيّد الله بن زياد هو فيصل ، وعمر بن سعد هو عبدالمحسن السعدون ، أما شعر بن ذي الجوش فهو عبدالرزاق الفضلي . ونسى الناس أن يذكروا أنهم هم أنفسهم أهل الكوفة .

أقيمت مجالس الفاتحة على الخالصي في أكثر المدن العراقية وظلت تتوالى مدة طويلة ، كما أقيمت حفلات التأبين وكانت اولها حفلة حزب النهضة التي جرت في مساء ٩ نيسان وشارك فيها عبدالرزاق الرويشدي وجميل صدقى الزهاوى ونعمان الاعظمى وعبدالكرخي ومحمد عبدالحسين وابراهيم حلمى العمر وحسون القزويني وخيمس آل تويع . وفي مساء ٢٠ نيسان أقام نادى الاصلاح ببغداد حفلة ثانية شارك فيها جعفر الشبيبي ومهدى البصير وعبدالحسين الازرى وقاسم العلوى ومحب الرصافى .

أصبحت مدرسة الخالصي في الكاظمية كأنها سوق عكاظ لكثرة الشعراء الذين أخذوا يتوافدون عليها لالقاء قصائدهم من على منبرها . ولم تتخذ الحكومة أى اجراء لمنع الشعراء من القاء قصائدهم هناك ، بل تركتهم يفعلون ما يشاؤون كأنها أدركت ان ليس هناك اى خطر منهم .

والملاحظ ان الشعراء لم يخرجوا في نظمهم عن الاطار التقليدى الذى اعتادوا عليه فى الرثاء منذ قديم الزمان . فقد كانت قصائدهم كلها تقريباً متشابهة في معانٍها تدور حول عظمة الفقيد ومناقبه ، وكيف انه ركن الدين

واظلمت الدنيا بموته ، وكيف أصبح الناس من بعده حيارى لا يدرؤن أين يتوجهون ، وغير ذلك من المفاهيم التي تكرر عند موت أي شخص عظيم . ولكن الفرق بين شاعر وآخر هو في صياغة الالفاظ الرنانة التي يعبرون بها عن تلك المفاهيم والبالغات التي يصورونها بها .

وقد انشغل الادباء والتعلمين في تلك الايام بالمحاصلة بين القصائد ، ونسوا الهدف الذي مات الحالصي من أجله ، فإذا أجمعوا كان معظم حديثهم يدور حول الشعراء الذين ألقوا قصائدهم في ذلك اليوم وما هي الآيات التي نالت استحساناً أكثر ، وربما تجادلوا في ذلك واحتلقوها وارتفعت أصواتهم على نحو ما كان يجري في العصور « الذهبية » الاولى .

ومما اذكره في هذا الصدد ان شاعراً تجفينا اسمه السيد صادق الهندي ألقى قصيدة في رثاء الحالصي ظلت مدة طويلة محور حديث الناس واعجابهم . وفيما يلي بعض أبيات نموذجية منها ليطلع القارئ بها على المستوى الفكرى الذى كان الناس يعيشون فيه حينذاك :

هل أنت يا أُعْجُوبَةِ الْأَكْوَانِ ملِكُ تجلبِ صُورَةَ الْأَنْسَانِ
أَمْ أَنْتَ مُشَكِّلُ الْجَلِيلِ لَكَى تُرَى فِيَكَ الْأَنَامِ حَقِيقَةَ الْأَيْمَانِ
أَمْ هَلْ لِهَا الْعَصْرُ غَيْرُكَ آخْرٌ قَدْ حَازَ فِي الدَّارِينِ سَبْقَ رَهَانِ
أَبْقَيْتَ سِيرَتَكَ الْحَمِيدَةَ فِي الْوَرَى يَتَلوُنُهَا كَتْلَوَةُ الْقُرْآنِ
يَانُوحُ هَذَا الْعَصْرُ كَيْفَ تَرَكَتَنَا مِنْ لَجْةِ الْأَخْطَارِ فِي طَوفَانِ
وَخَلِيلُ هَذَا الْقَطْرِ نَمَرُودُ الْأَسْيِ أَصْلُى الْقُلُوبَ عَلَيْكَ بِالنِّيرَانِ
وَكَلِيمُ هَذَا الْمَصْرُ إِلَّا أَنَّهُ لِلصَّبْرِ وَجْهُ آيَةُ الشَّبَانِ
أَحْيَتْ مِيتَ شَعْبَنَا فَكَانَمَا عِيسَى أُعِيدُ بِهَذِهِ الْأَزْمَانِ (٦٠)

الواقع أن هذا ديدن الشعر العربي منذ عصوره الاولى ، إذ كان الناس ينشغلون به عمما حولهم من المشاكل والمسئ ، ولهذا كان السلاطين يشجعونه ويجزلون له العطاء ، فقد وجدوا فيه خير وسيلة يلهون به الشعب ويحدرونه . وربما صح قول من قال : « الشعر أفيون العرب » .

(٦٠) عبد الرزاق أمين (المصدر السابق) - ج ١ ص ٥٤ - ٥٥

الفصل السادس

الوزارة العسكرية

كان نجاح عبدالمحسن السعدون في نفي الخالصي وتسفير المجتهدين قد رفع من مكانته عند الانكليز وجعله في نظرهم الرجل الذي يمكن الاعتماد عليه في تحيثية سياستهم من جهة وفي مقاومة مناورات الملك فيصل من الجهة الأخرى . وقد أحس الملك بالخطر الناجم من ذلك وبدأ يشعر بالغيرة من ارتفاع مكانة السعدون لدى الانكليز .

ومما زاد في قلق الملك ان المندوب السامي الجديد السر هنري دويس كان شديد الاعجاب بالسعدون ويرى فيه الرجل الذى يتمثل فيه نبل البداؤة وبساطتها^(١) . ولهذا أخذ الملك وأعوانه يبشرون الاشاعات السببية ضد السعدون ، ويحاولون الانتقاص من شأنه في الاوساط الوطنية ويخلقون له المصاعب^(٢) .

ظل الملك طيلة صيف ١٩٢٣ يتحين الفرصة لاسقاط وزارة السعدون . وفي اواخر تشرين الاول آثار أزمة وزارية بفتحية اسقاطها . كتبت المس بيل في ٣١ منه تقول : « ان الملك آثار في هذا اليوم أزمة وزارية كما هي عادته بين حين وآخر . ان الوزارة بوجه عام من أفضل ما يمكن الحصول عليه ، أما شكاوى الملك منها فهي في الغالب غير معقولة »^(٣)

نشأت الأزمة الوزارية من كتاب أرسله رسم حيدر باسم الملك الى مجلس الوزراء يقول فيه : ان الوزارة السعدونية قد تعهدت في بداية أمرها

(١) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) - بغداد ١٩٥٥ - ج ١ ص ٤٩ - ٥٠

(٢) خيري العمري (حكايات سياسية) - القاهرة ١٩٦٩ ص ١٩٩

(3) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, p. 319.

أنها ستعالج الضائقة الاقتصادية المسيطرة على البلاد ولكنها لم تفعل شيئاً سوى زيادة عبء الضرائب على عاتق الأمة ، ولهذا فإن جلالة الملك يطلب من الوزارة موافاته بأسرع ما يمكن من الوقت بالإيضاح عما فكرت به أو قامت به من الأعمال لدرء خطر الحالة الاقتصادية . وقد امتنع السعدون من هذا الكتاب واعتبره لوما من الملك على تقصير الوزارة في القيام بواجباتها ، فأرسل جوابا إلى الملك يقول فيه : اذا كان جلالة الملك يعتبر الوزارة مقصورة في القيام بواجباتها فهي اذن لا يسعها سوى تقديم استقالتها ، أما اذا كان الملك يريد الاستفهام حقاً عما قام به الوزارة لحل الأزمة الاقتصادية فسترحمن من جلالته توقيف الكتاب المذكور وارسال كتاب آخر بدلا عنه . وعند وصول هذا الجواب إلى الملك تراجع وأرسل إلى السعدون يقول له متذرًا بأنه لم يقصد اللوم على تقصير الوزارة في أعمالها كما تبادر إلى ذهن فخامتكم بل أراد لفت نظرها إلى شدة الضائقة الاقتصادية ووجوب مصافة الجهود في سبيل معالجتها^(٤) .

لم يكدر يمر على انتهاء الأزمة الوزارية سوى أسبوعين حتى عادت من جديد ، وأخذ الملك يتضيّد الأسباب لاسقاط الوزارة . يقول المس بيل في ١٤ تشرين الثاني : « في يوم الاثنين ذهبت لرؤيه لعبة البولو للجيش العربي ، وكان الملك هناك فركبت في سيارته وحاولت اقناعه بعدم اسقاط الوزارة دون جدوى »^(٥) .

اضطر السعدون إلى تقديم استقالته في ١٥ تشرين الثاني . وأسرع الملك إلى تكليف أحد رجاله الذين يعتمد عليهم - وهو جعفر العسكري - بتشكيل وزارة جديدة . وقد كان العسكري يومذاك متصرفًا في الموصل ولم يكن قد مضى على تعيينه هناك سوى مدة قصيرة ، فوصلت إليه برقة من الملك تأمره بالعودة إلى بغداد حالاً .

(٤) عبد الرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) - صيدا ١٩٦٥ -

ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 320.

تشكلت الوزارة العسكرية في ٢٦ تشرين الثاني ، فكان فيها علي جودت الايوبي وزيرا للداخلية ، ونوري السعيد وزيرا للدفاع ، وعبدالمحسن شلاش وزيرا للمالية ، وأحمد الفخرى وزيرا للمديمة ، وصيبح نسأت وزيرا للمواصلات والاشغال . وفي نفس اليوم صدرت الارادة الملكية باسناد وزارة الاوقاف الى صالح باش اعيان ، ولكن وزارة المعارف بقت شاغرة . فقد كانت النية متوجهة نحو استنادها الى رجل شيعي لكي يكون في الوزارة وزيران شيعيان بدلا من واحد . وببدأ البحث عن هذا الرجل .

يروى ساطع الحصري : ان الآراء كانت متضاربة حول الرجل الذي يتولى وزارة المعارف ، فاقترب علي جودت الايوبي اسم رجل من كربلاء يعرفه منذ كان فيها منتصرا هو محمد حسن أبو المحسن ، ووصفه بأنه « قفيه » أي انه مطواع لا يميل الى مخالفة زملائه . وفي ٣ كانون الاول صدرت الارادة الملكية بتعيين أبو المحسن وزيرا للمعارف . وقد تبين فيما بعد ان هذا الرجل ليس « قفيه » كما كانوا يتصورونه بل كان من أكثر الوزراء اعتراضا ومخالفة^(٦) .

يقول التقرير البريطاني المقدم الى عصبة الامم عن الوزارة العسكرية مانصه : « ان تشكيل الوزارة الجديدة أعطى للطائفة الشيعية فرصة للمصالحة كانت تتوق اليها سرا . وعندما اتضح ان الوزارة تضم وزيرين شيعيين ، أحدهما لوزارة المالية ، ذهب وفد من رؤساء الشيعة لمقابلة الملك . وقدموا له بياناً أعرابوا فيه عن يقينهم بأن الشيعة كانوا على خطأ في معارضتهم السياسة البريطانية وأنهم مصممون على تغيير جذري ل موقفهم منها »^(٧) .

(٦) ساطع الحصري (مذكراتي في العراق) - بيروت ١٩٦٧ - ج ١ ص ٣٧١ - ٣٨٤

(٧) Report on The Administration of IRAQ - 1928 - 1924 - p. 17.

للاحاجة بنا الى القول ان هذا الوفد الذي أشار اليه التقرير البريطاني لم يكن يمثل الشيعة حقا ، بل كان مؤلفا من اولئك الوجاه والرؤساء الذين اعتادوا على مقابلة الحكام وعلى التفوه بما يرغب فيه الحكام من مسؤول الكلام ٠ وهم كانوا كثيرين في تلك الايام - وما زالوا !

المفاوضة مع المجتهدین :

كان السعدون - كما رأينا - شديد التصلب ضد المجتهدین لا يريد أن يتسامح في أمر عودتهم من ايران ، وكان الانكليز يؤيدونه في ذلك ، بينما كان الملك على العكس منهم يريد الاتصال بالمجتهدین ومفاوضتهم من أجل اعادتهم ، ولم يلهم ابدا ذلك نكارة بالسعدون وتحديا له ٠

كتب السر برسي لورين من طهران في برقية منه الى لندن بتاريخ ٣٠ آب ١٩٢٣ يقول مانصه :

ـ سمعت الآن من مصادر ايرانية موثوقة ان قضية المجتهدین من المحتمل ان تسوی قريبا عن طريق محادثة مباشرة بينهم وبين رسولين أرسلهما الملك اليهم في قم ٠ وقد حاول بعض الايرانيين بصورة غير مباشرة جرّي للاشتراك في المحادثة حول الشروط التي يمكن ان تم بها عودة المجتهدین ، ولكنني رفضت ان أفعل شيئا في هذا الخصوص وقللت للشخص الذي جاء لمقابلتي اني لا أملك اى تخويل من الحكومة العراقية التي هي المسؤولة الرئيسية في هذا الامر للاشتراك في اية مفاوضة ،^(٨) ٠

وفي اواسط تشرين الثاني - أي قبيل سقوط الوزارة السعدونية - وقعت في يد الانكليز رسائل كان المجتهدون قد أرسلوها الى وكلائهم في العراق يقولون فيها ان الملك يصل وعدهم بأمسور هي : (١) اسقاط الوزارة السعدونية ، (٢) تشكيل وزارة شيعية برئاسة رجل شيعي ، (٣) اعادة جميع المجتهدین المنفيين الى العراق ، (٤) رفض المعاهدة

(٨) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف. ٠ أو ٣٧١ - ٩٤٨) ٠

وقال المجتهدون في رسائلهم انهم بالرغم من عدم تقتهم بوعود الملك قد ارسلوا طي رسائلهم فتوى موقعة من قبلهم ومحفوظة يملئون فيها رفع التحرير عن الانتخاب في حالة تحقيق الملك لوعوده . وعندما اطلع السر هنري دوبس على هذه الرسائل ذهب الى الملك وقال له : ان لعبته مع المجتهدين لا تخلو من خطر وقد يستعملونها سلاحا ضده . وتقول المس بيل : ان الملك أخذ الامر بمرح وقال لدوبس ان المجتهدين قد بالغوا في مطالبيهم وان من الممكن ترکهم الآن يطهرون حسائهم ببطء وانه سيقطع مفاوضاته معهم⁽⁹⁾ .

قطع الملك مفاوضاته مع المجتهدين حسبما تمهد به لدوبس ، غير أنه أخذ يحرك على عادته بعض الجهات الوطنية للمطالبة باعادة المجتهدين لكي يتخد ذلك ذريعة لفتح الموضوع من جديد مع دوبس ، ففي ٦ كانون الاول ذكرت جريدة «الاستقلال» تقول ان فريقا من منوري العاصمة ومتذمرين بها راجعوا شكرهم للحكومة الحاضرة لعزمهما على اعادة الشيخ مهدي الخالصي وزملائه المجتهدين ، كما أظهروا استشارهم بحسن نوايا الحكومة ، وهم يتظرون تأييد أقوالها بالأفعال . وفي ١٠ منه عادت الجريدة فذكرت ان عدة رسائل وردتها من الحلة والنجف وكربلاه وفيها يشكر أصحابها الوزارة الجديدة على عزمها على اعادة حجة الاسلام الخالصي وبقية العلماء الاعلام ، وهم يأملون أن تتحقق هذه الآمال .

وعلى اي حال فقد استطاع الملك في اوائل شباط ١٩٢٤ أن يتفاهم مع دوبس حول اعادة المجتهدين على اساس ان الانتخابات اوشكت على الانتهاء ولم يبق هناك أي سبب للتصلب ضد عودتهم . وقد ورد في التقرير البريطاني المقدم الى عصبة الامم حول هذا الموضوع ما نصه :

« تقرر في شباط ١٩٢٤ بعد موافقة المندوب السامي ان ليس هناك

(9) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 321 .

ما يمنع عودة المجتهدین ، ماعدا الشیخ مهdi ، بشرط أن يتمهدوا للملك بأنهم سوف يتبنون التدخل في السياسة . فان نفیهم وان كان باختیارهم قد أدى الى حصول نفور شديد بين الحكومتين الايرانية والعراقية ، وان سیل الطلبة والزوار من ایران قد توقف ، فاتّجع ذلك ضائقة مالية في العتبات المقدسة ، وفي جهاز السکك الحديدیة أيضا . وهنالک علاوة على ذلك شعور بأن قدرة المجتهدین على الشر قد اقللت من جذورها من جراء عملهم الاحمق في الاحتجاج وما تلاه من ندم ۰۰۰ ان الحكومة العراقية تستحق التهنة على موقفها الصلب الذي انتهى بانتصارها على رجال الدين الايرانيين المشاغلين ۰۰۰ (۱۰) .

اجتمع الملك مع دوبلس في ۹ شباط للتتفاهم حول الخطة التي يجب اتباعها لاعادة المجتهدین . فقد كان دوبلس يخشى ان يعود المجتهدون الى العراق ، او يكونوا عند الحدود ، قبل افتتاح المجلس التأسيسي الذي كان مقررا في اواسط شهر آذار . ولهذا حصل الاتفاق بينهما على ان يرسل الملك الى المجتهدین يخبرهم بأنهم يجب ان لا يغادروا قم قبل وصول رسالة من الملك تأذن لهم بدخول العراق ، أما اذا وصلوا الى الحدود قبل وصول الاذن لهم فسوف ترفض الحكومة العراقية دخولهم . وقد قدر الملك مع دوبلس طول المدة التي يستغرقها وصول الرسالة وعودة جوابها ، بالإضافة الى تدقيق التهدى الذي يقدمه المجتهدون ، فوجدوا ان ذلك لا يقل عن ستة أسابيع وهي مدة كافية لأن يكون المجلس التأسيسي قد تم انتباھه قبل وصولهم (۱۱) .

وبعد ان تم الاتفاق بين الملك والمندوب السامي على ذلك حصل ما ادى الى عرقلة المفاوضات مع المجتهدین ، فقد كان المجتهدون يريدون ان

(10) Report on The Administration of IRAQ - 1923 - 1924 - p. 13.

(11) محمد مظفر الأدهمي (المجلس التأسيسي العراقي) - رسالة جامعية غير مطبوعة - ج ۲ ص ۵۶۱ .

يعود الخالصي معهم بينما كان الملك والمندوب السامي يخشيان من عودة الخالصي ويصران على عدم السماح بها على اي حال . وقد ورد فسى تقرير للاستخبارات العراقية مؤرخ في ٥ آذار مانصه :

« ان الاتصال مع المجتهدین فى ایران حول الشروط التي يمكنهم العودة بها الى العراق ٠٠٠ قد أصابه التأخر . وقد وصلت منهم رسائل يحتجون فيها حيث يقولون ان من العار عليهم أن يعودوا من غير ان يكون الشیخ الخالصی معهم ، وقد خطب الملك في هذا الموضوع ولكنه ظل ثابتا . وأرسلت برقية الى المجتهدین في هذا الشأن كما ان الشیخ جواد الجواهري كتب الى المرزا حسين الناینی يرجو منه ومن زملائه أن يقتموا هذه الفرصة والا فانهم سيفقدون مکانتهم في العراق تلك المكانة التي أخذ مجتهدون آخرون يشقون عليها سریعا . ومن ناحية أخرى كان آل الخالصی يضططون على المجتهدین لاقناعهم بأن لا يعودوا بدون الشیخ مهدي . ويقول الملك ان رضا خان أبرق اليه برغبته في عودة المجتهدین بالشروط المعروضة عليهم ، وان الشیخ جواد والمرزا مهدي سينغادران بغداد الى قم في ١ آذار يصحبهما السيد باقر واحد العین مندوبا عن الملك . وسيحمل هذا معه مسودة التعهد التي يجب أن يوقع عليها المجتهدون ، ثم يأتي بها معه أو يرسلها الى بغداد عندما يعين الملك اليوم الذي يعود المجتهدون فيه الى العراق »^(١٢) .

وفي ١ آذار سافر الى ایران الشیخ جواد الجواهري والمرزا مهدي الخراساني ومعهما السيد باقر واحد العین^(١٣) . وقد بذل هؤلاء جهدا كبيرا في اقناع المجتهدین بالعودة الى العراق بدون الخالصی ونجحوا في ذلك . والمنظون ان رضا خان كان يؤيدهم في مسعاهم ، فقد اشارت إحدى الوثائق البريطانية السرية الى ان رضا خان كان ينصفع للمجتهدین

(١٢) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف . أو . ٣٧١ - ١٤٧ - ١٠١٤٧)

(١٣) ان السيد باقر هذا هو الذى عرف فيما بعد بلقب « سركشيك » . وكان قبلئذ يلقب باللقب المذكور في الوثائق ، أي « واحد العین » ، وهو لقب والده .

بالمعادة دون أن يهتموا بالخاصي وكان يقول لهم إن الخاصي وجل سخيف خالي من التعلق وأنه آلة بيد ابنه الشيخ محمد^(١٤) .

عودة المجتهدين :

كتب المجتهدون تمدها يذكرون فيه أنهم لن يتدخلوا في السياسة العراقية بعد الآن . وقد عترت في وثائق البلاط الملكي على اربع رسائل موجهة الى الملك وهي بتوقيع كل من السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين النايني والسيد عبدالحسين الطباطبائي والسيد حسن الطباطبائي . وهي كلها بنص واحد تقريباً ، والمنظرون انها تضمنت التعهد المطلوب منهم . نكتفي هنا بنقل رسالة الاصفهاني فقط ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضره جلاله ملك العراق أيد الله ملكه وسلطانه

بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته نعرض
ان كتابكم المؤرخ ٢٦ رجب المرسل مع حجتي الاسلام جناب الشيخ جواد
صاحب الجوادر وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده دامت بركانهما أخذته
بكمال الاحترام وكما ذكرتموه فيه وأودعموه في مطاويه صار معلوم لدينا
ولقد أفادنا بما دار بينكم من الشؤون وبيان الاسباب الموجبة الى تأخير
حركتنا وطلب جلالتكم المؤازرة وكذلك المحروس السيد باقر سركشيك
أقام بواجبه وبلغ خطاباته الشفاهية هذا وان كنا قد أخذنا على عاتقنا عدم
المداخلة في الامور السياسية والاعتزال عن كلما يطلبه العراقيون ولسنا
بمسؤلين عن ذلك ، وانما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم
لكن المؤازرة للملوكيه الهاشميه حسبما تتضمنه الديانة الاسلامية ذلك من
مبدئنا الاسلامي وأما ما أمرتم من توحيد الكلمة وتوطيد عرى الصداقة بين

(١٤) عن دائرة الوثائق العامة بلندن - رقم (أف ٣٧١ - ١٠١٤٧) .

ایران والعراق فذلك من وظائفنا الدينية وحينما دخلنا ایران لن نزل بذل
الجهد في ذلك وسوف تظهر نتيجة اعمالنا المبرورة والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته ٠

الاحرer أبو الحسن الموسوي
الاصفهاني (١٥)
(المهر)

وفي ٥ نيسان كتب الشیخ جواد الجواہری والمرأة مهدي الخراسانی
رسالة الى الملك يعلنان فيها نجاح مهمتهما ٠ وهذا نصها :

بسم الله تعالى

حضررة جلالۃ ملک العراق أیده الله تعالی وخلد ملکه وسلطانه ٠

بعد السلام عليکم والسؤال عن أحوالکم ورحمة الله وبرکاته نعرض
أنا في کمال الشوق الى تلك الشسائل الحسينية حفظها وأیدها رب البرية ٠
ثم نعرض ان الاخ السيد باقر بعد الوصول الى قم مضى الى طهران وقابل
حضررة رئيس الوزراء دام اقباله وأفاد في البلوغ وأجاد في المعاوره وعقد
المودة بين الحكومة العربية والایرانية وكثير أظهر رئيس الوزراء الامتنان
من جلالتکم واحترم السيد باقر من أجل نسبته الى جلالتکم ومن أجل
لياقته وحسن تأدیبه لما أمرتموه به ولازم يعرض لجلالتکم التفصیل ٠ ثم
سیدی نعرض ابلاغ سلام الآیین السيد والمیرزا دام ظلهمما مقامکم السامي
وتفصیل جوابهما بعد أن عرضنا لخدمتهما ان صاحب الجلالۃ يقول اکبر
هدیة ارغب اليها اعتراف حکومۃ ایران برسمیة حکومۃ العربیة قالا دام
ظلهمما اتنا قبل مجيئکما تکلمنا بهذا المطلب وكان النبأ بعد انعقاد المجلس
يعطی القرار بذلك وقد أوعز الى اغلب الوکلاء بذلك ٠٠٠ وحيث انت
نفتخر بالحکومۃ العربیة ولا سیما ملکها المؤید من الدوحة الهاشمية ونرى
ان العراق وطننا وحکومته حکومتنا وملکها ملکنا نأمل الزیادة في الحکومۃ

(١٥) عن وثائق البلاط الملكي - رقم التسلسل ٣ ، رقم الوثيقة ٥٩ ٠

العراقية وبذلك ترتفع رؤوسنا وجلالتكم سيد العارفين ثم ان مدير الأمن العام الايراني الذي هو الآن بخدمة العلماء العظام ارسل لمقابلتكم وهو يحمل الوداد من قبل رئيس الحكومة الايرانية لجلالتكم ويكون مع العلماء الى النجف الاشرف وانشاء الله تعالى توفق للتشرف بخدمتكم ونسرخ من التفاصيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٩ شعبان ١٣٤٣

الداعي مهدي الخراساني	جواد نجل المرحوم صاحب
(الخاتم)	الجواهر قدس سره ^(١٦)
	(الخاتم)

وفى صباح ٢١ نيسان وصل المجتهدون الى خانقين برافقهم السردار رفعت مدير الأمن العام الايراني . وكانت البلدة قد استعدت لاستقبالهم فزينة شوارعها بالاعلام العربية وسعف النخيل . وكان فى استقبالهم الشيخ محمد حسن أبو المحسن وزير المعارف، وتحسين العسكري نيابة عن وزير الداخلية ، وحسام الدين جمعة ممثلا عن الشرطة لرافقته السردار رفعت . وبات المجتهدون تلك الليلة فى خانقين ثم ركبوا القطار في الصباح التالي متوجهين الى بغداد . وحينما وصلوا الى محطة بعقوبة نزلوا للصلاة وكان فى استقبالهم هناك عبدالحسين شلاش وزير المالية والشيخ جواد الشيبى وآخرون .

اجتمع عند محطة القطار في باب المعلم ببغداد جمهور كبير من أهالي بغداد والكاظمية ووفود من الالوية . وقد نصب الخيام هنالك استعدادا لاستقبال المجتهدين عند وصولهم بالقطار . وحين اقترب القطار من الجمهور ارتفعت اصواتهم بالتهليل والتکبير وأخذوا يتطلبون الى القطار توقفا لوقوفه . ولكنهم فوجئوا بأن القطار لم يتوقف بل ظل مستمرا في

(١٦) عن وثائق البلاط الملكي - رقم التسلسل ٣ ، رقم الوثيقة ٥٥ .

سيره ٠ ولم يتوقف القطار الا عند شاطئ النهر على مقرية من بيت رئيس الوزراء ، وكان هناك الوزراء في استقباله كما كان مندوب الملك صفت العوا وغيرهم^(١٧) ٠ ومن هناك عبر القطار نهر دجلة بواسطة « العباره » ثم سار بهم الى كربلاه ٠٠٠

عودة المحمديين :

كان السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي قد نفيا الى ايران في آب ١٩٢٢ على نحو ما ذكرناه في الفصل الرابع ٠ والمعروف عن هذين الرجلين انهما غير متحابين ، ولهذا لم يكونا على وفاق عند وصولهما الى طهران ، وقد جرت بينهما امور ليس هنا مجال ذكرها ٠

كان الشيخ محمد الخالصي في طهران كثير الدأب على محاربة الانكليز ، وقيل انه اتصل بالبلاشفة للتعاون معهم على ذلك ٠ أما السيد محمد الصدر فشير بعض القرائن الى أنه أخذ يتصال بالملك فيصل بغية تسهيل عودته الى العراق ٠

أخذت جريدة « الاستقلال » منذ اواخر ١٩٢٣ تشير الى ان السيد محمد الصدر قد تردد صحته في طهران لعدم ملائمة المناخ له ٠ وفي ٣٠ كانون الاول ١٩٢٣ ذكرت الجريدة ان وفدا من شبيبة العاصمة قابلوا الملك وعرضوا عليه حالة الصدر الصحيحة ، وان الملك أبدى أسفه وأعلن عن رغبته في عودة الصدر الى العراق ولكنـه قال ان الصدر تماطل في اعطاء التمهيد الذى يؤخذ عادة من المنفيين ، وهذا هو سبب تأخر عودته ، ولو لا ذلك لعاد منذ مدة ٠ وفي ٩ آذار ١٩٢٤ نشرت الجريدة خبرا تحت عنوان : « قدوم زعيم خطير - السيد محمد صدر الدين » قالت فيه : « امتلأت الاقدة سرورا وعلا البشر وجوه الوطنيين عامة ، واهالي الكاظمية خاصة ، حينما ذاع خبر عودة الزعيم الكبير من ايران الى وطنه العراق » ٠ وفي ٢٦ منه نشرت الجريدة تقول : ان السيد محمد الصدر قد تضررت

(١٧) جريدة « العالم العربي » - في عددها الصادر في ٢٤ نيسان ١٩٢٤

صحته كثيرة في الشتاء المنصرم ، وان الاطباء في طهران حظروا عليه البقاء فيها ، وللهذا فقد صمم على العودة الى العراق نهاية ، وان الحكومة العراقية لاتعارض في ذلك فالبشيري للوطنيين ولوالده الجليل الامام العلامة .

وفي ٢٩ أيار ذكرت جريدة « العالم العربي » ان السيد محمد الصدر سوف يصل الى بغداد في صباح الغد ، وان لجنة قد تشكلت لاستقباله . ونشرت الجريدة منهاج الاستقبال الذي وضعته اللجنة حيث تقرر أن يذهب محمد حسن حبة الى خانقين لاستقباله باسم اللجنة ، وان يذهب عبدالحميد كنة الى بعقوبة ، وأن يصفف تلاميذ المدارس الاهلية لتجيئه عند وصوله الى محطة باب المعلم ، ويلقى عبدالحميد زيدان بين يديه كلمة ترحيسة بالنيابة عن اللجنة .

وصل الصدر الى بغداد في الوقت المحدد وجرى له في المحطة استقبال كبير . ولما وصل الى داروه في الكاظمية نصت الدار بالمهنيين ، وألقى بعض الشعراء قصائد في مدحه والترحيب به كان من بينها قصيدة الشيخ راضي آل ياسين ، وهذا مطلعها :

أزعيم العراق طال الفراق ولكم مل من نواك العرات

لوحظ ان الصدر اخذ بعد عودته الى العراق يسلك طريقاً في السياسة يختلف عن الطريق الذي كان يسلكه من قبل . انه طريق «الايجاب» بدلاً من طريق «السلب» - على حد تعبير كاتب سيرته عباس علي . فقد قال الكاتب في ذلك ما نصه : «عاد سماحته بعد المدة التي قضتها في طهران ليتبؤا مكانه في قيادة الجبهة الوطنية بمواهبه الملهمة وعقله النفاذ ، وكان في هذه المرحلة أقرب الى سياسة الايجاب منه الى سياسة السلب لأنه رآها بعدها أنجح في الوصول الى ما يريد لهذا الوطن من العزة والسيادة والاستقلال »^(١٨) .

وعلى أي حال فقد قوبل هذا التحول في سلوك الصدر بامتناع من انتقاد شديد من قبل الكثرين في الكاظمية وغيرها . انهم اعتادوا ان يجعلوا

(١٨) عباس علي (زعيم الثورة العراقية) - بغداد ١٩٥٠ - ص ١٧١

المعارضة مرادفة للوطنية ، فالمعارض هو الوطني عندهم وإذا ترك المعارضة أصبح في نظرهم خائناً ٠

تلك هي قصة السيد محمد الصدر ، أما الشيخ محمد الخالصي فله قصة أخرى . فهو قد عاد إلى الكاظمية فجأة في مساء ١٦ نيسان ١٩٣٧ ، والظاهر انه دخل العراق على غفلة من الحكومة . ولم يكدر يتشرى خبر وصوله في الكاظمية في صباح اليوم التالي حتى صار الناس يتهاقون على مدرسة الخالصي للسلام عليه ، فكانوا يمرون عليه صفوفاً ، وهو واقف يستقبلهم عند باب الفناء الداخلي للمدرسة ، فيقبل كل واحد منهم يده ويمشي ليفسح المجال للذى يليه ٠

ولكن الشيخ محمد لم يبق في الكاظمية سوى ثلاثة أيام . ففي ظهر ١٩ نيسان ، عندما كان عائداً إلى بيته بعد اداء صلاة الظهر في الجامع الصفوى ، ا تعرض طريقه مفوض من الشرطة وقال له ان وزير الداخلية ومدير الشرطة ومتصرف بغداد يريدون مقابلته الآن في بغداد للمداولة معه في أمر مهم . فطلب الشيخ من المفوض مهلة صغيرة لكي يتناول طعام العشاء في بيته ، فسمع المفوض له بذلك ، ولكنه عندما وجده قد تأخر في البيت دخل عليه وطلب منه الارساع في الخروج معه . ثم سار به إلى مركز السراي ببغداد . وقد ذهب ورائه جمع من أهل الكاظمية كما انضم إليهم في بغداد جمع آخر من البغداديين . وبعد اجراء التحقيق معه أركب سيارة برفقة مفوض واثنين من أفراد الشرطة المسلمين ، وسارت به السيارة باتجاه بعقوبة فخانقين . وقد حاول بعض الأهالي التجمهر لنزع السيارة من الحركة ، فقاومتهم الشرطة ، وصاح بهم أحد الضباط متهرأً ثم أخذ يضرفهم بالعصا ، ففرقوا ٠^(١٩)

وعندما وصل الشيخ محمد إلى الحدود الإيرانية أعد إليه جواز سفره ومعه كتاب رسمي صادر من وزارة الداخلية هذا نصه : « بما أن الشخص الأجنبي المعنى الشيخ محمد بن الشيخ مهدي الخالصي والمثبتة صفاتيه أدناه ينطبق عليه منطق الفقرة (ج) من المادة الحادية عشرة من

(١٩) نقل عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .

قانون الاقامة العراقي لسنة ١٩٢٣ ، وبما أنه لا يُرحب في بقاء الشخص المذكور في القطر العراقي ، فعليه نحن وزير الداخلية عملاً بالصلاحية التي تخولنا إياها المادة المذكورة من قانون الاقامة العراقي لسنة ١٩٢٣ نأمر بابعاد الشخص المذكور الى ما وراء الحدود العراقية وان يبقى خارجاً عنها ما لم يصدر من لدينا أمر يخالفه – صدر عن ديوان وزارة الداخلية في ٢٠ نيسان ١٩٣٢ – التوقيع : ناجي شوكت *

ظل الشيخ محمد الخالصي في ايران حتى عام ١٩٤٩ . وقد لقى هناك من حكومة رضا شاه اضطهاداً وعنتا وابعاداً . ثم اقتضت السياسة في العراق أخيراً السماح بعودته ، فعاد الى العراق ، واستقبل من الحدود استقبلاً رسمياً وشعبياً . وقد تهافت الناس عليه في أول مجيئه وأحبوه وأعجبوا به ، ولكنهم أخذوا ينفثون عنه شيئاً فشيئاً . وسوف تتحدث عن قصة تهافتهم عليه ثم انفاضتهم عنه في جزء قادم من هذا الكتاب .

سير الانتخابات :

كانت الوزارة السعودية قد شرعت بإجراء الانتخابات للمجلس التأسيسي منذ ١٢ تموز ١٩٢٣ ، وظلت عملية الانتخابات مستمرة في عهد الوزارة العسكرية . والملحوظ ان الفتاوى التي كان المجتهدون قد أصدروها سابقاً في تحريم الانتخاب احدثت بعض الاثر في عدد من المدن كالنجف وكربلاء والحلة والكاظمية والحي . وكان أكبر اثر لها قد حصل في النجف حيث عقد اجتماع سري حضره الكثير من التجفيين كان على رأسهم عبدالكريم الجزائري وجاد الجواهري ومحمد علي بحر العلوم ومحسن شلاش وعباس الكليدار وهادي القيب ، وقررروا مقاطعة الانتخابات ، ووسموا مضبوطة في ذلك ، ولم يتمتع عن التوقيع منهم سوى الكليدار^(٢٠) . وفي ٢٨ تموز أرسل قائممقام النجف الى متصرف كربلا كتاباً يذكر فيه العوامل التي أدت الى عرقلة سير الانتخاب في النجف وهي :

اولاً : شرود البعض من المرشحين للهيئة التقنية الى الخارج وترك

(٢٠) محمد مظفر الادهمي (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٣ .

رفاقهم في موقع حرج لم يستطعوا أن يقتسموا خوفاً من انفعال الرأي العام
منهم ومؤاخذته أيامه

ثانياً : انتظارهم للنتائج التي تحصل في الواقع التابعة للمذهب الجعفري
من أمر الانتخابات كي لا يكونوا هم المباضرون ابتدائياً لهذا الأمر ويلاموا
بعدئذٍ عليه .

ثالثاً : مجاهرة قسم من المرشحين للهيئة التقىشية بالمخالفة للانتخابات
والخلال لهم لاقتراح البسطاء الذين يخشون سوء الموقف ، واذكـرـ من هؤلاء
المجاـهـرينـ بـالـمـخـالـفـةـ خـاصـةـ السـيـدـ حـسـينـ كـمـالـ الدـيـنـ مدـيرـ مـدـرـسـةـ الغـرـيـ
فـانـ هـذـاـ الرـجـلـ عـلـىـ جـانـبـ مـنـ التـطـرـفـ حـقـاـ فيـ مـعـاـكـسـتـهـ لـآـمـالـ الـحـكـومـةـ
وـمـضـادـ لـغـايـاتـهـ .ـ وـلـوـ لـمـ يـقـصـدـ لـهـذـهـ الـاعـمـالـ لـكـانـ الـاـنـتـخـابـاتـ قدـ خـطـتـ
خـطـوـةـ مـهـمـةـ فـيـ سـيـلـ سـيـرـهـ ،ـ وـلـهـذـاـ أـرـجـوـ أـنـ تـسـمـحـواـ بـجـلـبـ الـمـوـمـيـ إـلـيـهـ
وـابـقـائـهـ فـيـ مـرـكـزـ الـلـوـاءـ رـيـشـماـ تـكـمـلـ الـاـنـتـخـابـاتـ عـلـىـ شـرـطـ أـنـ يـمـنـعـ اـخـتـلاـطـهـ
مـعـ أـيـ كـانـ خـوـفـاـ مـنـ أـنـ يـذـيـعـ أـفـكـارـهـ الصـارـاءـ بـيـنـ ذـوـ الـافـكـارـ
الـضـعـيفـةـ وـيـؤـثـرـ عـلـيـهـ ٠٠٠ (٢١)

أرادت الحكومة ارسال قوة عسكرية الى النجف ولكن مولود مخلص
أبرق اليها في ٥ آب ينصحها بعدم ارسال القوة لأن ذلك من شأنه
اثارة الانتباـهـ .ـ وـفـيـ ٩ـ آـبـ ذـهـبـ مـوـلـودـ مـخـلـصـ بـنـفـسـهـ إـلـىـ النـجـفـ وـاسـطـاعـ
أـنـ يـذـلـلـ الصـعـوبـاتـ الـعـرـقـلـةـ لـسـيـرـ الـاـنـتـخـابـاتـ (٢٢) .ـ

ومـاـ يـلـفـتـ النـظـرـ أـنـ يـنـماـ كـانـ الـصـرـاعـ تـاشـبـاـ فـيـ النـجـفـ عـلـىـ نـحـوـ
مـاـ ذـكـرـ نـاهـ ،ـ كـانـ هـنـاكـ صـرـاعـ مـنـ نـوـعـ آـخـرـ بـيـنـ الـمـلـكـ وـالـمـنـدـوبـ السـامـيـ
حـولـ سـيـرـ الـاـنـتـخـابـاتـ فـيـ بـعـضـ الـمـنـاطـقـ وـلـاـ سـيـماـ فـيـ بـغـادـ وـالـمـوـصـلـ وـبـعـضـ
نـواـحـيـ الـدـلـيـلـ .ـ فـقـدـ بـلـغـ الـمـنـدـوبـ السـامـيـ أـنـ الـمـلـكـ يـشـجـعـ فـيـ تـلـكـ الـمـنـاطـقـ
مـنـ طـرـفـ خـفـيـ بـعـضـ الـمـرـشـحـينـ الـمـعـرـوـفـينـ لـعـدـائـهـمـ لـلـانـكـلـيزـ .ـ وـفـيـ ٣١ـ آـبـ
أـرـسـلـ الـمـنـدـوبـ السـامـيـ إـلـىـ كـوـرـنـوـالـيـسـ كـتـابـاـ جـاءـ فـيـ مـاـ نـصـهـ :

(٢١) عبد الرحيم محمد علي (النجف والمجلس التأسيسي) - في مجلة « الرابطة » النجفية - في عددها الصادر في ايلول ١٩٧٥ .

(٢٢) محمد مظفر الادهمي (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٣ .

« ٠٠٠ اني آسمع من منابع مختلفة بأن الرأي السائد هو أن جلالة الملك يرغب في اكتيرية للمستطرفين في المجلس ، وان مثل هذه الاكتيرية سترفض تصديق المعاهدة . فإذا كانت هذه التبيجة تظهر فعلاً للوجود فانها طبعاً ستؤدي الى المصائب ، واني أرى من واجبى أن أذنر حكومة جلالة الملك فيصل رسمياً عما أعتقد حدوثه محتملاً ، هذا اذا لم يتغير جريان الأحوال في الأسبوع القادم »

كان هذا بمناسبة انذار الملك . وحين اطلع الملك عليه أجاب عليه موجهاً كلامه الى كورنواليس حيث قال :

« ٠٠٠ أنت بما عزيزي لاشك عالم تمام العلم بالجهود العظيمة التي بذلتها في سبيل نجاح الانتخابات ، ووافقاً تماماً على الأعمال التي قمت بها في جميع الامكنة والاندية التي زرتها مؤخراً للغاية نفسها ، والله أعلم انه لم يكن لي غاية من وراء المساعي التي بذلتها في سبيل تشجيع الانتخابات الا أن تكون المعاهدة في التبيجة مؤيدة بأغلبية سكان البلاد الساحقة ، ولقد اعترضتني مصاعب جمة في هذا السبيل فلم أحفل بها لأنني كنت ولا أزال معتقداً بأن التصديق على المعاهدة قوام لهذه المملكة ، وان أعمالى انساً ترمي الى تحقيق واجب متعدد يهون دونه كل عسير ، ومن أجل هذا الواجب أبعدنا العلماء ، وفي سبيله تحملت ما تحملت من انشاق وقمت بسياسات عديدة لم تكن تائجها سعيدة على ما أعتقد بل أدت الى اقدام أهل الموصل على الانتخابات بعد أن كان قسم منهم مقاطعاً لها وقسم آخر متعدد في أمرها ، ثم الى التحالف قسم من شيعة المدن ، ويمكنتني أن أقول جميع قبائلهم ، بالانتخابات رغم الفتاوي المعلومة . ولا بد أنك تذكر قوله ذلك قبل مدة أنه يجب أن تستوثق بكل عضو من أعضاء المجلس قبل أن يستخب وذلك لكي تكون في مأمن تام عند تصديق المعاهدة ، وان كل من يرشح شخصاً منا يجب عليه أن يكون أميناً منه ومسؤولاً عن رأيه في المجلس . . . ثم اختتم الملك رسالته بقوله : انه متالم جداً أن يتسرب الى ذهن فخامة المتذوب السامي أقل شبهة باخلاصي لبلادى ولصديقي بريطانياً ، أو أني اسعى لقضى عهد اعتبره قوام الحياة لمملكتي المهددة من جميع أطرافها .

حين اطلع المندوب السامي على هذا الجواب كتب يعرب عن أسفه لأن الملك أساء فهمه ، وقال انه ليس لديه دليل في نوايا الملك تجاه المعاهدة ولكن هناك جمهوراً كبيراً من العامة يعتقدون ان الملك يؤيد المرشحين المعارضين للمعاهدة ، ولابد ان هذا الاعتقاد سيزول منهم سريعاً اذا اطلعوا على رغبة الحكومة الحقيقة بصورة دائمة^(٢٣) .

افتتاح المجلس التأسيسي :

بعد ان انتهت الانتخابات تقرر أن يكون افتتاح المجلس التأسيسي في يوم ٢٧ آذار ١٩٢٤ . وقد اختلفت الآراء في أول الأمر حول مقر المجلس ، فارتباي بعضهم أن يكون المقر في بناية مدرسة الصنائع التي بناها مدحت باشا في ١٨٧٠ والتي تقع على دجلة قرب نادي الضباط بين الكلمة والقلعة ، ولكن مجلس الوزراء لم يوفق على هذا الرأي . واقتراح وزير الداخلية أن تكون بناية سينما رویال الواقعة في محلة باب الأغا مقراً للمجلس ، فلم يلق اقتراحه هذا قبولاً . واستقر الرأي أخيراً على بناية « مستشفى الغرباء » التي بناها مدحت باشا على شاطئ دجلة في جانب الكرخ ، فأجريت عليها الترميمات والإضافات اللازمة استعداداً ل يوم افتتاح .

وقد اعتبر يوم افتتاح المجلس عطلة رسمية ، وأمرت وزارة الداخلية جميع متصرفين الأولوية باقامة المهرجانات احتفاءً به ، كما طلب مجلس الوزراء من امانة العاصمة تزيين مدينة بغداد ليلاً ونهاراً . وخفضت محکوميات المسجونين وأطلق سراح بعضهم .

و قبل يوم الافتتاح أقام الملك مأدبة غداء في قصره دعا اليها أعضاء المجلس ، وقد أقسم الأعضاء بالولاء للملك وللبلاد . وكانت هناك مشكلة تقلق بالهم هي انتخاب رئيس المجلس فقد كان الانكليز يريدون أن يكون عبدالمحسن السعدون رئيساً ، بينما كان الملك يريد ياسين الهاشمي . كتبت المس بيل في مساء ٢٦ آذار - أي في الليلة التي سبقت افتتاح المجلس -

تقول ما نصه :

(٢٣) المصدر السابق - ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣٤ .

« أكتب هذا في متصف الليل ، وأنا غير قادرة على النوم . ففي يوم الاثنين كان هناك دعوة للنفادة في قصر الملك ، وقد جلست بجانب الملك فوجدته متالقاً . انه أتجز عملاً رائعاً مع أعضاء المجلس اذ هم أقسموا بالولاء له ولبلاد في ذلك اليوم . وغداً سوف يفتح المجلس في الساعة العاشرة ، وقد كان لدينا يوم مليء بالانزعاجات والتحركات حول قضية رئاسة المجلس . فإذا لم يتخروا محسن بك فلن يكون ذلك حسناً ، ولكن جعفر يغير فكره مرة كل ربع ساعة ويؤثر على الملك . وقد أخبرت الجميع بأنهم يجب أن يتخروا محسن ، أما البقية فهي في عهدة الآلهة . إنها مثل لعبة القناني الخشبية ، فانت تشغل نفسك بطرف واحد من الترتيب ثم تلتفت لترى أن الطرف الآخر قد انهار » .^(٢٤)

وفي صباح اليوم العين للافتاح اصطف عدد من الجنود في الشارع المؤدي الى المجلس لاداء التحية للملك عند قدومه ، كما اصطف تلاميذ المدارس . وازدحمت الجماهير على الجانبين كما هي عادتهم بنية التفرج . وفي الساعة التاسعة بدأ اعضاء المجلس يتواوفون تباعاً . وعندما اقتربت الساعة العاشرة وصل قائد القوات البريطانية بصحبة المندوب السامي . وفي العاشرة تماماً وصل الموكب الملكي وكان الملك متظياً سيارته الحمراء المكسوقة وهو بلباسه العربي متقدلاً سيفاً من ذهب وفي حزامه خنجر من ذهب أيضاً ، فعجبت الجماهير بالتصنيق ، كما عزفت موسيقى الجيش تحية له وأطلقت المدافع .

وحين دخل الملك الى قاعة المجلس وقف الاعضاء له احتراماً ، ثم ألقى الملك خطاب العرش عبر فيه عن غبطته لافتتاح أول مجلس شورى في العراق وقال ان هناك ثلاثة أمور جوهرية على المجلس أن يبت فيها وهي : (١) تصديق المعاهدة (٢) سن الدستور (٣) سن قانون الانتخاب

(24) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 336.

للمجلس النيابي ٠ ودعا الملك في خطابه أعضاء المجلس الى تصديق المعاهدة لأن عليها يتوقف حل المسائل الحيوية لبلادنا بمعونة الحكومة البريطانية وعصبة الأمم ٠ ثم أشار بعد ذلك الى الدستور حيث وصفه قائلاً :

«أن أحكام الإسلام مؤسسة على الشورى ، وأعظم ما ارتكبته الطوائف الإسلامية من الخطئات حيادها عن قوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم ٠ فعلى كل مسلم يعلم ما يأمر به دينه أن يؤيد هذا الحكم الآلهي ، وكل تكاسل عنه مخالفة لأمر الله ، فاتباعاً لهذا الأمر الجليل ، وافتداة بالآمم العريقة في الحضارة ، وعملاً برغبات الأمة العراقية ، ندعوكم أيها النواب الكرام الى سن هذا القانون ، روض نظام الانتخاب للمجلس النيابي ٠٠٠»^(٢٥) .

وحين انتهى الملك من القاء خطابه غادر القاعة ، فرأى جعفر العسكري الجلسة موقتاً من أجل انتخاب رئيس المجلس ٠ وعند فرز الأصوات تبين ان السعدون قد حصل على خمسين صوتاً بينما حصل الهاشمي على ثلاثة وعشرين صوتاً ، وحصل ابراهيم الحيدري على ثمانية أصوات ٠ فصعد السعدون على منصة الرئاسة وشكر أعضاء المجلس على تفهمه به كما شكر بريطانيا لوفائها بعهدها في تسهيل اجتماع المجلس ٠

كانت المس بيل قد حضرت حفلة الافتتاح ، وكتبت بعد ذلك تصف ما جرى فيها فقالت : ان الملك القى خطاباً رائعاً ولكنه كان عند القائمه عصياً جداً ٠ ثم وصفت اللحظة التي تم فيها انتخاب السعدون بأنها لحظة مثيرة ، وأشارت الى ظاهرة طريفة حدثت في أثناء الانتخاب اذ قالت : ان بعض شيوخ العشائر الذين كانوا جالسين أمامنا حملوا أوراق تصويتهم وهي موجهة نحونا قبل أن يلقوها في صندوق الانتخاب وذلک لكي يظروا لنا أنهم كتبوا اسم السعدون عليها ٠^(٢٦)

(٢٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢٦) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 336.

المعارضة من جديد :

قرر أن ينظر المجلس في أمر تصديق المعاهدة قبل النظر في سن الدستور . وقد لوحظ أن هذا أمر لا ينسجم مع الأصول الدستورية في البلاد الديمocratique اذ لا يصح النظر في تصديق معاهدة مع دولة أجنبية قبل تحديد وضع البلاد من حيث شكل الحكومة فيها وتحديد سلطاتها المختلفة . وعلى أي حال فقد تم الاتفاق بين الملك والإنكليز على تقديم أمر المعاهدة لأهميةها بالنسبة لوضع العراق الخاص .

ومن الجدير بالذكر ان الإنكليز كانوا متقائلين من ناحية المعاهدة يحسبون ان المجلس سوف يصادق عليها بسرعة وان ليس هناك معارضة بعد الذي جرى من تسفيه المتجهدين في عهد الوزارة السابقة^(٢٧) . اضف الى ذلك ان معظم أعضاء المجلس كانوا موضع اطمئنان الإنكليز ، ولا سيما شيخ العشائر الذين يبلغ عددهم في المجلس أربعين ، اذ هم كانوا قد اجتمعوا قبل افتتاح المجلس وتماهموا فيما بينهم على تأييد المعاهدة وعلى أن لا يقوم أي منهم بعمل مخالف من دون موافقة الجميع^(٢٨) .

ادرك الإنكليز بعد قليل انهم كانوا في تفاؤلهم واهميين ، فقد تبين لهم ان المعارض قادر على تنهض من جديد وبقوة اكبر ، وان الكثيرين من الأعضاء الذين كانوا موضع اطمئنانهم سيكونون من زعماء المعارضة او المشجعين لها على الاقل .

ظهرت أولى بوادر المعارض على لسان ناجي السويدي وذلك على اثر تقديم المعاهدة الى المجلس في ٢ نيسان ، فقد قدم السويدي حينذاك اقتراحاً قال فيه : إن المعاهدة يجب أن تعلن على الشعب الذي هو الواسطة الوحيدة للبت فيها ، وان التواب لا يجوز لهم ان ينظروا في المعاهدة الا

(27) Elie Kedourie (Chatham House Version) - London 1970 .
p. 265.

(28) فيليب آيرلاند (العراق) - ترجمة جعفر الخياط - بيروت ١٩٤٩ -
ص ٣١٠ .

بعد أن يطّلعوا على رأي الشعب لأنهم مجبورون على العمل برأي الشعب وطبق أماناته ورغباته . وحين عرض اقتراح السويدي هذا في التصويت قبله المجلس^(٢٩) .

يمكن القول إن هذا الاقتراح قد حكم على المعاهدة منذ البداية بالرفض . فالمعاهدة إذا عرضت على الشعب حسبما اقترحه السويدي فإن ذلك بطبيعته لابد أن يثير في أوساط المثقفين حركة مضادة للمعاهدة ، وهؤلاء سيحرّكون الجماهير ، وعند هذا لابد أن تنتقل عدوى المعارضة إلى داخل المجلس ، فيأخذ بعض النواب بانتقاد المعاهدة طمعاً بهتاف الجماهير ، ويقوم نواب آخرون بباراتهم في ذلك ، وبذا يت分成 النواب في نظر الجماهير إلى فريقين متضادين : وطنيين وخونة . وقد يتهمي الأمر إلى رفض المعاهدة بأكثرية الأصوات .

ان هذا الذي ذكرناه قد حصل فعلاً . ففي ٦ نيسان - أي بعد أربعة أيام من أدلة ناجي السويدي باقتراحته - نشرت جريدة «الاستقلال» مقالاً افتتاحياً يعنوان «إلى المحامين من أبناء الرافدين» وهو مذيل بتوقيع «س» والمظنون أنه المحامي داود السعدي ، وقد أشار فيه إلى ما لوحظ من هدوء المحامين في هذه الأيام التاريخية التي يبت فيها مجلس الأمة في مصير الوطن ، كما أشار إلى أن المحامين في كل بلاد العالم لهم القدر المعلى في الكفاح في سبيل أوطنهم . ثم قال يخاطب المحامين : إن الوطن يلطف آخر نفس له ، وعليكم أن تقوموا بواجبكم المقدس وإن تشاركوا أعضاء المجلس في السراء والضراء ، فالشعب يرقب جهودكم بفارغ الصبر .

وفي ٩ نيسان تقدم داود السعدي ورشيد رشدي بطلب إلى متصرف بغداد لعقد اجتماع في فندق الهلال الواقع في محلة الميدان من أجل تكرييم النواب والاستماع إلى كلمات بعض المحامين حول السياسة العامة للبلاد . وقد وافق المتصرف على الطلب في أول الأمر ثم سحب موافقته بعدئذٍ على

(٢٩) عبد الرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٧١ .

أثر ايعاز صدر اليه من وزارة الداخلية ٠ وفي اليوم التالي أثار النائب عبدالرازق الرويشدي هذا الموضوع في المجلس وطلب من الحكومة السماح بعقد الاجتماع للاطلاع على رأي المحامين الذين هم اختصاصيون في القانون ولهم وقوف تام على مواد المعاهدة ٠ فقام نوري السعيد طالباً غلق الموضوع لأن النظر في المعاهدة من شأن أعضاء المجلس. وحدهم وليس لأحد غيرهم حق الاشتراك فيه ٠ فقام النائب صالح شكاره يرد على نوري السعيد قائلاً ان المعاهدة تخصل الشعب بأجمعه وإن من الواجب على المجلس أن يتفاهم مع الشعب على صفحات الجرائد وفي الاجتماعات ٠ وبعد مناقشة حادة بين النواب في هذا الموضوع تقرر احالته إلى رئاسة المجلس للتحقيق فيه ٠ وفي الجلسة التالية أعلن ياسين الهاشمي ان التحقيق أظهر ان الحكومة لم تمنع الاجتماع بل طلت تأجيله ٠ ثم أعلن السعدون بصفته رئيس المجلس ان المسألة انتهت وأنه لا مانع للمحامين من دعوة النواب والاجتماع بهم ٠

قرر المحامون عقد الاجتماع في ١٧ نيسان في سينما رويداً بدلاً من فندق الهلال ، وأن يكون في الساعة الثانية بعد غروب الشمس لأن الوقت كان في شهر رمضان ٠ وفي صباح ذلك اليوم طلت جريدة « المراق » وفيها حديث لنوري السعيد اعترف فيه بمساوي المعاهدة ولكنه قال أن تصديق المعاهدة بالرغم من ذلك سيؤدي الى تثبيت كيان العراق السياسي ، أما رفضها فسيقىن في البلاد في هوة يعلم كل منا حق العلم ما وراءها من خيبة آمالنا القومية وضياع جميع الجهود العظيمة التي بذلتها أمتنا حتى اليوم ٠ وكان نوري السعيد يقصد من ذلك أن رفض المعاهدة يؤدي الى ضياع منطقة الموصل التي تطالب بها تركيا وغير ذلك من الأخطار التي تهدد البلاد من جميع جوانبها ٠

وقد تم عقد الاجتماع في الوقت المحدد ، وحضره أعضاء المجلس وعدد كبير من المحامين والوجهاء والمنتفعين ، حتى غصت بهم قاعة السينما ٠ وافتتحت الحفلة بشيد حماسي من تلامذة مدرسة « التفيف » الاهلية ، ثم قام داود السعدي فألقى كلمة رحب فيها بالمدعويين وشرح الوضع السياسي

ثم قال : ايها النواب اعتقدوا ان الأمة العراقية واقفة أمامكم موقف المتهما بجريمة كبرى وهو في الواقع برىء ، وهي تنتظر منكم القرار أما بموتها أو ببراءتها . فقوبلت كلمته - حسبما روت جريدة « العالم العربي » - بتصفيق حاد وضجة عظيمة وهتف علي . ثم أعقبه المحامي شفيق نوري السعدي فتلا بصوت حماسي عالي بياناً للمحامين يتضمن انتقاداً شديداً للمساعدة وتظلمها من بعض بنودها . تم نهض ياسين الهاشمي ليتكلّم بالنيابة عن أعضاء المجلس ، وقال يخاطب المحامين : بالله عليكم كثروا من مثل هذا الاجتماع في كل وقت عصيب ، ثم قال : « أقسمنا على الصدق والاخلاص لملكتنا ولملكتنا مهما كانت القيود والتهديدات الشديدة » . فقوبلت كلمته بالتصفيق العجاج والهتفاف ^(٣٠) .

ووصفت المس بيل في احدى رسائلها الاجتماع الذي عقد في سينما رویال فقالت ما نصه : « ان جماعة من المحامين الأوغاد الذين لا ممارسة لهم أقاموا حفلة دعوا فيها النواب ، وألقى اثنان من هؤلاء الحمير الصغار خطبأً عنفية ضد الانكليز بوجه عام ، وضد المعاهدة بوجه خاص ، ووصفوا المعاهدة بما ليس فيها مثل ان الفرد الانكليزي لا يمكن توقيفه في العراق في حالة خرقه للقانون ، وأخذ الحاضرون يضربون صدورهم عند هذا . وتكلم ياسين الهاشمي فشكر المحامين على دعوتهم ثم أضاف قائلاً انتا يجب أن لا تنسى ان بريطانيا هي الصديقة الوحيدة للعراق . ولكن هذا القول لا ينفع الهاشمي شيئاً لأنه كان المحرك لاقامة هذه الحفلة في البداية ، وهو الآن يريد تهدتها ، لكي يكون له قدم في كلام الجانيين ^(٣١) » .

اسلوب المعارضة :

ان المعارضة الجديدة تختلف عن سابقتها بالاسلوب . ففي عهد المعارضة السابقة كان يكفي للمجتهدین أن يصدروا فتاویهم في تحریم

(٣٠) جريدة « العالم العربي » - في عددها الصادر في ٢٠ نيسان ١٩٢٤

(31) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, p. 340

أمر من أمور السياسة ، وكانت تلك الفتاوى ذات تأثير كبير على الناس لأن المخالف لها ينال نبذًا واحتقاراً اجتماعياً بالإضافة إلى ما يتظره في الآخرة من عذاب مقيم ، أما الآن فقد صارت المعارضة الجديدة تستعمل أسلوباً آخر مستمد من طبيعة الدنيا وليس للآخرة فيه نصيب ، إذ هي لجأت إلى الإرهاب تارة والى التخوفة العشائرية تارة أخرى .

يقول توفيق الفكيكي في مذكراته ، وكان يومذاك طالباً في الحقوق : انه كان وزملاؤه الطلاب يذهبون إلى بيوت بعض النواب البارزين يستعملون معهم طرق التخوفة المعروفة لدى العشائر ، كعقد الكوفية أو الامتناع عن شرب القهوة ، وقد فعلوا ذلك مع سالم الخيون و زامل المناع وسلمان الظاهر . ويروى الفكيكي عن سالم الخيون أن الملك فيصل سأله فيما بعد : « ما الذي حملك على رفض المعاهدة بعد ما آنست منك الموافقة ؟ » فأجاب سالم الخيون : « سيدني أحوجني طلب قصير من طلاب الحقوق يدعى توفيق الفكيكي ، حيث امتنع هو ورفقاوه من شرب قهوتي ، ولم يكتف بذلك بل عقد كفيتي على الطريقة العشائرية فاضطررت أن أتعهد له برفض المعاهدة . ويظهر أن هذا الطالب عليم بتقاليد العرب »^(٣٢) .

وأخذت المعارضة تستخدم النساء والصبيان للتأثير على النسوب . حدثني عبدالهادي الظاهر : أن عبدالغفور البدرى كان يأتي بالنساء الاعرابيات من ذوات الشخصية القوية ، يجمعهن من بعض المخلات كالبوشيل والدورين ، ويرسلهن إلى بيوت الشيوخ من النواب ، فإذا دخلت احداهن على الشيخ صرخت في وجهه على الطريقة العشائرية : « على بختك يا أبو فلان ، تبتعونا للصوجر ، ألف وسنة عليكم » . وكثيراً ما كانت هذه الطريقة تؤثر في الشيخ لأنها تمس أوتار قلوبهم البدوية . كتبت انس بيل في « حزيران » يقول إن عجیل الیاور جاء لرؤيتها في هذا الصباح وقال لها : « خاتون ، جئت لأخبرك بأن ليس على وجه

^(٣٢) عبدالله الجبورى (توفيق الفكيكي) - بغداد ١٩٧١ - ص ٣٨-٣٩

الارض قوة قادرة على جعل المجلس يصادق على المعاهدة . فأنت لا تدرين ماذا يجري في المدينة ، فهناك أمم بيتي يقف ليلًا ونهاراً شخص من أهل السوق . انه ليس كبيرا في السن بل صبي رث الملابس . وفي كل مرة أدخل الى البيت أو أخرج منه يتلقاني هذا الصبي فيمسك بيدي لتقبيلها ، أو يقبل عباءتي أو طرف قباني ، ثم يبكي قائلا : ايها الشيخ ، يا والدى ، أرفض المعاهدة ، لا تدعنا الى الانكليز . انه لا يعرف محتوى المعاهدة . وقد استئجر لكي يقف عند باب بيتي ويقول ما يقول « .. » ثم يختسم عجیل الیاور کلامه بقوله : « اذا كان أمم بيتي واحد ، فان هناك ثلاثة او أربعة أمم بيت كل عضو من أعضاء المجلس » .⁽³³⁾

محاولة اغتيال :

كتبت المس بيل في رسالة لها تقول : ان كورنواليس تلفن لها في صباح ۱۸ نيسان وأخبرها ان شيخ العشائر المؤيدین للمعاهدة نقص عددهم الى ستة فقط ، وهم حاضرون عنده الآن ويريدون اصدار تصريح يؤيدون به المعاهدة بلا مبالغة بما يفعله الشیوخ الآخرون الاشرار . ثم قال كورنواليس وهو متضجر : ان الأمور يجب أن تبدأ بها من جديد ، ويجب أن تؤلف حزباً من شيخ العشائر تكون نواته من هؤلاء الستة⁽³⁴⁾ .

لم نعرف من هؤلاء الستة الذين كانوا يؤيدون المعاهدة سوى اثنين هما عدای الجريان وسلمان البراك . وقد كان هذا الرجال في الواقع جريئين في اعلان تأييدهما للمعاهدة لا يخافان أحداً أو يكتران للرأي العام .

والظاهر ان المعارضة صممت على ارهاب هذين الشیخین لتجمل منها عبرة لغيرهما . ففي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ۲۰ نيسان بينما كان الشیخان يسیران معاً عائدين الى بيتهما المشترك - الواقع في محلة باب الأغا قرب سینما رویال - أطلق شخصان مجهولان النار

(33) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, p. 343

(34) Ibid. - vol. 2, p. 340.

عليهما ، فأصيب عدائي في ذراعه ، وسلمان في ساقه ، ولكن اصابتهما لم تكن خطرة ، ونقلوا حالاً إلى المستشفى . وقد تأجلت جلسة المجلس في اليوم التالي استياءً من الحادثة . وعلقت المسن بيل على الحادثة قائل : « من مزايا سياستنا في العراق انهم حين يختلفون فيما بينهم يطلقون النار ببعضهم على بعض ، وليس علينا ، والا كنت أنا المصابة بدلاً من عدائي »⁽³⁵⁾ .

أسرعت الشرطة فألقت القبض على واحد وعشرين شخصاً من رجال المعارضة كان من بينهم : داود السعدي وشقيق نوري السعدي ورشيد رشدي وعلى محمود الشيخ علي وعونى التشنلي وأنور التشنلي وسامي التشنلي ومحمد عبدالحسين وعبدالرازق الحسني ورشيد الصوفي وعبدالهادي الظاهر وتوفيق الفكيكي وصادق حبه ونصرت الفارسي وفخري الطبقجي وعبدالرحمن خضر وطالب مشتاق ومحسي الدين أبو الخطاب وهاشم السعدي وعبدالمجيد زيدان وقاسم العلوبي وغيرهم . كما أمرت وزارة الداخلية باغلاق جريدة « الاستقلال » و « الشعب » .

عرض المقبوض عليهم على عدائي الجريان وسلمان البراك لكي يتعرفا من بينهم على الشخصين اللذين أطلقوا النار عليهما . فأشاد سلمان الى علي محمود الشيخ علي وقال انه أحد الشخصين ، ثم أشار الى عوني التشنلي وقال انه الثاني ولكنه قال انه غير متتأكد منه . وقد تحقق فيما بعد ان سلمان كان مخطئاً في تشخيصه . وقيل في حينه ان الفاعلين الحقيقيين هما شاكر القرغولي وعبدالله سرية ، وكانا قبل هذا بشهرين قد اتنا توقيف العالدي كما هو معروف .

وفي ٢٣ نيسان أطلق حاكم التحقيق سراح اثنى عشر من المقبوض عليهم . وفي ٢٥ منه أطلق سراح رجل آخر منهم هو عبدالرحمن خضر . أما الباقون فلم يطلق سراحهم الا في ٢ أيار . وقد حدثني عبدالمهادي

(35) Ibid, vol. 2, p. 340 - 341.

الظاهر بان شاكر القرغولي وعبدالله سريه أرسلا الى المقبوض عليهم قبل اطلاق سراحهم يقولان لهم : لا تخافوا فتحن مستعدان للاعتراف عند الزروم بأتنا نحن اللذان أطلقا الرصاص على عدائي الجريان وسلمان البراك .

وعلى أي حال فان تلك الحادثة أدت الى انتشار الرعب بين النواب ، وصار بعضهم يخشى أن يأتي دوره بعد سلمان البراك وعدائي الجريان . ولهذا أخذ عدد النواب الذين يحضرون المجلس يتناقص بمرور الأيام حتى بلغ عدد الحاضرين في جلسة ١٠ أيار ثلاثة وخمسين فقط مع العلم ان عدد النواب كلهم يصل الى المائة ، كما أخذ بعض النواب يقدمون استقالتهم من عضوية المجلس ، وصرح أحدهم أنه يريد الاستقالة بسبب التهديدات المستمرة من الرسائل غير الموقعة والاعلانات التي كانت تلصق في الأسواق (٣٦) .

كتب المس بيل في ٢١ أيار حول صديقها الحاج ناجي وهو أحد النواب المعروفين بتأييدهم للمعاهدة ، فقالت : « ذهبت لزيارة عزيزي العجوز فوجده في هياج مكبوت . انه كان متأكداً بأن دوره هو التالي ويقول ان كل انسان يظن ذلك . فان بيته بعيد وتقلاطه الريتية تجعل الاعتداء عليه سهلاً . واني حاولت تسليته ولكنني عند عودتي كنت قلقة عليه جداً . فاتصلت بكورنواليس لكي يحيطه بحماية من الشرطة ، واذا لم يفعل ذلك فاني سأذهب الى الحاج ناجي وأسكن معه قترة من الزمن ولا أسمع له بالمجيء الى بغداد الا معى . واتفقنا في الرأي على أنهم لا يطلقون عليه النار ما دمت أنا معه في أرجح الظن » (٣٧) .

سلوك الهاشمي :

كان سلوك الهاشمي في تلك الأونة يصح أن نصفه بالإزدواج ، فهو

(٣٦) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٣١١ .

(37) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, p. 342.

في الظاهر كان معارضًا للمعاهدة وكان حين يجتمع بالمحامين الذين تزعموا المعارضة يشجعهم ويبارك عملهم ، ولكنه عندما يختلي بالملك أو بالإنكлиз أو بعض أصحابه الذين يطمئن منهم يحمد المعاهدة وربما وصفها بأنها خير ما يمكن الحصول عليه^(٣٨) .

هناك في تفسير هذا السلوك المزدوج من الهاشمي رأيان ، أحدهما يقول بأن الهاشمي إنما فعل ذلك بالتفاهم مع الملك وذلك للاستفادة من المعارضة في تخفيف وطأة بعض المواد في المعاهدة وتعديلها لمصلحة البلاد^(٣٩) . والرأي الثاني يقول بأن الهاشمي كان يريد بمعارضته الوصول إلى الحكم .

يبدو أن جعفر العسكري كان يذهب إلى الرأي الثاني في تفسير سلوك الهاشمي . فهو كان يشعر بأن المعارضة خرجت عن حدتها وأصبحت لاتطاق ، وانها تستهدف ابعاده عن الحكم لكي يتولاه الهاشمي . وقد أيد هذا الشعور لديه ان الهاشمي طالما أعلن أمام الملك والمندوب السامي ان الوزارة العسكرية غير مسيطرة على المجلس كأنه يعني بذلك انه وحده قادر على اقناع المجلس بتصديق المعاهدة .

وفي أوائل أيام بادر جعفر العسكري بتقديم استقالته إلى الملك ، وبعد أن استشار الملك المندوب السامي استدعى إليه الهاشمي وكلفه بتشكيل وزارة جديدة . فطلب الهاشمي مهلة أربع وعشرين ساعة لدراسة الوضع ، واتصل خلال هذه المهلة بالمندوب السامي طالبا منه تعديل بعض مواد المعاهدة من أجل تسهيل تصديقها في المجلس ، ولكن المندوب السامي رفض طلبه . واضطر الهاشمي أخيرا إلى الاعتذار عن تشكيل وزارة جديدة غير أنه أعطى وعدا للملك بأن لجنة تدقيق المعاهدة التي يرأسها سوف تقدم تقريرا إلى المجلس في صالح المعاهدة . فاقتصر العسكري بالاستمرار

(٣٨) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) - ج ١ ص ١٠٩ .

(٣٩) علي جودت (ذكريات) - بيروت ١٩٦٧ - ص ١٧٢ .

في رئاسة الوزارة حتى يتم تصديق المعاهدة^(٤٠) .

ومما يلفت النظر ان الهاشمى كان فى تلك الاونة يتوجب الى المس
بىل بغية اكتساب ثقتها من جديد بعد ما فقد تلك الثقة على نحو ما ذكرناه
سابقاً . كتب المس بيل في ٢١ أيار يقول في وصف الهاشمى مانصه :

« ان لديه وصممات داكنة ولكنى مع ذلك أحبه . انه يملك جاذبية
ويعطي الانسان احساسا بالقوة . وقد ذهبت لزيارتة في بيته قبل اسبوعين
بمناسبة العيد ، فرحب بي ترحيا لم اجده في اي بيت آخر ، واصر على
مصاحبتي لرؤيه زوجته وبناته الصغيرات الثلاث . ان حياته العائلية جميلة ،
وانى أظن ان من النادر أن نجد في بغداد رجالا يتمتع بمثل هذه الحياة
العائلية »^(٤١) .

المعروف عن الهاشمى ان حياته العائلية لم تكون كما تصورتها المس
بيل ، فقد كانت انفارة بينه وبين زوجته متصلة ، وكان هو دائم التذمر
منها . والمظنوون أنه أظهر حياته العائلية للمس بيل بتلك الصورة الجميلة
لكي يؤثر عليها نفسيا ويجعلها تميل اليه . ويبدو انه نجح في ذلك نجاحا
غير قليل .

في ٢٠ أيار قدم الهاشمى تقرير اللجنـة المكلفة بتدقيق المعاهدة الى
المجلس ، وقال يصف المعاهدة : « وجدنا فيها ما يمس بسيادتنا ويخـل
بحـوقـنا ويـضـعـفـ استـقلـالـنـا » ، وطلب من المجلس رفضها اذا لم تـجرـ عـلـيـهاـ
التعديلـاتـ المـطـلـوـبـةـ . فـكـانـتـ تـلـكـ مـفـاجـأـةـ غـيـرـ مـتـوقـعـةـ لـلـمـلـكـ ولـلـمـنـدـوبـ
الـسـامـيـ ولـلـوـزـارـةـ^(٤٢) . ولـكـنـ المسـ بـيـلـ حـينـ قـدـمـ تـقـرـيرـهـ اـلـىـ المـنـدـوبـ
الـسـامـيـ حولـ ماـجـرـىـ فـيـ المـجـلـسـ قـالـتـ : اـنـهـ سـيـشـهـدـونـ مـنـظـراـ عـجـيـباـ حـينـ

(٤٠) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٣١٢ .
(41) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, p. 342.

(٤٢) سامي عبدالحافظ القيسي (ياسين الهاشمي) - رسالة جامعية غير
مطبوعة - ص ١٣٢ ، ١٣٥ -

يتم تصديق المعاهدة على يد ياسين الهاشمي (٤٣) .

تفاقم الأزمة :

أجمع رأي المعارضة في داخل المجلس وخارجه على وجوب تعديل المعاهدة قبل تصديقها . وفي ٢٦ أيار قدم المندوب السامي إلى الملك شبه إنذار يقول فيه أن موعد الجلسة القادمة لمجلس عصبة الأمم هو ١١ حزيران ، وإذا لم تصدق المعاهدة قبل ذلك فإن الحكومة البريطانية تذكر في أن تعرض على مجلس العصبة ترتيبا آخر عوضا عن المعاهدة (٤٤) .

وفي ٢٧ أيار قدم وزير المعارف محمد حسن أبو المحاسن استقالته من الوزارة بسبب اختلافه مع زملائه الوزراء حول وجوب تعديل المعاهدة قبل عرضها على المجلس . ويروي ساطع الحصري طريقة في هذا الصدد هي أن رئيس الوزراء قال للوزير أبو المحاسن قبل استقالته : « انك تكثر من مخالفتنا . والعادة ان الوزير الذي لا يتفق مع زملائه ينسحب ويستقيل . فأرى انه يجب عليك أن تستقيل » . فرد أبو المحاسن عليه قائلا : « أنا لا استقيل - أنت استقيل » (٤٥) .

كان يوم ٢٩ أيار يوما صاخبا في بغداد ، فقد كان المقرر ان يقوم المجلس في ذلك اليوم بالنظر في أمر المعاهدة نهائيا أما أن يصادق عليها أو يرفضها . وقد استعدت المعارضة لهذا اليوم وعبأت الرأي العام له وأعدت الجماهير .

ولما طلع النهار في ذلك اليوم عم الاضراب في الكثير من الاسواق ، وتجمهر الناس في جانب الكرخ حول بناية المجلس وهم يهتفون : « ليجي سالم الخيون » ، « ليجي رجال الوطن » ، « ليجي الاستقلال » ، « لاتمروا المعاهدة لاتضوها » . وقد حاول رجال الشرطة اسكاتهم وتهديفهم ولكنهم

(43) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 342.

(44) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٨٣ .

(45) ساطع الحصري (المصدر السابق) - ج ١ ص ٣٨٤ .

ازدادوا صرacha و هتفا^(٤٦) . ومن الطرائف التى تروى في هذا الصدد ان صيغ نشأت وزير المواصلات والاشغال كان قدما بسيارته الى المجلس فأحاط بسيارته الجمهور واخذ حمدا عليه ومنعوا سيارته من السير وهم يهتفون « تسقط المعاهدة » . فأخذ يهتف معهم بسقوط المعاهدة ليتخلص منهم ، فطلبوا منه قول شرف بأنه سوف لا يصدق المعاهدة ، فصاح مؤيدا لهم : « لعنة على أمه وأبوه كل من يصدق المعاهدة ! » ولم يتخلص منهم الا بجهد جهيد .

وعندما اشتد الهياج خارج المجلس خرج بعض النواب يرجون من الجمهور الهدوء ، كما خرج رئيس المجلس برجومه كذلك ، فلم يؤثر ذلك فيهم شيئاً . ولما اراد الشرطة تفريقهم أخذوا يقذفون الشرطة بالحجارة ، وحاول بعضهم الدخول الى قاعة المجلس ، فاستدعى نوري السعيد قوة من الجنود الخيالة لمساعدة الشرطة في تفريق المتجمهرين ، وأطلق هؤلاء النار في الهواء في أول الأمر ثم اضطروا الى اطلاق النار على المتجمهرين فأحدثت فيهم بعض الاصابات الخفيفة . ودخل بعض الجنود وهم يحملون الرشاشات الى داخل المجلس وكاد يحدث تصادم بينهم وبين الرجال المسلحين الذين كانوا قد جاؤوا بصحبة سالم الخيون وغيره من رؤساء العشائر .

وكانت مناقشات المجلس في ذلك اليوم لا تخلو من حماس ، وقد برز فيها سالم الخيون بخطبته المشيرة للنحوة على الطريقة العشائرية ، كما برز رايح العطية وغيره . ثم تأجلت الجلسة الى يوم ٣١ أيار .

وعندما أريد عقد الجلسة في ٣١ أيار تبين ان كثيرا من النواب غائبون . وتأخر جرس البدء بالجلسة ساعة كاملة . وحين دق الجرس أخيرا ظهر ان النصاب غير مكتمل إذ كان عدد الحاضرين تسعه وأربعين فقط مما اضطر الرئيس الى تأجيل الجلسة الى ٢ حزيران .

(٤٦) محمد مظفر الادهمي (المصدر السابق) - ج ٢ ص ٦٤٣ .

وبينما كان النواب يهمون بالخروج من قاعة المجلس شاهدوا المندوب السامي قادماً ومه كورنوايلس ، فكانت تلك مفاجأة لهم . وذهبوا جميعاً إلى غرفة الاستراحة وأخذ دويس يتحدث إليهم محاولاً إقناعهم بقبول المعاهدة فأشار إلى محادثات السر برسي كوكس في استنبول حول قضية الموصل وقال إن الاتراك كانوا متساهلين فيها ولكنهم عندما بلغتهم ما جرى في المجلس تغيروا وأخذوا يطالبون بولاية الموصل . ثم قال دويس إن التعديل الذي يطلبه النواب للمعاهدة ممكن ولكن بعد تصديقها ، ثم تناول ورقة وكتب عليها هذه العبارة : « إن الحكومة البريطانية مستعدة للنظر في تعديل الاتفاقتين المالية والسكنية بما يتفق والسمحاء المعروفة عن الشعب الانكليزي ، ما دامت المادة الثامنة عشرة من المعاهدة نفسها جوزت هذا التعديل على أن يكون بعد الابرام » . وبعد أن انتهى دويس من كتابة الورقة سلمها إلى رئيس المجلس ، ثم خرج مع صاحبه كورنوايلس (٤٧) .

مباراة خطابية :

ظن دويس أنه عندما تحدث إلى النواب أقنعهم وأنهم سيسرعون إلى تصديق المعاهدة بلا تردد . واتضح فيما بعد أنهم ازدادوا اصراراً على وجوب تعديل المعاهدة وصاروا يشتدون في خطبهم الحماسية في المجلس يوماً بعد يوم .

من يطلع على محاضر جلسات المجلس التي عقدت بعد ٣١ أيار يجد نفسه كأنه في مباراة خطابية حيث كان كل واحد من النواب يحاول أن يتفوق على زملائه بما يظهر من حماسة وطنية وجرأة في الكلام . لقد كان أكثر النواب في تلك الأيام واقفين تحتتأثير الحماسة العامة التي كانت مشحونة بالقمة على المعاهدة وتعد تصديقها خيانة للوطن . فكان النائب الذي يتحمس في شجب المعاهدة تحبيطه الجماهير بهالة من التقدير ويصبح في نظرهم وطنياً غيوراً ويجري ذكره الطيب على كل لسان . وكانت شرفات المستمعين في المجلس تنص عادة بروادها ، وهؤلاء كانوا يرافقون

(٤٧) عبدالرازق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٨٠ .

النواب ليدوا اعجاهم بمن يعارض المعاهدة منهم ويلعنوا المؤيد لها . وكان النائب الذى يتكلم لا يبالي الا بصدق كلامه بين المستمعين وما سوف ينقله المستمعون الى الجماهير خارج المجلس من أقوال المدح والذم .

عندما عقد المجلس التأسيسي جلسته في ٢ حزيران ، تكلم رؤوف الجادرجي وعمر العلوان وعبدالرازاق منير وصالح شكاره ومحمد حسن حيدر وأحمد الشيخ داود ، فهاجموا المعاهدة هجوماً عنيفاً وهاجم بعضهم بريطانياً معها . فقد قال محمد حسن حيدر مثلاً : ان اعطاء زمام البلاد لأجنبي هي خيانة وان الخيانة تعني خسارة الدين والشرف والعيش الحر . وقال أحمد الشيخ داود يصف المعاهدة بأنها « ضربة قاضية على استقلالنا مبنية لشعبنا مهدمة لكياناً السياسي » ، ثم ختم كلامه قائلاً : « ان ما أملينا في هذه المعاهدة لا يمكن أن يطلق عليه تعبير تعاون دولي بل هو صك استعباد واستعمار (تصفيق) » ، فعليه أطلب من أخوانى أن يقوموا ويصوتوا برد المعاهدة إلى الحكومة . قوموا سالتكم بالله » . وكان يقصد من ذلك ان تنهي الجلسة ويترك النواب القاعنة ، فاعتراض رئيس المجلس على ذلك قائلاً ان انتهاء الجلسة يجب أن لا يكون الا بعد التصويت ، فرد سالم الخيون عليه بأن الأكثريّة قد حصلت بخصوص إعادة المعاهدة إلى الحكومة . وحدث من جراء ذلك جدال انتهى بتأجيل الجلسة إلى اليوم التالي .

وفي اليوم التالي كان الحماس أشد مما كان بالأمس ، وكان من أوائل المتكلمين عبدالرازاق الرويشدي وشعلان أبو الجون وسالم الخيون . وكانت الكلمة سالم عاطفية مليئة بالاشعار ، وقال يصف نفسه وزملاءه شيوخ العشائر انهم يمثلون الأكثريّة في البلاد وأنهم أهل الحل والعقد وهم الذين ضحوا بأنفسهم وانتشروا في البلاد بدمائهم ودماء آبائهم ، « فيهيات أن نقبل المعاهدة التي جاءت لتسعيتنا (تصفيق) » ، فأصرّح بأن المعاهدة مردودة إلى الحكومة » ، ثم قال انه يعتبر التراجع عن مطلب تعديل المعاهدة عاراً . وكان يشير بذلك إلى ناجي السويفي الذي انسق عن المعارضة في ذلك الوقت بعدما كان هو الباديء بها .

كان نوري السعيد الوحيد من بين النواب الذي أبدى رأيه علناً في تأييد المعاهدة دون أن يخشى نعمة الجمهور عليه . والظاهر أن له جمهوراً آخر يهتم به غير الجمهور الذي كان يهتم به بقية النواب . فقد قام يدافع عن المعاهدة قائلاً : اني اعرف بأنها توادي الى تقييد استقلال البلاد ولكن ذلك لا يعني عدم الاستقلال ، فان السلاح الحديث تملكه الدول الكبرى ، والسعى للاستقلال بدون سلاح غير ممكن . فقام حسن الشبوط يرد عليه قائلاً : ان الاتفاقية المالية تقييد استقلال العراق فكيف له أن يتسلح وليس لديه مال ؟!

و عند هذا قدم بعض نواب الشمال تقريراً قرأه عنهم محمد شريف بك نائب أربيل مقاده انهم يستنكفون من ابداء رأيهم في المعاهدة اذا لم توجل المذكرة فيها الى حين حسم قضية الموصل . وقال محمد شريف بك انه علم بان الاتراك يلحون في طلب العاقد الموصل بهم حتى جبال حمراء ، وهو لذلك يرجو من الملك والمندوب السامي أن يهتما بابقاء منطقة الموصل مع العراق والا فالمنطقة تصبح في خطر . فقام أحمد الشيخ داود مؤكداً أن لا علاقة بين المعاهدة وقضية الموصل الا اذا أرادت بريطانيا أن تشدد على المجلس وتأثير عليه عن طريق هذه القضية . وقام زامل المناع فأخذ يتحمس قائلاً ان العراق لا خوف عليه في حالة رفض بريطانية مساعدته، فهو قادر على منازلة ابن سعود ، والايزيون يهابون العرب ، أما الاتراك فهم مقيدون بقيود دولية وهم اذا أصرروا على معاداة العرب فان العرب قادرون على صدهم . ولهذا فهو يصر على تعديل المعاهدة .

ثم تكلم عمر العلوان وأصف قاسم أغاثا وعبد الواحد الحاج سكر . ومحمد حسن حيدر وحبيب الخيزران ، ضاربيين على هذا الوتر . وما قاله محمد حسن حيدر : « أقسم بالله لو صدقتو هذه المعاهدة فلن تكون هناك صدقة » . وأخذ حبيب الخيزران يهدد بقيام ثورة في حالة اسرار بريطانيا على عدم تعديل المعاهدة ، ثم قال ان بريطانيا لن تخلي عن الموصل

لأنها منبع النفط الثمين ، وان المنافع التي توخي بريطانيا الحصول عليها من العراق مرتبطة بدفعها عنه .

وقد استمرت المناقشات على هذا المنوال في الجلسات التالية التي عقدت في ٥ و ٧ و ٩ حزيران . ولوحظ ان عبدالمحسن السعدون كان في رئاسته للمجلس يشجع النواب المعارضين من طرف خفي ، ويسمح لهم بابداء الحماس كما يحبون . والظنو ان فعل ذلك نكارة بالملك وصاحبة جعفر العسكري .

كتبت المس بيل تعلق على ما يجري في المجلس قائلة : « اتفقت مع كورنوايس في الرأي على اتنا افترفنا غلطه . وقد ادركتنا ان من العبث أن نطلب من اناس غير متفقين سياسيا ان يتخدوا قرارا حيويا عن طريق نوابهم في أمر يخص مستقبلهم . فان عوامل الجهل والطمع الشخصي والعداء الاعمى سيكون لها أثرها المباشر في القرار ، وتكون القضية عند ذلك على درجة من النموض بحيث لا يستطيع صاحبها أن يرى طريقه »^(٤٨) .

حملة العرائد الموالية :

كان في بغداد يومذاك ثلاث جرائد موالية للإنكليز ، أولها جريدة « الاوقات البغدادية » وهي التي كان الانكليز يصدرونها ، والثانية جريدة « العراق » لصاحبها رزوق غلام الذي كان عضواً في المجلس التأسيسي ومعروفة بتاييده للسلطة ، أما الثالثة فهي جريدة «المفيد» لصاحبها ابراهيم حلبي العمر ، وكان هذا من قبل معدودا من الصحافيين المعارضين ولكنه بدأ موقفه أخيراً .

كانت هذه العرائد تدعى الى تصديق المعاهدة قبل تعديلها . ففي ٢٦ أيار نشرت جريدة «المفيد» مقالاً بعنوان « الوطن في خطر ، ايمن المنذون » ، طالبت فيه بتحكيم العقل قبل العاطفة ، ووازن بين خطر رفض

(48) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 343

المعاهدة وضرر ابرامها وأوضحت ان الخطر الذي يتبع عن رفض المعاهدة جسيم من جراء جلاء الانكليز عن العراق وحرمان العراق من معاcondتهم في قضية الموصل وخلو البلاد من الكثير من المقومات لحياة الدولة الحديثة . أما الضرر الذي يتبع عن ابرام المعاهدة فلا يستمر سوى أربع سنوات وهي مدة المعاهدة كما ورد في ملحقها . وهاجمت الجريدة أولئك الذين يقولون ان بريطانيا لن تسخلي عن العراق ولن تجلو عنه في حالة رفض المجلس للمعاهدة .

وفي ٣ حزيران نشرت «المفید» مقالاً بعنوان «الموقف الغامض» حذرت فيه من خطر رفض المعاهدة فيما يتعلق بقضية الموصل وقالت : « ونحن اذا بذلنا النصح في هذا الشأن فليس لانا لا نعترف بما في المعاهدة وذيلها من القيود الثقيلة بل لانا نعتقد أن خطر الرفض أعظم بكثير من خطر الابرام ولا نريد أن نختار أهون السبيلين » وعلى الذين يخالفوننا في هذه العقيدة ان يذكروا أن جسد الوطن على طاولة التشريح في مؤتمر الاستانة ٠٠٠ فماذا نحن فاعلون؟! »

وقد سارت جريدة «العراق» على هذا المنوال الذي سارت عليه جريدة «المفید» ، ومن الطريف انها نشرت في ٩ حزيران تحت عنوان « الشعب يحاسب نوابه » برقة من بعض الناخبين الثانويين في الشطارة يعلنون فيها انتزاعهم الثقة من سالم الحسون ٠

أما جريدة «الأوقات البغدادية» فقد سارت على منوال آخر اذ هي اتخذت اسلوب التهديد بدلاً من اسلوب الاقناع العقللي . وفيما يلي نموذج من أسلوبها نقلأً عن مقال لها نشرته في ٢٢ أيار :

« كاد ينقضي شهراً على المجلس التأسيسي وهو ينظر في المعاهدة العراقية البريطانية ، ونسمع الآن باعداد تقارير ضافية الذيبول وبمناقشات طويلة عريضة في أمر رفض المعاهدة أو تعديلها أو قبولها بشروط ترمي الى تعديلها في المستقبل . ولكن ما فائدة هذا الكلام كله فقد وضع لأقل الناس ادراكاً وضوح الشمس . في رائحة النهار ان البلاد لا تريد المعاهدة

على ما تفسرها ذيولها وعليه فليقدم أعضاء المجلس التأسيسي على ابداء آرائهم ويرفضوا المعايدة ويقضوا عليها القضاء المبرم ، وليعلموا ان البريطانيين أنفسهم لا ي يريدون المعايدة ٠ فلو أتيح لهم المكث في البلاد وهم مشمولون بالصداقة والمحبة بغية معايتها في السير في سيل النجاح لرضوا بالبقاء عن طيب خاطر ولكن ذلك الحلم قد انقضى ، فقد حل الشك محل الصداقة ، فلماذا اذن يبقى البريطانيون في هذه البلاد ٠ فان الاوفق لسياسة بريطانيا في تركيا وفارس والهند ان يخرج البريطانيون من العراق من غير قيل وقال ، وبذلك يزيلون عنهم بالكلية ظنون المطامع الامبراطورية ٠ والذي تسامل عنه الآن : هل يخرج البريطانيون من العراق اذا ما قلب لهم أهلوه ظهر المجن كما يبدو على موقفهم الحالي ؟ ان التجارة في العراق لا يعبأ بها ، وقمع العراق وجده وصوفه أرداً قمع وجلد وصوف في الدنيا ، والشركات البريطانية في العراق لا تربح شيئاً ، ويتحمل أن يزرع القطن هنا في المستقبل ولكنه أرداً من القطنين الذي يزرع في السودان والمستعمرات الافريقية ، ويتحمل كذلك أن تشر الشركات على النفط ولكننا نستطيع الحصول عليه في بلدان أخرى من غير أن نخاطر برؤوس أموالنا ، فلا فائدة لامبراطوريتنا من البقاء في العراق ٠ فليشجع أعضاء المجلس التأسيسي ويسرعوا في التصويت طبق رغبة الشعب ، فقد آن لنا أن تخالص من الدسائس والمراءات ٠ فإذا كان العراقيون غير قابلين بالمعاهدة وذيولها فليصرحو بذلك وليخرج البريطانيون من هذه البلاد ، وتقول قولًاً اكيدًا أن ما أمة مثل الأمة البريطانية يسرها التخلص من مشاكل بلاد منبعثة وشعب يستحلل ارضاؤه بشيء ٠

وفي ٢ حزيران كتبت الجريدة نفسها تقول : ان المسألة الرئيسية للعراق اليوم ليس الاستقلال بل الدفاع عن الموصل ضد الاتراك وأنه يجب ان يفهم الجميع اليوم وكل يوم انهم اذا لم يصادقوا على المعايدة فمن المحتمل أن يضيعوا الموصل ، وإذا صادقو عليها فبريطانيا تبذل كل ما في جهدها لابقاء ولاية الموصل جزءاً من العراق ، ولن تدافع بريطانيا عن

هذه الولاية في حالة عدم تصديق المعاهدة مع العلم ان العراق في وضعه الحاضر لا يمكنه الدفاع عنها ٠

وفي ٧ حزيران كتبت تقول : « وفي الاخير نريد ان نقول شيئا لاهالي العراق فان بعضا من النواب الذين يصرخون ضد المعاهدة هم حقيقة يصرخون ضد الحكومة لماذا ؟ لأنهم يريدون أن يكونوا وزراء ٠٠٠ اذا كان المجلس لا يزال راغبا بعدم ابرام المعاهدة وبعدم الثقة ببريطانيا العظمى فلا نعمل من الحكومة البريطانية ان تساعد العراق او تضع فيه ثقها ، فتكون بريطانيا حيث شئ حرجة بعملها كما تشاء » ٠

وفي ٩ حزيران نشرت الجريدة مقالاً بعنوانين مثيرتين هي : « الدسائس التركية في بغداد ، بيانات مدهشة » ، لم يبق سوى ٤٨ ساعة لانقاذ الموصل ، على البلاد أن تتسبخ اما استبداد تركيا او حرية بمساعدة البريطانيين ، كيف أضل الاتراك النواب والاهلين ، رفض المعاهدة يقضي على القضية العربية واستقلال العرب » ٠ وقد أشارت الجريدة في مقالتها هذا الى ما يفعله اثنين الاتراك في العراق من ترويج للاكاذيب في شأن المعاهدة والانكليز ، وكيف أن دعاء الوطنية الذين كانوا ناقمين على الاتداب في صيف ١٩٢٢ كانوا يسعون سراً لبيع الموصل للاتراك ٠ وكذلك أشارت الجريدة الى ان الاتراك هم الذين دربوا حادثة كركوك وهي الحادثة التي قتل فيها الكثير من أهل كركوك على أيدي الجنود الانوريين كما سأنتي اليه في الجزء القاسم ، وقالت الجريدة : « كما نظن الشعب العراقي شعراً عاقلاً مدركاً ولكننا بتنا نعتقد اليوم أنه قد عمي عن الحقائق أو جهلها بتاتاً فلم يعد يفرق بين الأخبار الباطلة والحقيقة ، ولم يبق لنا الا أن ننصح له عن الحقيقة المجرحة المؤلبة ٠٠٠ ٠

وفي ١٠ حزيران نشرت الجريدة آخر مقالة تهديدية لها ٠ ففي ذلك اليوم يتنهى أمد الانذار الذي قدمه المندوب السامي الى الملك ٠ وكانت المقالة بعنوانين مثيرتين هي : « القرار العظيم » ، أما أن يربح العراق حريته والعرب قوميتهم أو يخسرها في هذا اليوم » ٠ وقد أكدت الجريدة في مقالتها دعواها السابقة بوجود علاقة بين المعارضين للمعاهدة وبين الاتراك

الذين يريدون احتلال العراق ، وتساءلت : لماذا لا يطرد الاتراك من بغداد ؟ ثم اشارت الى ان الشروط الثقيلة الموجودة في المعاهدة هي بمثابة الثمن الذي تناه بريطانيا جزءاً صرفاً المبالغ الطائلة من الأموال وبذلها الكثير من ارواح الجنود البريطانيين من أجل المحافظة على العراق ، فلبريطانيا الحق اذن في اصرارها على تلك الشروط مقابل هذه التضحيات .

ثم ختمت الجريدة المقالة بما يلي :

« اذا رفض المجلس ابرام المعاهدة اليوم فيكون العراقيون من عرب واكراد قد رفضوا تقدمة بريطانيا ، ويكونون قد نقضوا وعد الجنرال مود بأنفسهم . وتكون بريطانيا حرجة وغير مجبرة في الدفاع عن الموصل ، فعلى النواب واجب محظ عليهم أداؤه عن الاهالي والبلاد ، ولهم أن يتتخروا بين بناء مملكة العراق أو خرابها ، فكل فرد منهم يكون مسؤولاً أمام الشعب العراقي والأمم الأخرى للقرار النهائي الذي يصدرونه ، وذلك القرار يجب أن يكون اليوم لأن بريطانيا تسحب تقدمها حالما تدق الساعة الثانية عشرة من ليلة هذا اليوم ، وتحال مسألة مستقبل العراق لقرار أوروبا فاما أن يفوز المجلس التأسيسي بعمله اليوم ويخرج مظفراً لصالح البلاد أو يقضي على حياة شعب حديث ربما الى الابد » .

دوبس يفضي :

كان الملك في ورطة لا يحسد عليها . ففي منتصف الليل من يوم ١٠ حزيران يتهيأ أمد الانذار الذي قدمه دوبس . وكان الملك يخشى أن يتمتع المجلس عن تصديق المعاهدة في ذلك اليوم ، وهو لا يدرى ماذا سوف تكون العاقبة .

دعا الملك أعضاء المجلس للجتماع به في قصره في الساعة الرابعة والنصف من عصر يوم ٩ حزيران ، وعندما أكتمل عددهم وقف يحدّثهم حديثاً طويلاً بغية اقناعهم بتصديق المعاهدة . نقل فيما يلي الجزء الأخير من حديثه لأهميته :

« لما قرأت المعاهدة وإنفاساتها شعرت ما شعر به المجلس وشعرت به

الأمة الا اني لا أخفي عنكم شيئاً ولا أريد أن اكتم ما يكتنه صدري ٠ أرى
 ان موقف البلاد في خطر فلا يجب ان نسير وراء العواطف بل يجب أن
 تحكم العقل ٠٠٠ وأنت المسؤولون فانا أرفع عنى المسؤولية وألقيها
 عليكم ٠٠ أنا لا اقول لكم اقبلوا المعاهدة أو ارفضوها ، انا اقول اعملوا
 ما ترونـه الأنفع لصلحة البلاد فان أردتم رفضها فلا ترکوا فيصلاً معلقاً
 بين السماء والارض ، بل أوجدوا لنا طريقاً غير المعاهدة ، وأنتم ترونـ
 انـنا في حاجة الى مـال ورجال لـنحارب الـاتراك ونـقاوم الـانتداب البرـيطاني
 ونـقف اـزاء الـایرانـيين وغـيرـهم فـانا أـمامـكم في مـيدـانـ الـحـربـ والـسـيـاسـيـةـ ،
 وماـضـيـ مـعـلـومـ ، فـلاـ تـضـيـعـواـ مـاـفـيـ يـدـكـمـ ٠ اـنـيـ أـشـكـرـ لـلـمـجـلسـ وـقـتـهـ
 ولـلـجـنـةـ مـسـاعـيـهاـ ، فـانـناـ بـذـلـكـ حـصـلـنـاـ عـلـىـ تـحـفـظـاتـ وـايـضاـحـاتـ فـيـ مـصـلـحةـ
 العـراـقـ وـعـلـىـ وـعـدـ صـرـيـعـ مـنـ المـعـتـمـدـ السـامـيـ بـتـعـديـلـ الـاـقـتـاقـيـةـ الـمـالـيـةـ وـدـخـولـنـاـ
 فـيـ الـمـقـاوـضـاتـ حـالـاـ بـعـدـ الـاـبـرـامـ لـتـعـديـلـ بـقـيـةـ الـمـوـادـ وـذـلـكـ اـذـ وـاقـتـمـ عـلـىـ
 اـبـرـامـهاـ وـحـسـمـ الـمـعـضـلـةـ ٠٤٩

يبدو انـ حدـيـثـ الـمـلـكـ هـذـاـ لـمـ يـكـنـ ذـاـ تـأـيـيرـ كـبـيرـ عـلـىـ النـوـابـ ٠ فـقـدـ كانـ
 المـفـرـوضـ أـنـ يـقـدـ المـجـلسـ جـلـسـتـهـ التـالـيـةـ فـيـ السـاعـةـ التـاسـعـ صـبـاحـاـ ، وـحـينـ
 حلـتـ تـلـكـ السـاعـةـ لـمـ يـظـهـرـ عـلـىـ النـوـابـ أـنـهـ مـسـتـعـدـونـ لـلـحـضـورـ ٠ وـمضـتـ
 ساعـاتـ بـلـاـ جـدـوـيـ اـذـ كـانـ النـوـابـ يـدـخـلـونـ وـيـخـرـجـونـ كـائـنـمـ مـتـرـدـدـونـ فـيـ
 الـحـضـورـ ٠ وـانـطـلـقـتـ اـذـ ذـاكـ مـجـادـلـةـ عـنـيفـةـ مـعـ صـرـاخـ وـضـجـةـ فـيـ الـبـهـوـ
 الـمـؤـديـ إـلـىـ الـمـجـلسـ ، وـشـوـهـدـ سـالـمـ الـخـيـونـ عـلـىـ رـأـسـ عـدـدـ مـنـ النـوـابـ وـهـمـ
 يـهـمـونـ بـالـخـرـوجـ مـنـ الـمـجـلسـ ، وـجـاءـ نـوـابـ آخـرـونـ يـدـعـونـهـمـ لـلـعـودـةـ وـيـلـعـونـ
 عـلـيـهـمـ حـتـىـ اـسـتـطـاعـوـ اـرـجـاعـهـمـ ٠ وـفـيـ السـاعـةـ الـحادـيـةـ عـشـرـةـ وـالـنـصـفـ اـكـتـمـ
 النـصـابـ فـيـ الـقـاعـةـ غـيـرـ اـنـ اـحـدـ النـوـابـ طـلـبـ تـأـجـيلـ الـجـلـسـ قـلـيلاـ مـنـ
 الـوقـتـ فـوـافـقـ الرـئـيـسـ عـلـىـ تـأـجـيلـهـاـ نـصـفـ سـاعـةـ ٠

وـعـنـدـمـاـ بـدـأـتـ الـجـلـسـ فـيـ السـاعـةـ الثـانـيـةـ عـشـرـةـ وـالـنـصـفـ حـصـلـتـ مـجـادـلـةـ
 بـيـنـ فـرـيقـيـنـ مـنـ النـوـابـ اـحـدـهـمـ يـؤـيدـ اـقـرـاحـ نـوـابـ الشـيـالـ فـيـ تـأـجـيلـ

(٤٩) جـريـدةـ «ـالـعـالـمـ الـعـرـبـيـ»ـ - فـيـ عـدـدهـاـ الصـادـرـ فـيـ ١٠ـ حـزـيرـانـ ١٩٢٤ـ

تصديق المعاهدة الى ما بعد حسم قضية الموصل ، والآخر يؤيد اقتراح الهاشمي وجماعته في وجوب تعديل المعاهدة قبل تصديقها . وقد امتنع رئيس الوزراء من ذلك كل الامتناع ، ذلك لانه كان يأمل من التواب أن يتضرروا في أمر تصديق المعاهدة بوضعها الحالي ولكن وجدهم مختلفين حول اقتراحين لا يؤدي أي منها الى المطلوب . وخرج رئيس الوزراء من القاعة حيث اتصل بالملك تلفونيا وأخبره بأن الحالة سيئة ، ثم عاد الى القاعة طالبا من رئيس المجلس تأجيل الجلسة الى الغد ، فوافق الرئيس على ذلك حالاً . وانطلق النواب خارجين كما ينطلق الطير على حد تعبير الكابتن هولت الذي كان حاضراً آنذاك في شرفة المستمعين (٥٠) .

حين علم دوبيس بما جرى في المجلس انفجر غاضباً بشكل غير مألوف في الخلق البريطاني . وما يجدر ذكره في هذا الصدد ان دوبيس معروف بشدة غضبه ، وتروى عنه في ذلك أقصيص غريبة ، فقد شاع عنه انه اذا غضب على موظف لديه قذف بالمحبرة في وجهه . وقد قذف ذات مرة أقصيصاً للزهور على الأرض وحطمه لانه لم تعجبه الطريقة التي زرعت الزهور فيها . (٥١)

وقد تحدثت المس بيل في رسالة لها عن غضب دوبيس عند سماعه بما جرى في المجلس فقالت : « أسرعت باخبار كورنواليس بالأمر تلفونيا فهتف قائلاً : يا الهي ! تم ذهبت الى السر هنري لأخبره فكان على درجة من الغضب لم أشهد منها في أحد غيره . وبينما كانا تداول الحديث دون جرس التلفون وكان من الملك وهو يطلب مهلة يوم واحد . فأجابه السر هنري دوبيس بالرفض وقال له انه سيزوره ليطلب منه حل المجلس في متصرف الليل اذا لم يكن في الامكان جمعه عصراً ، ٠٠٠ . وتضيف المس بيل الى ذلك قائلة : « ان السر هنري أخذ يزداد غضباً لحظة بعد أخرى ،

(50) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 345.

(51) Sinderson (Ten Thousand and One Nights) - London 1978 - p. 77.

معتبراً الأمر من تدبير الملك ، ولكن هذا غير صحيح . وصار يسب هذا ويسب ذاك ، إلى أن اقرحت عليه أن نذهب لتناول طعام الفداء . ان السر هنري المثير للشفقة أخذ يهدأ غضبه تحت تأثير كأس من البيرة المشلحة ،^(٥٢)

ليلة ليلة :

في الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم ذهب جعفر العسكري وممه ياسين الهاشمي إلى دار الاعتماد البريطاني في الكرخ مقابلة دوبس . وحين وصلا إلى الدار وجدوا دوبس بهم بالخروج منها ، وقد نظر اليهما شرراً وقال انه ذاهب إلى الملك فيصل ليطلب منه حل المجلس التأسيسي فوراً إذ لا يرجى من وجود المجلس أي خير للعلاقات بين بريطانيا وال العراق^(٥٣) .

عاد العسكري إلى مقره عاجلاً وأخذ يسعى لجمع النواب أولاً بأن يجتمع المجلس مساءً ويصادق على المعاهدة قبل انتهاء أمد الإنذار . أما دوبس فقد وصل إلى قصر الملك في الساعة الرابعة ، وحين دخل عليه وجد كورنواليس جالساً عنده ، فقدم إلى الملك ورقة تتضمن إنذاراً يطلب فيه حل المجلس اعتباراً من منتصف تلك الليلة واصدار التعليمات إلى وزارة الداخلية لغلق بنية المجلس فوراً واحاطتها بقوة من الشرطة تكفي لتنفيذ هذا الأمر . وقد أذعن الملك لهذا الإنذار ، واستدعى مستشار وزارة العدلية البريطاني إلى القصر لاعداد لائحة قانون حل المجلس .

كان جعفر العسكري في اثناء ذلك منهكًا في محاولاته لجمع النواب واستطاع أن يأتي بعدد منهم إلى بنية المجلس ، ولكن سالم الخيون وجماعته وقفوا عند باب المجلس يحربون النواب على عدم الدخول . وفي الساعة الثامنة اتصل العسكري بالملك تلفونياً يخبره بأنه لم يتمكن من جمع العدد الكافي من النواب وهو يرجو منحه مهلة يوم واحد ، فرفض دوبس منحه هذه المهلة . وكانت لائحة قانون حل المجلس قد تم اعدادها

(52) Burgoynes (op. cit.) - vol. 2, p. 344 - 345.

(53) عبدالرzaق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٨٥ .

حيثـ وضعت بين يدي الملك لتصديقها^(٤) .

عاد جعفر العسكري الى السعي من جديد لجمع التواب ، وصار يبذل اقصى جهده في هذا السبيل كأنه أدرك بان مصيره السياسي معلق بتجاهله فيه . وقد عاونه في ذلك اخوه تحسين العسكري الذي كان يومذاك مديرآ عاماً للشرطة ، واستنفر هذا جهاز الشرطة كله للبحث عن التواب في كل مكان والاتيان بهم الى المجلس . وكان الملك قد أرسل مرافقه تحسين قدرى لعاونتهم .

استعملت شتى الوسائل من أجل جلب التواب الى المجلس ، حيث استعمل الرجاء والتضرع أحياناً ، والالجاج الشديد أحياناً أخرى ، وربما استعمل التهديد أو العنف مع البعض منهم . قال الحاج ناجي الكرادي في حديث له مع المس بيل عن تلك الليلة : « ان الشرطة سحبوه من فراشه ووضعوه في سيارة وكان لا يدرى هل سيأخذونه الى المقصلة أم الى مكان آخر »^(٥) .

وفي العاشرة والنصف من تلك الليلة أمكن جمع ثمانية وستين نائباً . فحضروا في قاعة المجلس وبدأت الجلسة يسودها التوتر الشديد .

لقد كانت تلك جلسة يندر أن يكون لها مثيل في تاريخ المجالس النيابية في العالم ، فقد كان كل نائب في القاعة يشعر كأن الدنيا كلها تراقبه وستحاسبه على ما يفعل في هذه الجلسة . وكانت شرفات المستمعين غاصة بالمحامين وغيرهم وقد شخصت أوصارهم نحو القاعة وألسنتهم مستعدة لصب اللعنات على آباء الذين سيوافقون على المعاهدة . أما الوزراء فقد تركوا مقاعدهم الخاصة بهم على يمين منصة الرئاسة واندسو بين التواب يتسلون اليهم ان يوافقوا على المعاهدة : « يا معودين ، البلاد في خطر ، حكموا العقل » . وكان ياسين الهاشمي يلعب لعبته المعروفة في اثناء ذلك اذ كان يعارض المعاهدة ظاهراً ويدعو الى تصديقها سراً ، كما كان

(٤) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) - ص ٣١٦ .

(٥) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, 348.

السعدون يلعب لعبته ايضاً في عرقلة تصديق المعاهدة تشفياً بالملك وبصاحب
جعفر العسكري ٠

كان هناك بين يدي السعدون تقريران هما تقرير المعارضة الذي يدعو الى تعديل المعاهدة قبل تصديقها ، والثاني تقرير الحكومة الذي يدعو الى تصديق المعاهدة أولاً ثم الدخول بعدها في المفاوضة لتعديلها ٠ فقدم السعدون تقرير المعارضة أولاً ، وطلب من كل نائب أن يقف عند ابداء رأيه ، وكان قصد السعدون من ذلك تخويف المؤيدين للمعاهدة من ابداء آرائهم تحت أنظار العجالسين في شرفات المستمعين^(٥٦) ٠ ولكن خطته فشلت اذ لم يؤيد تقرير المعارضة سوى ثلاثة وعشرين نائباً فقط ، أما تقرير الحكومة فقد أيده ٣٧ نائباً ٠ وقد استنكر علن التصويت ثمانية^(٥٧) ٠

ومن طريف ما يروى في هذا الصدد ان أحد النواب كان قد وعد المس بيل باعطاء رأيه في تأييد المعاهدة ، ولكنه عند التصويت أخرج مسبحته من جيبه فاستخار الله بها وكانت نتيجة «الخير» سلبية ، وأصبحت المس بيل بخيبة أمل فيه أخيراً ٠

وكان الحاج ناجي الكرادي من جملة المستنكفين الثمانية ٠ وقد جاء الى المس بيل بعدها وهو خجلان وأخذ يعتذر اليها عن عدم تأييده للمعاهدة ، وبرر ذلك بما جرى له عندما سحبوه من فراشه ليلاً ٠ فقبلت المس بيل عذرها وأخذت تسليمه ووعدته بزيارته في بيته لتناول طعام العشاء معه فوق السطح تحت أشعة البدر^(٥٨) ٠

عندما انتهت الجلسة على اثر تصديق المعاهدة أبدى بعض النواب المؤيدین لها ترددًا في الخروج من المجلس مخافة أن يقتالهم أحد ، ولهذا وجب تجهيز كل منهم بشرطي واحد او اثنين لحمايته ٠ ولكن الخوف لم يتطرق الى نوري السعيد ، فهو كان يحمل في جيئه قبلة يدوية ، وحين

(٥٦) *ibid.* vol. 2, p. 846.

(٥٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) - ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٩ .
(٥٨) Brugoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 348.

خرج من المجلس استصحب معه بسيارته احد النواب المؤيدون للمعاهدة وهو مظهر الحاج صكب، وأخرج نوري القبلة من جيده وقال لمظهر: ان هذه في مقدورها أن تقتل مائتي شخص مرة واحدة ٠ وتقول المس بيل في تعليقها على ذلك : ان وجود القبلة كان ذا تأثير مهدىٌ على مظهر الحاج صكب ولكنها ليست كذلك معنى حين أركب سيارة شديدة الاهتزاز^(٥٩) ٠

خرجت جريدة « الاوقات البغدادية » في ١٢ حزيران تقول :

« استقبل تصديق المعاهدة بصورة عامة بعد المبالغة ، ولم يكن هناك مظهر من مظاهر التحبيب او الفرح التي كنا تتوقعها ، فلم نسمع شيئاً من هذا بينما كنا نسير في الشوارع بعد ان تم انجاز الحادث الهام في المجلس التأسيسي ، كما لم نشاهد او نلاحظ أيّاً من زمر الشباب المسلمين بالعصبي والسيكاكين والمسداسات والذين جعلوا أنفسهم بارزین الى درجة كبيرة خلال فترة مناقشات المجلس » ٠

وفي ١٨ حزيران كتب المس بيل يقول : « ان السر هنري عندما أبرق بالمعاهدة الى لندن في ١١ حزيران طالباً اخباره هل هي مقبولة ، لم نحصل على جواب ٠ ان من الصعب أن تصور ذلك ولكننا لم نحصل على جواب الا في ١٧ منه ٠ انه أمر غير لائق للغاية ٠ فالجرائد المحلية بدأت تظهر شكوكها حول رفض الحكومة البريطانية للالمعاهدة ٠ وأخذ النواب الذين أيدوا المعاهدة يتواجدون على « قلقين » ، ولم استطع الا أن أعطيهم جواباً غير قابل للتصديق تقريراً هو ان الحكومة البريطانية كلها ذهبت في عطلة ولم تنظر في المعاهدة بعد ٠ وما وصل الجواب اخيراً لم يكن فيه سوى خبر مجرد هو أن الحكومة البريطانية قبلت القرار - دون أن تكون فيه كلمة واحدة لشكر السر هنري أو تهشّه وهو الذي كان عليه ان يتخذ القرارات الخطيرة والذي اتخاذ فعل القرارات الصحيحة التي أدت بالسياسة البريطانية الى هذه النتيجة السعيدة ٠ أن السر هنري متّسلاً جداً »^(٦٠) ٠

(59) Ibid, vol. 2; p. 846.

(60) Ibid, vol. 2, p. 847 - 848.

الهاشمي من السلب الى الابتعاب :

في ١٣ حزيران كتبت جريدة «المفيد» تهاجم الهاشمي وتندد بسلوكه المزدوج ، إذ قالت تجاهله : « انكم كما علمنا من مصادر موثوقة يعول عليها قد صرحت مراراً عديدة لبعض الساسة البريطانيين ولاصدقاء انكم من الوزراء الحاليين وغيرهم بأن الأفíd للعراق هو ابرام المعاهدة وحرضتم الكثير من النواب بمثل هذه الاساليب على تصديقها ، وهذا شيء لا يمكن نكرانه لأننا لانعجز عن اياته بالبراهين الكثيرة ، فإذا كان الامر كذلك فما هو الذي حدا بكم الى المعارضة عند التصويت بعد أن زودتم كثيراً من زملائكم بالنصائح في تأييد المعاهدة » .

وفي ١٨ حزيران كتبت المسن بيل تقول : « اني اتوقع ان جعفر سوف يضطر الى ادخال ياسين في الوزارة - اذا اراد هو الدخول فيها . انه قوة وان قوته مستمدۃ من تأیید المتطرفین له ، ومع ذلك فهو أقل خطراً في الوزارة منه في خارجها . انه كان منذ أسبوع تقريباً ينوى تبنيسل موقفه وتأييد المعاهدة وأخذ يعمل في هذا الاتجاه ، ولكنه وجد أنه غير قادر على الاحتفاظ بحزبه ، وأنه سيفقد اعتباره بينهم ، وعلى الرغم من يقينه بأن ذلك قد يؤدي الى كارثة فإنه رفض المعاهدة . يجب أن نذكر انهم كانوا جميعاً غير مصدقين بأننا سوف نخرج من البلاد ، ولهذا فإن رفض المعاهدة لم يكن في نظرهم بهذه الخطورة » .^(٦١)

وفي ٩ تموز كتبت المسن بيل تقول : « ان وزارة جعفر العسكري تترنح سائرة نحو قبرها ، وآخر عمل قام به السر هنرى هو الاستعداد لمولد وزارة جديدة . ان ياسين باشا هو الذي اختير لتشكيل الوزارة . انه أقدر انسان هنا من ناحية الذكاء ولكنني انظر الى أمر تسلمه منصب رئاسة الوزارة بعين الريبة . غير أنني أسلى نفسي بالتفكير بأن السر هنرى يعرف الأمور أكثر مني وأنه قد اتخذ الحل الأفضل » .^(٦٢)

من الجدير بالذكر ان وزارة العسكري لم تسقط في تلك الفترة

(61) Ibid, vol. 2, p. 347 - 348.

(62) Ibid, vol. 2, p. 248 - 249.

كما تبأّت المس بيل ، بل ظلت قائمة حتى أنهى المجلس التأسيسي تصديق الدستور وقانون انتخاب النواب . وفي ٢ آب انفض المجلس التأسيسي بعد أن أكمل عمله . وفي اليوم نفسه قدم العسكري استقالة وزارته ، فقبلها الملك واستدعي إليه ياسين الهاشمي لتشكيل وزارة جديدة .

تولى الهاشمي وزارة الدفاع وكالة بالإضافة إلى رئاسة الوزراء ، وتولى السعدون وزارة الداخلية ، وساسون حسقيل وزارة المالية ، ورشيد عالي الكيلاني وزارة العدلية ، ومراحم الباجي وزارة الأشغال والمواصلات ، وابراهيم الحيدري وزارة الاوقاف ، ورضا الشبيبي وزارة المعارف .

كان الملك يريد استناد وزارة الدفاع إلى نوري السعيد ، ولكنه لم يوفق . انه كان يريد ابعاد الهاشمي عن أن يكون ذا اتصال مباشر بالجيش ، ولهذا طلب ايجاد منصب جديد في وزارة الدفاع هو منصب وكيل القائد العام – باعتبار ان الملك نفسه هو القائد العام – واستناد المنصب إلى نوري لكي تذهب أمور الجيش عن طريقه إلى الهاشمي . وقد أجب الملك إلى طلبه هذا .

وفي ٥ آب كتبت المس بيل تقول : « ان ياسين وساسون جاءوا لزيارتني في يوم الاثنين . وعندما صافحني ياسين قال : انا نريد مساعدتك ، مساعدتك انت بصفة خاصة . فقلت لهما ان كل وزارة تعين من قبل الملك ويوافق عليها المندوب السامي لها الحق بأن تطلب مساعدتي . ولما أرادا الخروج كرر ياسين قوله الاول بجدية تامة . فكتبت إليه أقول إنه سوف يحصل طبعاً على مساعدتي كاملة ، ولكنني لم أضعف إلى ذلك شيئاً . فإن لي ملاحظة دقيقة جداً هي ان جريدة « الاستقلال » التي كان جعفر قد اغلقها في وقت الاضطرابات اثناء مناقشة المعاهدة فغرت أمس الى عالم الوجود وهي تشنم وزارة جعفر متهمة ايها بالطغيان . ان محرر الجريدة وكانتها الرئيسي كليهما الآن في جيب ياسين ، وأنا متأكدة إلى حد كبير ان كل شيء يظهر في جريدة « الاستقلال » أما ان يكون من وحي ياسين أو يكون هو قد وافق عليه على أقل تقدير »^(٦٣) .

⁽⁶⁸⁾ Ibid, vol. 2, p. 349 - 350.

خاتمة

نمو الوعي السياسي في العراق الحديث

قد يلاحظ القارئ من مطالعته هذا الجزء ظهور الوعي السياسي في العراق بشكل واضح قوى . ومن الجدير بالذكر ان هذا الوعي لم يكن موجودا في العراق في بداية هذا القرن ، اذ كان الوعي الديني حينذاك هو الذي يقوم مقامه في اذهان الناس . والواقع ان هذا التحول الذي يشبه الطفرة في الوعي السياسي ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة ، ومن المؤسف أن نراها غير مدروسة من قبل كتابنا وباحثينا بالرغم من أهميتها لفهم حياتنا الحاضرة . واني أقدم فيما يلي دراسة موجزة لتلك الظاهرة عسى أن يكون في ذلك تشجيع لغيري للتوسيع فيها .

المعروف عن العامة في العهد العثماني انهم كانوا لا يحبون التدخل في السياسة وكانوا يعتبرونها أمرا خارجا عن مجال اهتمامهم ، لأنها خطرة عليهم من جهة ، ولأنها لاتعطيهم « خبرا » من الجهة الأخرى . فاذا تحدثت الى أحد منهم في السياسة قال لك : « عمي هذا موشغلي » ، أنا أريد شغل ينطيني خبرا » . وتروي في ذلك قصة حدثت في الحرب الاولى ، خلاصتها : ان شابا من أهل الكاظمية كان مولعا بقراءة الجرائد وتبع أخبار الحرب ، وكان أبوه ينصحه ويردعه دون جدوى ، وفي أحد الايام جاء هذا الشاب الى بيته وهو يهتف : « سقطت وارشو ! » . فقد فرأ ذلك في الجرائد وفرح به ، فرارا أبوه أن يلقنه درسا يردعه عن الاشتغال بمثل هذه الامور التي لافائدة منها ، فأخذ بيده وجاء به الى باعة شوك في السوق حيث قال لها : « هل تبيعين باقة الشوك بسقوط وارشو ؟ » . فلم ترض المرأة بذلك طبعا وسخرت منه ، وعند هذا التفت الاب نحو ابنه قائلا « انظر الى هذا الخبر الذي جئت به فهو لايسوى باقة شوك ! » .

وكان العامة بالإضافة إلى ذلك يحرضون على احترام رجال الحكم والتزلف إليهم درجةً لشرهم . وقد اتضح هذا في أمثالهم الدارجة : « كل من يأخذ أمي أسميه عمي » ، « أنا عبد اللي يخلني بالسلطة ركي » ، « إذا صارت حاجتك عند الكلب سيسأله حاج كلب » ، « جيب نفس وكل عوافي » ، « اليد التي ماتقدر تقطعنها بوسها » ، « أنا شعلية » ، « ياهي مالي » ، « الحاكم حكيم » ، « لان ما كان الله ينصر السلطان » ، وغيرها .

تمثلت هذه العادة بوضوح لدى الرؤساء والوجهاء إذ هم اعتادوا على التزلف إلى رجال الحكم ، ووضع اختاتهم على كل « مضبوطة » يطلبونها منهم ، والدعاء إليه تعالى أن ينصر الدين والدولة « آمين ! » . وقد اعتاد العامة أن يتزلفوا إلى هؤلاء الوجهاء بمقدار ما يتزلف الوجهاء إلى الحكام . فهي كانت حلقة متصلة الحلقات ، يتزلف الواطي فيها إلى العالي درجة فوق درجة . ولللاحظ أن كلاماً منهم إذ يحترم الذي فوقه ظاهراً يبغضه باطناً ويدعو الله أن يهلكه « آمين ! » .

هذا هو ما كان الناس عليه حتى بداية القرن العشرين ، أو بعبارة أدق : حتى عام ١٩٠٦ . ومنذ هذا العام أخذت الأحداث تتواتي على العراق من النوع الذي يحرك الأذهان ويثير الجدل . وقد استطاعت تلك الأحداث في خلال بضع عشرة سنة ان تحول الشعب العراقي من طور اللاوعي في السياسة إلى طور الوعي الشديد .

لقد تطرقنا في هذا الجزء وبعض الأجزاء السابقة إلى ذكر تلك الأحداث بتفصيل . وسنحاول إعادة ذكرها باختصار مع بعض الاختلافات إليها ، وقد جعلناها مرقمة حسب تسلسلاً زمني لكي يستطيع القارئ أن يأخذ عنها صورة عامة موحدة .

أولاً : إن أول حدث نبه أذهان العراقيين إلى السياسة هو ما يسمى بحركة « المنشروطة » ، أي حركة المطالبة بالدستور ، وذلك في عام ١٩٠٦

حين وصلت الى النجف أنباء النزاع الذى استفحى في ايران بين انصار المنشورة وانصار الاستبداد ٠ وسرعان ما انتقلت عدوى النزاع الى النجف، فبني الملا كاظم الخراسانى مبدأ المنشورة ، والسيد كاظم اليزدي مبدأ الاستبداد ٠ وانقسم الناس الى فريقين متخاصمين ، وصار كل منهما يتهم الآخر بالكفر وبالمرور عن الاسلام ٠

يجب أن لا ننسى ان النجف لها تراث جدلي قديم ، ولكن الجدل فيها كان في الماضي يدور حول قضايا اعتقادية وكلامية لاصلة لها بالواقع الراهن ، كقضية الخلافة مثلا ومن هو أحق الناس بها بعد النبي : علي أم أبو بكر ٠ فلما جاءت حركة المنشورة خرج الجدل بها من اطاره القديم وصار واقعيا له مساس بمصالح الناس ومشكلات حياتهم ٠ وأخذ الواقع والروضخونية يتهدثان عن السياسة كمثل ما كانوا قبلئذ يتهدثان عن علي وأبي بكر ، وربما ربطوا بين الحاضر والماضي ليخرجوا من ذلك بال نتيجة التي يريدونها ٠

لقد كان أكثر العامة من انصار الاستبداد ٠ أما انصار المنشورة فكانوا في الغالب من الفئة التي يطلق عليها اسم « المتنورين » ، وقد أخذ هؤلاء يدعون الى بعض المبادىء والمفاهيم الحديثة كفتح المدارس وطالعة الجنانd وتعلم اللغات الأوروبية وتحرير المرأة وغيرها من الامور التي كان العامة يدعونها من الامور المستشكرة أو المحرمة ٠ حدثني أحدهم: ان الجنان كانت تأتي اليهم خلسة فيجتمعون في بيت أحدهم سرا لطالعتها ، فإذا خرجوا من البيت أخفوها تحت عباءتهم مخافة أن يراها أحد من العامة أو مؤيد لهم من رجال الدين فيتهمهم بالتفريح أو المسوقة ٠

لاحاجة بنا الى القول ان هذا الصراع الذى حدث في النجف لابد أن يتقل أثره الى المدن الشيعية الانخرى ، ولا سيما التبت المقدسه . وصار الكثير من الناس هناك لاحديث لهم فى مجالسهم ومقاهيهم سوى حديث الاستبداد والمنشورة ، والنزاع بين الخراسانى واليزدي ٠

ثانياً : في عام ١٩٠٨ حدث حادث له صلة وثيقة بالحادث الآنف
الذكر ، ففي ٢٤ تموز من ذلك العام وصل إلى بغداد نبأ انتصار جمعية
الاتحاد والترقي في استنبول ، وهي الجمعية التي كانت تدعو إلى الدستور في
البلاد العثمانية . وقد اهتز العراق لهذا النبأ واتشرت معالم الزينة والفرح
في كل مكان ، وظهر على الجدران شعار الجمعية المؤلف من أربع كلمات
هي : « حرية عدالت مساوات اخوت » . وبذات فروع الجمعية تفتح في
بغداد والمدن الأخرى حيث اتسمى إليها الأندية والوجهاء والرؤساء ، وظهرت
جرائم عديدة وهي تلعن العهد البائد وتبشر الناس بمهد زاهر جديد تسود
في الحرية ويتساوى الناس أمام القانون ب مختلف أديانهم وطبقاتهم .

ان هذه الموجة من الفرح والتفاؤل لابد ان تثير رد فعل لدى المحافظين ،
فهم اعتبروا العهد الجديد مخالفًا للشريعة الإسلامية لانه يساوي بين
ال المسلمين والنصارى واليهود ، ولانه يستمد دستوره من الأفرينج بينما
الواجب أن يستمد من كلام الله . وقد تأسست في بغداد جمعية باسم
« المشور » للدفاع عن الشريعة المحمدية ومقاومة الأفكار اللادينية . وفي
١٣ تشرين الثاني حدث حادث كان بمثابة الشرارة التي تشعل النار خلاصته:
ان اثنين من الاتحاديين هما معروف الرصافي وعبداللطيف ثنيان ذهبوا إلى
جامع الوزير المقابل للسراي ، وكان معهما بعض انصارهما . وصادف آنذاك
ان كان أحد الوعاظ على المنبر يعظ الناس ، فأنزله الرصافي من على المنبر
وصعد مكانه وأخذ يقرأ بياناً حزيناً ، ثم ألقى خطبة حماسية أشاد فيها
بمبادئ جمعية الاتحاد والترقي من حيث منحها الحرية والمساواة للناس على
مختلف أديانهم وطبقاتهم . ولم يكدر الرصافي يتسمى من خطبه ويخرج
من الجامع مع اصحابه حتى انطلقت اشاعة في الاسواق مفادها ان الاتحاديين
أهانوا الدين الإسلامي . فاجتمع أعضاء جمعية « المشور » في احد الجوامع
وأصدر احدهم فتوى باعدام الرصافي واصحابه شنقاً ، ثم خرجت من الجامع
مظاهرة وهي تهتف : « الدين يامحمد » . واتجهت نحو دار الوالي القرية

من الباب الشرقي ، وأغلقت الأسواق مخافة النهب • وعندما وصل المتظاهرون إلى دار الوالي ارتفعت أصواتهم بشتم الكفرة المارقين ، وطالبوها بشنقهم ، واضطرب الوالي أن يوعز إلى الشرطة بالقاء القبض على معروف الرصافي وعبداللطيف ثنيان ، فقضى هذان الرجلان في العبس بضعة أيام ثم أطلق سراحهما بعد أن هدأ الناس •

ثالثا : في أواخر ١٩١١ تأسس في إسطنبول حزب معارض لحزب « الاتحاد والترقي » هو « الحرية والاتفاق » • وببدأ منذ ذلك الحين صراع عنيف بين الحزبين انتقلت عدواء إلى العراق ، وظهرت آثاره على صفحات الجرائد ، وفي دوائر الحكومة ، والانتخابات • وصار الافتدية في بغداد فريقين متخاصمين : هذا اتحادي وذاك اتفافي •

وقد لعب السيد طالب النقيب دوراً مهماً في هذه المرحلة • فهو في أول الأمر فتح فرعاً لحزب الائتلاف في البصرة ، ولكنه في أوائل ١٩١٣ حول ذلك الفرع إلى حزب قائم بذاته سماه « الجمعية الاصلاحية » ، وأخذ ينادي بالعروبة والقومية العربية ويونق علاقاته مع دعاة العروبة في لبنان والجمعية الامركورية في مصر • وقد اشتد التزاع من جراء ذلك بين السيد طالب والاتحاديين ، وأخذ هؤلاء يكيدون له ، فأرسلوا إلى البصرة قائداً صاراماً اسمه فريد بك للقضاء عليه ، ولكن السيد طالب أرسل إليه من اغتاله في ٢٠ حزيران ١٩١٣ • ولم يستطع الاتحاديون أن يفعلا شيئاً للانتقام من السيد طالب أو كبح جماحه •

كان السيد طالب يملك الشخصية التي تنير اعجاب العراقيين وهي الشخصية التي تستمد جذورها من قيم البداوة ، إذ كان « سبعاً كريماً » أو بعبارة أخرى : نهاباً وهاباً • وعندما تمكّن من اغتيال القائد التركي فريد بك ارتفعت سمعته بين العراقيين إلى القمة ، وأصبح اسمه على الأفواه في كل مكان ، وسمى بـ « عميد العراق » ، وقصده الشعراء ليلقوا بين يديه قصائد المديح على طريقة السلاطين القدامي ، وكان هو من جانبه يبذل لهم الجوائز •

إنه كان يفرض الاتاوات على الأغنياء من جهة ، ويندفع الأموال على
الشعراء وغيرهم من الجهة الأخرى .

لم يكن لدى الاتحاديين من سلاح تجاه السيد طالب سوى سلاح الدين ، فقد كانت الدعوة القومية تعتبر في تلك الأيام دسيسة من الكفار للتفرقة بين المسلمين وهمدم كيان الدولة العثمانية . يقول سليمان فيضي الذي كان آنذاك سكرتير السيد طالب : انه عندما ذهب إلى الموصل في عام ١٩١٣ لم يجد فيها من المؤمنين بالقضية العربية لا أفراداً قلائل جداً ، ذلك لأن التزعة الدينية التي يتميز بها أهل الموصل وقتها حائلاً بينهم وبين التمرد على الدولة العثمانية ذات الصبغة الإسلامية والخلافة المقدسة . ولهذا راجت في الموصل حول سليمان فيضي إشاعات وارجيفت مفادها انه يبشر بنبذ التقاليد الدينية وعصيان خليفة رسول الله^(١) .

وابعاً : في أوائل تشرين الثاني ١٩١٤ بدأ الانكليز هجومهم على العراق من ناحية الفاو ، وعند هذا انطلقت البرقيات المتبررة من البصرة موجهة إلى سكان العراق قائلة : ان الكفار يهددون البصرة ، وإن بلاد الإسلام في خطر ، ساعدونا ! فقرأت هذه البرقيات على الناس في المساجد ونادي المنادون بها في الأسواق ، وأخذوا الوعاظ والخطباء يلهبون مشاعر الناس بخطبهم الحماسية يؤكدون فيها على ان الانكليز اذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة ويحرقون القرآن ويتهكرون حرمات النساء ويدبحون الأطفال . وقد صدق الناس بهذه الأقوال ، وانتشر الرعب بينهم ، واصدر رجال الدين فتاوىهم بوجوب الدفاع عن البلاد الإسلامية واعلان الجهاد على الكفار ، وأخذ الكثير منهم يستعدون للذهاب إلى جهة الحرب للقيام بهذا الواجب الذي يحتمه الشرع عليهم .

الواقع ان العامة كانوا يغضون الحكومة التركية بفضلا شديدة ويسخنون زوالها لما أنزلته بهم من ويلات التجنيد والنقود الورقية والمصادرات

(١) سليمان فيضي (في غمرة النضال) - بغداد ١٩٥٢ - ص ١٢١ .

ونغيرها ، فلما أعلن الجهاد صاروا في حيرة من أمرهم ، فأن الدين يأمرهم بالدفاع عن الحكومة من جهة ، بينما ظروفهم الواقعية تدفعهم نحو عصيان الحكومة من الجهة الأخرى . وهذا هو الذي جعل الكثيرين منهم يتتحولون من موقف الجهاد الى موقف العصيان خلال فترة قصيرة ، وقد اتضح هذا في النجف بشكل محسوس إذ رأيناها مركزاً لحركة الجهاد في أول الامر ثم أصبحت بعده قليل مركزاً لحركة العصيان . وكذلك رأينا العشائر تذهب الى جهة الحرب اطاعة لامر رجال الدين ، غير أنها لم تك ترى الجيش التركي مهزوماً حتى اثالت عليه نهايتها وتقتيلاً .

خامساً : كان الانكليز قبيل العرب وفي أنواعها قد اتخذوا مع العرب سياسة تشجيع المبادىء القومية والاستقلالية والتحررية وما أشبه ، وذلك لغرض اضعاف الدولة العثمانية وتفتيتها . ولما احتل الانكليز العراق صاروا يضربون على هذه الاوتار ، وكان مما أعلنوه في ذلك عبارتهم المشهورة : « انا جئناكم محرري لا فاتحين » . ومن الجدير بالذكر ان الصركيين البريطانيين في العراق لم يكونوا راضين عن هذه السياسة اعتقاداً منهم أنها تفتح عيون العراقيين وتجعلهم يتطلمون الى الحرية والاستقلال ويطالعون بما يسبب لهم المشاكل في المستقبل . ولكن حكومة لندن أسرت على التمسك بهذه السياسة تحت تأثير بعض الدوافع السياسية والدولية .

كان يقولى جحكم العراق في فترة الاحتلال ضابط شاب هو الكولونيل ويلسون ، وكان هذا الضابط مقتنداً اعتقاداً جازماً بخطأ سياسة حكومته في اغداق الوعود لل العراقيين ، ففي رأيه ان العراقيين جهلة لا يصلحون للحكم الذاتي ، وان من مصلحتهم ان يظلوا تحت الحكم البريطاني المباشر الى ان يتعلموا فن الحكم . وقد اشتدى الخلاف بين ويلسون وحكومته حول هذا الموضوع ، فكانت لندن تريد انشاء حكومة وطنية في العراق ذات مظهر عربي وباطن انكليزي بينما كان ويلسون يريد انشاء حكومة انكليزية قليلاً وقالياً . وقد أدى هذا الاختلاف في السياسة الى ظهور وضع متواتر في

العراق أشار اليه السيد علوان الياري ، وهو من قادة ثورة العشرين ، إذ قال مخاطباً أحد المحكم البرطانيين : « نحن عثنا قبل هذا مئات السنين في وضع بعيداً جداً عن الاستقلال ، ولكنكم جسم علينا أخيراً فاعطينونا وعداً بالاستقلال . انكم عرضتم علينا فكرة الاستقلال في وقت نحن لم نطلب منكم . ولم نكن نحلم به حتى جسمت فوضعتم الفكرة في رؤسنا ، والآن في كل مرة نطالبكم بالاستقلال تسجنوننا » .⁽²⁾

سادساً : في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ أبرقت حكومة لندن الى ويلسون تطلب منه القيام باستفتاء عام في العراق بغية التعرف على نوع الحكم الذي يرغب فيه السكان والشخص الذي يريدونه أميراً عليهم . وقد أكدت البرقية على ويلسون أن يكون تبیر السكان عن آرائهم حقيقة ، ولكن ويلسون وجد في هذا الأمر ما لا ينسجم مع رأيه فلم يتبعه حرفيًا وحاول المراوغة فيه . انه أصدر أوامره السرية الى المحكم السياسيين في الالوية يؤكّد عليهم أن يستحصلوا من السكان الآراء المؤيدة لاستمرار الحكم البريطاني وان لا يسمحوا للآراء المخالفة بالظهور . وقد أطاع الحكم أمره ، ولهذا كانت نتيجة الاستفتاء ان أكثر السكان طلبوا بقاء الحكم البريطاني في العراق ، ولم يشدّ عنهم في ذلك سوى فئة قليلة – في بغداد والكافطمية وكربلاء والنجف – إذ هي طلبت حكماً عربياً برئاسة أحد أنجح الشرييف حسين .

الواقع ان الاستفتاء كان مفاجأة غير مفهومة في نظر أكثر العراقيين ، اذ هو كان اول مرة في تاريخ العراق تسأل الحكومة رعاياها : ما هو نوع الحكم الذي يرغبون فيه . انهم لم يستطيعوا أن يصدقوا آذانهم عندما قيل لهم ان الدولة التي فتحت بلادهم بحد السيف ، وبذلك فيها الكثير من الاموال والارواح توجه اليهم مثل هذا السؤال حقاً . فهذا أمر لم يكونوا يفهمونه او أنه خطر

(2) Mann (An Administrator In The Making) - London 1921
P. 292.

باليهم . وعندما وجدوا الامر اصبح جديا وأن الحكم أستدعوه لسؤالهم «ماذا تريدون» أخذوا يتساءلون فيما بينهم : ما هو الفرض من هذا السؤال ، ولا بد أن يكون وراءه سر لا يفهمونه .

ان أحد الوجهاء أعلن ذلك بصرامة حين قال يخاطب الحكم الذى وجه اليه السؤال : « ان سؤالكم لنا واتتم الحكومة ما هو نوع الحكم الذى نريده يدل على شيء غير اعتيادي ، وهو أمر لم نسمع به من قبل . فما شأنى أنا في هذا الموضوع . فانتم لو عيتم علينا حاكما نصرايانا أو يهوديا أو عبدا جيشياً كان ذلك بالنسبة لي حكومة على أي حال »⁽³⁾ . ويقول مهدي البصير الذى عاصر الاستفتاء وشهد بعض احداثه : ان وقت الاستفتاء كان وقت عجائب وغرائب واسعات وأراجيف ، وقد أشيع في البداية ان غرض الحكومة من الاستفتاء هو أنها ت يريد ان تسبر غور الناس لكي تعلم من هم أصدقاؤها ومن هم أعداؤها فتشيب هؤلاء وتعاقب أولئك بما تقتضيه مصلحتها⁽⁴⁾ .

وعلى أي حال فان ويلسون فرح بنتيجة الاستفتاء وأبرق الى حكومته يعلمهها بالنبأ السار هو ان اكثرا العراقيين يرغبون في استمرار الحكم البريطاني المباشر . واللاحظ ان ويلسون في تقاريره التي أرسلها الى حكومته بعد ذلك يؤكّد على هذه النقطة ، فهو قد تجوّل في أنحاء العراق واجتمع بالوجهاء والرؤساء واستمع الى آرائهم ، فوجدهم جميعاً يدعون الله أن يديم عليهم ظل الدولة البريطانية «العادلة» - «آمين !» . فصدق بما كانوا يقولون وكتب به التقارير الى حكومته - ثم نام مطمئناً !

سابعاً : ان الفئة القليلة التي طالبت بالحكم العربي في اثناء الاستفتاء تعتبر البذرة التي انشقت منها ثورة العشرين . فهى أخذت تنمو بمرور الايام وصار ينضم اليها كل متذكر من الانكليز .

(3) Atiyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 272.

(4) محمد البصير (تاريخ القضية العراقية) - بغداد ١٩٢٣ - ص ٨١

أطلق الناس على هذه الفتة اسم « الوطنين » ، أما المخالفون لها فكانوا في نظر الناس حونة وموالين للتكفّار . وصار الشعراً ينظرون القصائد الحماسية في الأمير عبدالله باعتباره مرشح الوطنين لعرش العراق، فيهتف الناس عند سماع اسمه ويصفقون له طويلاً . والواقع انهم لم يفعلوا ذلك الا نكایة بالانكليز وتحدياً لهم . فلو أن الانكليز كانوا يرغبون فيه لكان هتافهم ضده طبعاً حسب المبدأ القائل « المرء حر يص على ما منع » . وقد فعلت المس بيل الى ذلك ، ولكن بعد فوات الاوان . فهسي كتبت في ١٢ حزيران ١٩٢١ - أي بعد مضي بضعة اشهر على الثورة - تقول : انهم عندما كانوا في السنة الماضية يهتفون باسم عبدالله ليس لأنه كان الرجل الامثل في نظرهم بل لأنهم كانوا يدعون الهاشمي باسمه خلاف رغبة الانكليز (٥) .

يمكن اعتبار ثورة العشرين على أي حال من أهم الأحداث في تاريخ العراق الحديث من حيث أثرها في تربية الوعي السياسي . إنها كانت بمثابة مدرسة شعبية تعلم العامة فيها بعض المبادئ والمفاهيم التي كانوا يستهجنونها من قبل كـ « العريبة » وـ « الاستقلال » وـ « القومية » وـ « الوطنية » وما أشبه . فقد كانت هذه المفاهيم محصورة سابقاً في نطاق الأندية ومن لف لفهم ، بينما كان العامة يدعونها من الامور التي لا تعطي خبراً . فلما قامت الثورة تغير الحال تغيراً مذهلاً حيث صارت تلك المفاهيم محور اهتمام العامة ، وأخذوا يلهجون بها ويهتفون لها يوماً بعد يوم .

ثامناً : كان تنصيب فيصل ملكاً في عام ١٩٢١ قد استبشر به الوطنيون والانكليز في آن واحد . فالوطنيون اعتبروه بأنه جاء تليمة لرغبتهم التي أعلنوها من قبل في اختيار أحد انجال الشريف حسين ملكاً . أما الانكليز فكانوا يحسبون أن فيصل سيكون آللة طيبة في أيديهم على نمط

(5) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 220.

الأمراء الذين نصبوهم في ممتلكاتهم الأخرى ٠ ولكن هذا الاستثناء من الفريقين لم يدم طويلاً ، وسرعان ما تبين لكل منها انه كان مخططاً في ظنه وان فيصل ليس كما تخيلوه سابقاً ٠

ان فيصل قد حاول بكل جهده ان يكون عند حسن ظن الفريقين ، فأخذ يبدي لكل منها أنه مخلص له ، ولكن هذا أمر صعب للغاية او لعله مستحيل ، فليس في مقدور انسان أن يوفق بين اتجاهين متعاكسين ، وان هو تمكّن من ذلك قترة من الزمن فليس في مقدوره أن يستمر فيه الى النهاية ٠ يقول آيرلاند : ان فيصل وجد نفسه نقطة التوازن بين البريطانيين والوطنيين ، فقد كان مدیناً بعرشه للبريطانيين من جهة بينما كان من الجهة الأخرى يحتاج الى مؤازرة الوطنيين له لكي يتمكن من الحصول على الاستقلال الحقيقي من الحكومة البريطانية^(٦) ٠

الى أي مدى استطاع فيصل أن يوفق بين هذين الاتجاهين المتعاكسين؟ ان هذا سؤال من الصعب الاجابة عليه ، وربما عدنا اليه في جزء قادم عند الحديث عن موت فيصل والمقارنة بينه وبين ابنه غازي ٠ وقد يكفي هنا أن نقول ان فيصل حاول في السنة الأولى من حكمه أن يكون أقرب الى الوطنيين منه الى الانكليز ، وهذا هو الذي جعل الانكليز يضمرون له الحقد الشديد ويفكرن في عزله ٠ فقد اعتبروه خائناً لهم كافراً بضمتهم ٠ وشاء القدر ان يصاب فيصل بالتهاب الزائدة الدودية في هذا الوقت بالذات ، فاتهزم المنصب السامي الفرصة وسلم الزمام بيده وأخذ يضرب العركة الوطنية ضرباً شديداً حتى أسكنتها وشرد رجالها ٠ ولما شفي فيصل من مرضاه وجد ان العركة التي كان يعتمد عليها قد قتلت ٠ وجاء اليه أحد زعماء العركة ليهشه بالشفاء ، فسألته فيصل : « وماذا فعلتم بالانكليز؟ هل عدلتم

(٦) فيليب آيرلاند (العراق) - ترجمة جعفر خياط - بيروت ١٩٤٩ - ص ٢٧٩ .

عن اخراجهم من البلاد ؟ » فأجابه الرجل فوراً : « قالوا لنا انكم اتـمـ أخرـجـتمـ منـ الـبـلـادـ ، فـسـكـتـناـ »^(٧) .

كان هذا بداية تبدل واضح في سلوك فيصل ، فقد أصبح منذ ذلك الحين أقرب الى الانكليز منه الى الوطنيين ، غير أنه لم يترك عادته القديمة تر كا تاماً ، حيث وجدناه يعود الى الاتصال بالوطنيين حيناً بعد حين كلما وجد في الانكليز تسلباً تجاهه .

تاسعاً : عندما صار فيصل يتقرّب للانكليز درءاً للمشكلة ظهرت أمامه من الجانب الآخر مشكلة ثانية ، هي مشكلة ارضاء الوطنيين وفي مقدمتهم المجتهدین . لقد كانت علاقته في السنة الاولى حسنة مع المجتهدین سيئة مع الانكليز ، فانقلب الان الى العكس من ذلك حيث أصبحت حسنة مع الانكليز سيئة مع المجتهدین . وقد بذل فيصل جهده لاقناع المجتهدین بأن يراعوا ظروفه ، ويرحموا حاله ، دون جدوى . وصار المجتهدون ، ولاسيما الشيخ مهدي الخالصي ، يعدونه ناكتاً بعهده لهم وانه باع نفسه للشيطان واصبح العوبة يد الانكليز . وقال الخالصي على ملأ من الناس « خللت فيصل كما خلعت خاتمي هذا ! » .

وفي تلك الآونة عاد الى العراق من استنبول شخص يعد رجل دولة من الطراز الاول - هو عبدالمحسن السعدون . وسرعان ما اكتشف الانكليز فيه الرجل القوي الذي يستطيع أن يحل لهم مشكلة المجتهدین ومشكلة فيصل في آن واحد ، فسلموه زمام الأمور ، ودعموه ، وقالوا له : افعل ما شئت فنحن وراءك !

كان رأي السعدون ان معالجة مشكلة المجتهدین لا تم الا على طريقة الاسكندر المقدوني ، أي بقطع العدة بدلاً من حلها . انه صمم على نفي المجتهدین الى ايران للتخلص من معارضتهم الدائمة وفتاویهم

(٧) أمين الريحاني (فيصل الاول) - بيروت ١٩٥٨ - ص ١٢٣ .

تخلصا نهايًّا . وقد ابدي فيصل تخوفه من هذا العمل الجريء ، كما تخوف منه الانكليز ، وظنوا ان ثورة أشد من ثورة العشرين ستحدث في العراق من جراء نفي المجتهددين . ولكن السعدون أصر على موقفه وأكَد للمخوفين أنه قادر على القيام بالعمل دون أن يقع أي محدود . وقد أظهرت الحوادث أنه كان في رأيه مصيباً .

كان العامة قد أيدوا المجتهددين في معارضتهم وأبدوا في تأييدهم كل حماس ، ولكنهم ما كادوا يرون المجتهددين قد أبعدوا خارج الحدود حتى عادوا هم الى شعارهم القديم : « أنا شعلية » . انهم قد تلموا الوعي السياسي حديثاً ولكنهم لم يستطيعوا ان ينسوا عادتهم القديمة ، وهم لذلك يتجمسون تارة ويخدمون تارة أخرى . وتلك احدى ظواهر التاثير الاجتماعي فيهم .

* * *

خلاصة القول ان هذه الاحداث التي ذكرناها آنفاً - والتي بدأت منذ عام ١٩٠٦ - أثارت في العراق تنازعاً وجداً لا عهد له بهما من قبل . انا لا ننكر ان العراق شهد قبل ذلك أحاداناً أعظم من هذه الاحداث وأدعى الى التنازع ، انما هي كانت من نوع آخر غير النوع الذي شهدناه في هذه القراءة .

كان تنازع العراقيين فيما مضى تقليدياً ينشأ الفرد عليه منذ طفولته الباكرة ويظل عليه في كبره ، كالتنازع الذي يقع بين الطوائف الدينية أو بين القبائل والمدن وال محلات . فقد كان الفرد آنذاك يتبع لطائفته أو قبيلته أو بلدته او محلته ، وينصرها على أعدائها ، بحكم تراثه الاجتماعي الذي نشأ عليه في بيته . وكان من العار عليه أن يخرج على هذا التراث او يخالفه . أما الاحداث الجديدة فقد صارت تثير في الناس تنازعاً مبدأياً غير مرتبط بالاتيام التقليدية المألوفة . وبهذا بدأنا نشهد نزاعاً وجداً شديداً بين أبناء الطائفة الواحدة ، او المحلة الواحدة ، وربما حدث النزاع بين الاخوة في البيت الواحد : هذا مشروطي وذاك استبدادي ، او هذا قومي وذاك عثماني ، او هذا جهادي وذاك فراربي ، او هذا وطني وذاك حكومي ، الخ .

٠٠٠

فترة تدريب :

ان الفترة التي تحدثنا عنها - والتي امتدت ما بين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٢٣ - لها أهميتها في تطور الوعي السياسي في العراق . يجب أن لا ننسى ان الوعي السياسي حين بدأ بوادره في ١٩٠٦ كانت تحت حضانة الدين ورعايته ، أي انه نما من خلال الوعي الديني ولم يكن قائمًا ذاته فالناس حين كانوا يتجادلون في قضية من قضايا السياسة كالدستور مثلاً لم يكونوا ي يريدون أن يعرفوا هل الدستور نافع للشعب أو ضار به ، بل كانوا يريدون أن يعرفوا بالآخر هل هو حلال أو حرام ، وهل هو موافق للشريعة الإسلامية أو مخالف لها . وقد ظل الناس كذلك طيلة الفترة التي كان فيها رجال الدين يشتغلون بالسياسة في العراق .

والواقع أنها كانت فترة شاذة تميزت بعض الفظواهر الاجتماعية الخاصة بها ، ومن تلك الظواهر ان كثيراً من الكسبة وأصحاب الدكاكين الذين لم يكونوا قبل هذا يهتمون بالسياسة أصبحوا يهتمون بها ويتحمسون لها . خذ مثلاً حسون أبو الجبن الذي كان يقالاً في سوق السراي ببغداد ، فهو في صباً مثل أبيه يتتجنب السياسة ويعتبرها لا تعطي خيراً ، ولكننارأيناه ينقلب فجأة إلى متخصص سياسي من الطراز الأول يلبس الكفن ويشترك في المظاهرات ويتحقق بأعلا صوته : « لتسقط بريطانيا العظمى ! » . ولا حاجة بنا إلى القول ان السبب في تبدل هذا الرجل وأمثاله هو الدين وفتاوي رجال الدين . ولو لا ذلك لظل هذا الرجل باقياً على نسأة الآباء والآجداد : « أنا شعلة » .

يبدو ان هذه الفترة كانت ضرورية لنمو الوعي السياسي في العراق ، ولملها كانت بمثابة تدريب وتمرين للعامة على الاهتمام بالسياسة . فلما انتهت هذه الفترة بنفي المجتهددين كان العامة قد تم تدريبهم ولم يعودوا بحاجة إلى فتاوى رجال الدين . ولهذارأيناهم في عام ١٩٢٤ ، عندما جرى النقاش حول المعاهدة ، يتظاهرون ويتتحمسون بالقرب من المجلس التأسيسي على نحو ما كانوا يفعلون في جامع العيدرخانة في عام ١٩٢٠ انهم خرجوا من قوقتهم القديمة ، ولن يعودوا إليها !

بين الافندية والملائحة :

يمكن القول أن نفي المجتهدين الذي جرى في عام ١٩٢٣ هو أحد مظاهر الصراع بين الملائحة والافندية ، أو بعبارة أخرى : بين رجال الدين ورجال الدولة . وهذا الصراع ليس جديداً إذ تمت جذوره إلى القرن التامن عشر حينما بدأت بوادر الحضارة الحديثة تصل إلى البلاد الإسلامية ، فقد قاوم رجال الدين تلك الحضارة واعتبروها مخالفة للشريعة الإسلامية ، بينما أولع بها رجال الدولة واعتبروها ضرورية لأنهم لكي تسكن بها من البقاء في معرك الحياة الحديثة .

من الجدير بالذكر أن الافندية والملائحة في العراق كانوا متঠالفين في أثناء ثورة العشرين وفي الفترة القصيرة التي تلتها ، ولكن هذا التحالف كان مؤقتاً وليس من طبيعته أن يدوم طويلاً ، فان كلاً من هاتين الشتتين لها اتجاه ذهني معاكس لاتجاه الأخرى . فالملايحة يريدون تطبيق الشريعة الإسلامية على أمور السياسة بينما الافندية يريدون ابعاد الدين عن السياسة . وهم حين تحالفوا واتفقوا فترة قصيرة من الزمن كان ذلك من جراء وجود مصلحة مشتركة بينهم ، ولم تكد تلك المصلحة تتفاوت عندما نال الافندية المناصب التي يطلبونها حتى بدأ الاختلاف يظهر بين الفتنين وصار يشتد يوماً بعد يوم .

ان بعض الافندية من أولى النظر البعد ادركتوا منذ وقت مبكر سمة الفجوة التي تفصل بين تفكيرهم وتفكير الملائحة . ذكرت المسيل في رسالة لها في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ رأياً أدلى به عبدالمجيد الشاوي في هذا الشأن ، حيث قالت ما يلي :

« ان مشكلة الشيعة ربما كانت أعظم المشاكل في هذه البلاد ، وقد تناقضنا حول هذه المشكلة ليلة أمس في اثناء مأدبة أقيمتها في بيتي . وقد قال عبدالمجيد بك : ماذا سوف تصنفون اذا أصدر المجتهد الأكبر فتاواه بأنه لا يجوز للفرد الشيعي أن يكون عضواً في المجلس التشريعي ما دامت

الحكومة تحت الانتداب البريطاني ، علىَّا ان المجتهد يعتبر كلامه من كلام الله ٠ أو افروضوا أن المجلس أخذ يتناقش لسن أحد القوانين فينبرى المجتهد لاصدار فتوى مفادها ان القانون مخالف للشرعية ويجب رفضه من غير اهتمام باى اعتبار آخر ؟ تصوروا ان البابا يمارس في ايطاليا سلطة دينية ويرسل الحكومة في كل عمل تقوم به فماذا يكون الوضع ٠ ان العلاج يكون بمرور الزمان على النحو الذى حصل في ايطاليا ، حيث صاروا هناك ينظرون الى البابا كما ينظرون الى عجوز سخيف ٠ ولكننا هنا لم نصل بعد الى هذه المرحلة ٠٠٠٠^(٨) ٠

قد يسأل سائل : لماذا انفرد رجال الدين الشيعة بمعارضة الحكومة في تلك الايام بينما سكت زملاؤهم السنيون ؟ للجواب على هذا نرجع الى ما ذكرناه في الجزء الثالث من هذا الكتاب حول نظام الاجتهاد الشيعي ، ذلك ان المجتهد الشيعي يعتمد في رزقه على ما يقدمه اليه مقلدوه من حقوق شرعية ، ولهذا فهو مضطرب بداعم الحفاظ على رزقه ومكانته ان يكون وثيق الصلة بجماهير الشعب يتحسس بأحساسهم ويقف الى جانبهم ضد حكامهم ٠ أما رجل الدين السنوي فهو يشبه أن يكون موظفا حكوميا يتمدد في رزقه على مرتبه الذي يتسلمه في رأس كل شهر ، ولهذا فهو مضطرب في الغالب أن يكون مؤيدا للحكومة في أعمالها ٠

نقطة تحول :

كان نفي المجتهدین في عام ١٩٢٣ بمثابة نقطة تحول في الوعي السياسي في العراق ٠ فان اعززال المجتهدین للسياسة جعل الميدان حالياً للافتدية يصلون فيه ويجولون ، حيث تولى فريق منهم زمام الحكم ، بينما تولى الفريق الآخر زمام المعارضة ، وأخذوا يتداولون الأمر بينهم على طريقة دولاب الهواء الذي يلعب به الاطفال في العيد - صاعداً نازلاً ٠

(8) Burgoyne (op. cit) - vol. 2, p. 168 - 169

هناك فرق كبير بين معارضة المجتهدین ومعارضة الافندیة ٠ فالافندی انما يسلک سیل المعارضۃ لکی يصل بها الى الحكم ٠ أما الملائی فانه لا یفکر في الوصول الى الحكم ولا یريده ، وهو انما يسلک سیل المعارضۃ لکی یرفع بها مکاتته الدينية بين الجمایع ، وهو یعلم انه اذا تولی منصباً من مناصب الحكم فقد تلك المکانة حالاً وأخذ الناس یذمونه ويقولون عنه : « انه باع دینه بدنیاه » ٠ انه یصبح في نظر الناس عندهن افندیاً على الرغم من احتفاظه بعماته السوداء أو اليضاء !

معنى هذا ان الملائیة كانوا یتخدنون المعارضۃ عایة لذاتها لانها ترفع من مکانتهم الاجتماعیة في نظر الناس ، أما الافندیة فكانوا یتخدنونها وسیلة لغاية أخرى هي الوصول الى الحكم ٠ ان الافندی یدرك انه اذا بقى خارج الحكم مدة طویلة من الزمن خسر مکانته الاجتماعیة وأصبح من رواد مقهى التقاعدین ٠

الملاحظ ان الافندیة في العهد الملكی كانوا یتقلبون في مواقفهم السياسية مرة بعد مرة ٠ فإذا كانوا خارج الحكم صاروا معارضین متحمسین يتادون بالحریة والاستقلال التام ويتهمون الحکام بالظلم وخيانة الوطن ، غير أنهم لا يکادون یستئمون کراسی الحكم حتى ینسوا ما قالوه ویسیروا سیرة من كانوا یتقذونهم بالأمس ٠

وكان بعض الافندیة لا یترددون عند المعارضۃ ان يستخدموا أیة وسیلة توصلهم الى هدفهم بغض النظر عما قد ینجم عنها من عواقب وخیمة ٠ ظهر هذا للعيان واضحًا بعد موت فیصل حين تولی العرش ابنه النفر الصعیف ، فقد رأينا فریقاً منهم یلتجأ الى اثاره المشائر ، وفریقاً آخر یلتجأ الى اثاره الجيش ، وفریقاً ثالثاً یلتجأ الى المکايدات والدسائس ٠ وكانوا في كل ذلك یدعون انهم یریدون انقاذ البلاد من الظلم والتفسخ ، حتى اذا وصلوا الى الحكم لم یجد الناس في عهدهم اختلافاً عن عهد من كان قبلهم ٠

ان هذا أدى الى كثرة تبدل الوزارات في العهد الملكي في العراق ، وتلك بدورها أدت الى تضخم الوعي السياسي فيه . فان كل انقلاب او تبدل وزارى عنى لابد أن يثير الاهتمام في اوساط العامة ويفتح عيونهم الى قضايا السياسة ويبعث فيهم الجدال والنزاع حولها .

اعتراض وجيه :

نقف عند هذا الحد في الدراسة على أن نحاول تكملتها في جزء قادم من هذا الكتاب . وهنا لا بد من الاشارة الى اعتراض وجيه أظن ان بعض القراء قد يوجهونه على هذه الدراسة .

فالقارئ ربما يعجب ويتساءل حين يراني أتحدث عن صراع الافندية والملايينة مثلا بينما المفكرون اليوم مشغولون بموضوع الصراع بين البرجوازية والبروليتارية ، أو بين الرجعية والتقدمية ، أو غير ذلك من مظاهر الصراع التي يكثر الحديث حولها على صفحات العبرائد والكتب في هذه الأيام .

الواقع انني لا أختلف في الرأي مع هؤلاء الذين يتحدثون في مثل هذه المواضيع ، ولكنني أرى اننا لا يجوز أن ننسى في الوقت نفسه طبيعة مجتمعنا وظروفه وتركيبه الطبقي . أذكر انني كنت ذات يوم في مجلس يضم بعض الاساتذة ، وكان النقاش يدور حول المجتمع العراقي وتركيبه الطبقي ، فأشرت في معرض حديثي عنه الى « الافندية » ، باعتبار انهم كانوا يؤلفون في بداية هذا القرن طبقة متميزة تعالى على العامة ولها تقاليدها وخصائصها الخاصة بها . فاعتراض احد الحاضرين منكر اطلاق مصطلح الطبقة على الافندية . وقد لاحظت ان سبب اعتراضه ناشئ من أنه لم يوجد في المؤلفات الاجنبية التي اطلع عليها ما يشير الى ذلك أو يبحث فيه .

قد يصح القول ان كثيرا من كتابنا ومفكرينا هم من هذا الطراز ، فهم يملكون في اذهانهم « مساطر » جاهزة استمدوها من المصادر الاجنبية ،

فاصندوها قوالب فكرية جامدة ، وصاروا يطبقونها على مجتمعهم وتاريخه بعض النظر عن الفروق الكثيرة بين هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى .

نلاحظ هذا واضحا في بعض الدراسات التي ظهرت حسول ثورة العشرين ، ولا سيما تلك التي قام بها الباحث الروسي كوتلوف مؤخرا^(٩) . فهذا المؤلف لديه في ذهنه « مسيطرة » يريد تطبيقها على المجتمع العراقي بوجه عام ، وثورة العشرين بوجه خاص . وضار يسمى جاهدا للتنقيب عن المعلومات التي توافق مسيطرته ، مع غض النظر عن المعلومات المخالفة لها . وقد استطاع أخيرا أن يأتي لنا بدراسة عن مجتمعنا جملته كأنه ليس بهذا المجتمع الذي نعيش فيه .

يريد كوتلوف في دراسته ان يثبت اولا ان المجتمع العراقي كان قبل ثورة العشرين يسيطر عليه النظام الاقطاعي ، وان الذين قاموا بالثورة هم جيادير الفلاحين والبدو والعمال والحرفيين ، ثم يستدرك فيقول ان قيادة الثورة كانت في يد شيوخ العشائر ورجال الدين والبرجوازية الوطنية .

لو ان ثورة العشرين قامت في بلاد بعيدة عنا لربما جاز لنا ان نؤمن بصحة مقاله كوتلوف ، لأننا لا نعرف عن تلك البلاد شيئا . ولكن الثورة قامت في بلادنا ، وقد ادركنا الكثيرين من شاركوا فيها ، وعرفنا بعضهم وخالطتهم . ولست أدرى كيف يمكن أن تكون الثورة قامت ضد الاقطاع بينما شيوخ العشائر ورجال الدين هم الذين تولوا قيادتها .

ليس هنا مجال التبسيط في هذا الموضوع ، فقد اشبعناه بحثا في الجزء الخامس من هذا الكتاب الذي نأمل ان يصدر قريبا . وعلى أي حال فان الذى ندعوه اليه هو أن تكون دراستنا الاجتماعية نابية من واقع حياتنا ، ولكن هذا لا يعني أن نخلق اذهاننا عمما يجري في العالم من دراسات مختلفة . فالمفروض اننا نستنير بتلك الدراسات لا أن تقيدها .

(٩) انظر كتابه (ثورة العشرين) - ترجمة عبدالواحد كرم .

(الفهرس)

	الصفحة	الفصل
مقدمة	٣	
إنشاء الحكومة العراقية	٩	١
طبخة الملكية	٤٥	٢
فيصل ملكاً	١٠٦	٣
الصراع بين كوكس وفيصل	١٦١	٤
نفي الشيخ مهدي الخالصي	٢٠١	٥
الوزارة العسكرية	٢٥٤	٦
خاتمة	٣٠١	

حول الأخطاء المطبعية

وقدت في هذا الجزء أخطاء مطبعية كثيرة على الرغم من شدة العناية بالتصحيح . وهي أخطاء تأمل أن يفطن لها القارئ ، ويصححها بنفسه .

حول الجزء الخامس

ان الجزء الخامس يبحث في ثورة العشرين ، وهو قد تأجل طبعه ل حاجته الى مزيد من البحث عن الوثائق والمراجع الخاصة به .

والآن بعد ان تم الحصول على معظم تلك الوثائق والمراجع تقرر أن يباشر بطبعه في أقرب فرصة ممكنة . فمعذرة الى القراء .

رقم الایداع في المكتبة الوطنية ١٣١ لسنة ١٩٧٦

SOCIAL ASPECTS Of IRAQI MODERN HISTORY

by
Dr. ALI WARDI
EMERITUS PROFESSOR OF SOCIOLOGY
IN THE UNIVERSITY OF BAGHDAD

VOLUME SIX
SECOND EDITION

1992

كتب المؤلف المطبوعة

١٩٧٥	(٨) طبيعة المجتمع العراقي (٩) لمحات اجتماعية . . .	١٩٥١ ١٩٥٢ ١٩٥٤ ١٩٥٥ ١٩٥٧ ١٩٥٩ ١٩٦٢	(١) شخصية الفرد العراقي (٢) خوارق اللاشعور (٣) تغطّاط السلاطين (٤) مهزلة العقل البشري (٥) ابسطورة الادب الرفيع (٦) الاحلام بين العلم والعقيدة . . . (٧) منطق ابن خلدون . . .
١٩٧٩	(الجزء الاول)		
١٩٧١	(الجزء الثاني)		
١٩٧٢	(الجزء الثالث)		
١٩٧٤	(الجزء الرابع)		
١٩٧٦	(الجزء السادس)		